
King Saud University
1957

٢١٢
أ.ب

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، عبد الله ابن عمر ـ ٦٨٥هـ. كتب في القرن الثاني عشر الهجري تقديراً.

٤٠٩ ق ٢٣ س ٢٥x١٨سم

نسخة حسنة، خطها نسخ معتاد، استكملت بآخرها بخط نسخ مغاير، طبع.

٦٦٠٣

من أول سورة البقرة الى آخر سورة الكهف.

الاعلام ٤: ٢٤٨ كشف الظنون ١: ١٨٦

١ـ التفسير، القرآن الكريم وعلومه.

أ ـ المؤلف ب ـ تاريخ النسخ ج ـ تفسير القرآن الكريم.

ق١٢٢٤ ـ ١

٢٩ـ٤ـ١٤٠٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدّى
بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به
قديرا وأفحم من تصدّى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان
حتى حسبوا أنهم سُحروا تسحيرا ثم بيّن للناس ما نُزّل إليهم حسبما
عنّ لهم من مصالحهم ليدّبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب تذكيرا
فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر
متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وأبرز غوامض الحقائق
ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت
ليتفكروا فيها تفكيرا ومهّد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها ليذهب عنهم
الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد
فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه
يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا
غاية كل مقصود صلّ عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من
أعانه وقرّر تبيانه تقريرا وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك

كرامتهم

كرامتهم وسلّم عليه وعليهم تسليما كثيرا وبعد فإن أعظم العلوم مقدارا
وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية و
رأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم
فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات
العربية والفنون الأدبية بأنواعها ولطالما أحدّث نفسي بأن أصنّف
في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء
التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف
رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين وأماثل المحققين
ويعرب عن وجوه القراءات المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين و
الشواذ المروية عن القراء المعتبرين إلا أن قصور بضاعتي يثبطني
عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الا
ستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته
ناويا أن أسميه بعد أن أتممه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل فها
أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير ومعطي
كل مسؤول سورة فاتحة الكتاب وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه
ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا أو لأنها
تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بأمره ونهيه و
بيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية و
الأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب

الشعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك
وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة
لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله صلى
الله تعالى عليه وسلم هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات
بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية اية دون انعمت عليهم ومنهم من
عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت
الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى
ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وهو مكي بالنص
بسم الله الرحمن الرحيم وهي اية من الفاتحة وعليه قراء مكة
والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة
والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة رحمه الله
تعالى فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن
عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى لنا احاديث كثيرة منها ما روى
ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاتحة الكتاب
سبع ايات اوليهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة
رضي الله تعالى عنها قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الفاتحة وعد
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلها
اختلف في انها اية برأسها او بما بعدها والاجماع على ما بين الدفتين
كلام الله تعالى والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد

القرآن



القرآن حتى لم يكتب امين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله
اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية
مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي
لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله تعالى بسم الله
مجريها وقوله اياك نعبد واياك نستعين لانه اهم وادل على الاختصاص
وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف
لا وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به ما لم يصدر باسمه
تعالى لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر
وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله تعالى اقرأ وهذا وما بعده
مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه تعالى ويحمد على نعمه
ويسئل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها
بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر
للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء التي
حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخلت عليها
مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا
على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت و
مجيء سمى كهدى لغة فيه قال الشاعر والله اسماك سمى مباركا
آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من
السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم

حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة
لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سِمٌ وسُمٌ قال
لبسم الذي في كل سورة سِمُهُ والاسم ان اريد به اللفظ فغير
المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف
باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى
لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر
بهذا المعنى وقوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك المراد
به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص يجب تنزيه
الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم
كما في قول الشاعر • الى الحول ثم اسم السلام عليكما • وان اريد به
الصفة كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام
الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس
هو ولا غيره وانما قال لبسم الله ولم يقل بالله لان التبرك
والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب
الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا
عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذا
قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في اصله
يقع على كل معبود بحق واشتقاقه من اله الهة والوهية بمعنى
عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير

في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره
والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه
غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من
اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او
من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال
الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع
على آلهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه
تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق ويشهد له
قول الشاعر • كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار • وقيل علم لذاته
المخصوص لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح
له مما يطلق سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل
لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب
عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه
في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه
لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر
فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد
ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض معنى صحيحا ولان معنى
الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب
وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية

فعرّب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ماقبله
او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به
صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله
بارك في الرجال الرحمن الرحيم بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب
والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والا
حسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار
الغايات التي هي افعال دون المبادى التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من
الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار
وذلك انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم
المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يختص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن
الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم
الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى
الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف
به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق
على غيره تعالى لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل
ثواب او جميل ثناء او يزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم
انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعـ
ـية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي تحصل بها الانتفاع
الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على

جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف
له او للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه
بالله تعالى ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه
خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في
جامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها
جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل
التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله
هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على
الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على
حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا و
اعتقادا قال الشاعر افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
فهو اعم منهما من وجه واخص من وجه آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر
اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال
جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد رأس
الشكر ما شكر الله تعالى من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض
الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقرئ به وانما عدل عنه
الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو
من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف
فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق

اذ الحمد فى الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بان الله تعالى حى قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب فى الاصل بمعنى التربية وهى تبليغ الشىء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمى به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه مشتمل على نظائر ما فى العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه فى العالم الكبير ولذلك سوى بين النظر فيهما فقال تعالى وفى انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذى دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هى مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهى مفتقرة الى

المبقى حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قرأه عاصم والكسائى ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله والباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف فى الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهى فى المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدإ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة اوله الملك فى هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه رب العالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه تعالى الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك

الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده وهو اياك نعبد فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات تعلق العلم بمعلوم معين فخوطب بذلك اى يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص والترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود فكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين للعين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة

الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى ﴿حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ وقوله تعالى ﴿والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه﴾ وقول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد ... ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبإ جاءني ... وخبرته عن ابي الاسود

وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اى مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة

في المهمات كلها او عداء الطاعات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ
ومن معه من الحفظة وحاضري صلواة الجماعة او له ولسائر الموحدين
ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها
تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول
للتعظيم والاهتمام به وللدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما
معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه
على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى
العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة
شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله
اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه
لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة
له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله تعالى عن حبيبه حين قال
لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حين قال ان معي ربي
سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت
العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآي ويعلم منه ان تقديم
الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب
المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه
فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا
يستتب الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين

بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف
المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان
للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو
المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله
تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش
لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معه معاملة
اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا
يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي
بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة
والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل و
الصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال واما ثمود
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال
الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء
كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء
والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله و
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من
الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل
عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط عنا

الماضي واوقع ضمير التعظيم ... سبيل المبالغة اي في سبلنا
مخلصين لنا ولا يخفى ان مثل المجاهدة انما تحقق بعد حصول المراتب
السابقة لاجناس الهداية ثم لما قال بعده لنهدينهم سبلنا على لفظ
الاستقبال وصرح بلفظ سبلنا علم ان المراد بالهداية المتفرعة على المجاهدة
جنس آخر من اجناس الهداية غير الذي حصل اولا

غواشي ابدانها المستضيئة بنوره قدس سره فنراك بنورك والامر والدعاء
يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة
والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة
ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق
الطاء في الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاء ليكون اقرب الى المبدل
عنه وقرأ قنبل عن ابن كثير ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة
بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام و
جمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم
هو المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام صراط الذين
انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل
من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق
المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل
كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق
المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء
وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ
صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي
يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم
الله تعالى وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر
في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي

والموهبي

والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه
من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة
فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس
عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن
بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان
يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة
المقربين ابد الابدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيل من
القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب
عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين
سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى
انهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من
الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول
مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم
يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة
بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين
تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير
المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم
بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس لارادة الانتقام فاذا اسند
الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه

قوله لكن يسن ختم السورة به لكن بعد سكتة على نون ولا الضالين ليمتاز ما هو
قرآن عن غيره واما كتبته في المصاحف فبدعة لا يرخص به لقوله صلى الله تعا
عليه وسلم علمني جبريل والمذكور في الكشاف وفي كتب الاحاديث لقنني
بدل علمني وفي التفسير روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرء الفاتحة
قال له جبريل قل امين

قوله آمين هو المقترح الآخر اوله
الدعاء وهو قوله فزاد الدلالة
طلب الاستجابة انما يكون بعد الدعاء

نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى
النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا
غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ
وغير المغضوب الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ
وله عرض عريض والتفاوت فيما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم
اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى
لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان
يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان
المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته وبين الخير للعمل
به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل
بالعمل فاسق مغضوب عليهم لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب
الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين
امين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن معنى آمين
فقال افعل وبني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه
وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما
بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة بقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة

وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله تعالى عنه
آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر
في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان
اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة رحمه الله
تعالى انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل
وانس والمأموم يؤمن معه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قال الامام
ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه
تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة رضي الله تعالى
عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأبي الا اخبرك بسورة
لم تنزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله
قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال بينا رسول الله صلى الله تعا
عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بسورتين اوتيتهما لم يؤتهما نبي
قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا
منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما
مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين
فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة صدق الله العظيم

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف
التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص به من
التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل
وابو علي وما روى ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم
قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها
لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير
المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي
ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي
اسامي مركبة صدرت بها لتكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع
واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها
العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها
قابلة اياه معرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل صٓ وقٓ
مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها
لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتحت السور
بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم
كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله
لما عجزوا عن اخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان
بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز

فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب
فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه
الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي
حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا براسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف
مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجها ويجمعها
ستشحثك خصفه نصفها الهاء والحاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها
ويجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها
اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد و
الضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب
عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن
المستعلية وهي التي يتصعد بها الصوت في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء
والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن الباقي المنخفضة نصفها ومن حروف
البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها
الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي
اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط وزراط والفاء في جدف والعين في اعن والثاء
في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة
واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة
والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين
والزاء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر
الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن
الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها ما يقاربها وهي الميم والزاء والشين والفاء نصفها
ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة ويجمعها رب منفل

والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة
الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من
الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت
الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها
مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم
التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلث مفردات
في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات
لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن
وبه كدم في تسع سور لوقوعه في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء من
واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث
ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية
المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين
تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت
على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي و
تكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه
الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا
بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم يكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون
معارضتها واستدل عليها بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل
والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي
به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك
والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس
كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين

فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع
كلام واستيناف كلام آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر
في قوله قلت لها قفي فقالت لي ق كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال الالف آلاء
الله تعالى واللام لطفه تعالى والميم ملكه تعالى وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه
انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله تعالى واللام من جبريل والميم من محمد
اي القرآن منزل من الله تعالى بلسان جبرائيل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم او الى مدد اقوام و
آجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما اتاه
اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة
فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت
علينا فلا ندري بايها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم
دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها
بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس والقرطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما
بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء
السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم
ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر
عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع
والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى
في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل
بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير ولا تخصيص بهذه المعاني
دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فيلحق بالمعربات والحديث لا دليل
فيه لجواز انه صلى الله تعالى عليه وسلم تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع
لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما

واحدٍ على طريقة بعلبك فامّا اذا أُريدت نشراً اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه

بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمّى هو

مجموع السورة والاسم جزؤه فلا اتحاد وهو مقدّم من حيث ذاته ومؤخّر باعتبار

كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل

واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانّه يعود بالنقض

على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن

وقيل انّها اسماء الله تعالى ويدل عليه انّ عليّا رضي الله تعالى عنه كان يقول يا كهيعص

يا حمعسق ولعلّه اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج

واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها ايماء

الى انّ العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سرّ استأثر

الله عزّ وجلّ بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم

اجمعين ما يقرب منه ولعلّهم ارادوا انّها اسرار بين الله تعالى ورسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ورموز

لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن

او السور كان لها حظّ من الاعراب امّا الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير

فعل القسم على طريقة الله لافعلنّ بالنصب او غيره كاذكر او الجرّ على اضمار حرف القسم

ويتأتّى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانه موازن

لهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصّلا ان شاء الله تعالى

وان ابقيتها على معانيها فان قدّرت بالمؤلّف من هذه الحروف كان في حيّز الرفع بالابتداء

او الخبر كما مرّ وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين

في الله لافعلنّ وتكون جملة قسمية بالفعل المقدّر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا

منزّلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محلّ من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات

المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدّرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس

شيء منها آية عند غير الكوفيين وامّا عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه

حينئذ يكون الالفاظ المشتركة واعلاما مشتركة بين المسميات فحينئذ يبعد النقض على ما هو المقصود من العلمية وهو التمييز عن الغير

وطسم ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال

للقياس فيه **ذلك الكتاب** ذلك إشارة الى الم إن أوّل بالمؤلف من هذه الحروف

او فسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل

اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة

لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب

الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو

مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم

عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة **لا ريب فيه**

معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في

كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم

في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له

وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا

عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه

لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة

للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق

النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث

دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان

لنوائبه **هدى للمتقين** يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى

والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال

الله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب

واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته

عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال الله تعالى هدى للناس او لانه

لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزا

مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم وامّا مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك
على هدى من ربّهم فيكون الوقف على المتقين تامّا والايمان في اللغة عبارة عن التصديق
مأخوذ من الامن فكان المصدّق آمن المصدَّق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء
لتضمّنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث انّ الواثق صار ذا امن
ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب وامّا في الشرع
فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كالتوحيد و
والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل
بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخلّ بالاعتقاد وحده فهو
منافق ومن اخلّ بالاقرار فهو كافر ومن اخلّ بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند
الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق
وحده انه سبحانه وتعالى اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان
وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه
العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعيّن للارادة في
الآية اذ المتعدّي بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب
هل هو كاف لانه المقصود ام لا بدّ من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو
الثاني لانه تعالى ذمّ المعاند اكثر من الجاهل المقصّر وللمانع ان يجعل الذمّ للانكار
لا لعدم الاقرار به للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في
قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا
والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي
لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو
المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل

كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في هذه الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان
واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة
والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا
آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي عن ابن مسعود رضي الله
تعالى عنهما قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية
وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة ويقيمون
الصلوة اي يعدلون اركانها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قوّمه
او يواظبون عليها مأخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة
قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا
فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيّعت كانت كالكاسد
المرغوب عنه او يتشمّرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه
اذا جدّ فيه وجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدّونها عبّر عن ادائها بالاقامة
لاشتمالها على القيام كما عبّر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر
لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من
راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع
والاقبال على الله تعالى بقلبه لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك
ذكر في سياق المدح والمقيمين وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من
صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل
المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين
لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني
مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا
تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون

الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا على الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق هاهنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم بتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله تعالى عليك من رزقه مكان ما احل الله تعالى لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه واضرابه معطوفون على الذين

يؤمنون بالغيب واخلون في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلتين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم اشارة بذكرهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول فيلقيه على الرسول والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب حينئذ منزلا كله وبما انزل من قبلك سائر الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض لكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وتشقيق المعاش **وبالآخرة هم يوقنون** اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان

هودًا او نصارى وانّ النار لن تمسّهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنّة

اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء

يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة

غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين العلم بنفي الشبهة عنه نظرًا واستدلالًا ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا العلوم الضرورية والآخرة تانيث الآخر

صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه

خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة

لضمّ ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحبّ

المؤقدان الى موسى وجعدة اذا اضاء هما الوقود **اولئك على هدى من ربهم** الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولًا عن المتقين

خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصّوا بذلك فاجيب

بقوله الذين يؤمنون بالغيب الى آخر الآيات والا فاستيناف لا محل لها وكانه

نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه

الصفات اختصّوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم

حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته

المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من

بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب

له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم

عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرّحوا به في قولهم

امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل

باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على

محاسبة النفس في العمل ونكّر هدى للتعظيم فكانه اريد به

ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا

وابي الطير المربّة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكّد تعظيمه بان الله تعالى

مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنّة وبغير غنة **واولئك هم المفلحون** كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات

يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلًّا منهما كاف في تميّزهم بها عن غيرهم

ووسّط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله

اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة

والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد

اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة

خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت

له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق

وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحون للدلالة على ان المتقين

هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه

كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم **تنبيه** تامّل كيف

نبّه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد

من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره

وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب لاقتفاء اثرهم

وقد تشبّث به الوعيدية في خلود الفسّاق من اهل القبلة في العذاب

وردّ بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن

ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له رأسا **ان الذين كفروا** الخ

لما ذكر خاصّة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهّلتهم للهدى

والفلاح عقّبهم باضداد هم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني
عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصّتهم على قصّة المؤمنين كما عطف
في قوله إنّ الأبرار لفي نعيم وإنّ الفجّار لفي جحيم لتباينهما في الغرض
فانّ الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والأخرى مسوقة لشرح
تمرّدهم وانهماكهم في الضلال وانّ من الحروف التي شابهت الفعل في عدد
الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدّي
خاصّة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب
الجزء الاول ورفع الثاني [illegible] بانّه فرع في العمل دخيل فيه وقال
الكوفيون الخبر [illegible] دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية
للرفع قضيّة للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بانّ اقتضاء الخبرية
الرفع مشروط بالتجرّد لتخلّفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعيّن
إعمال الحرف [illegible] تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقّى بها القسم
ويصدّر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشكّ مثل ويسئلونك عن ذي القرنين
قل سأتلوا عليكم منه ذكرا إنّا مكّنّا له في الارض وقال موسى يا فرعون
إنّي رسول من ربّ العالمين قال المبرّد قولك عبد الله قائم اخبار
عن قيامه وانّ عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وانّ عبد الله لقائم
جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول امّا للعهد والمراد به ناس
باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او
للجنس متناولا من صمّم على الكفر وغيرهم فخصّ منهم غير المصرّين
بما اسند اليه وهو سواء عليهم والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر
بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور

وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم
وانّما عدّ لبس الغيار وشدّ الزنّار ونحوهما تدلّ على التكذيب فانّ من
صدّق النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانّها كفر
في انفسها واحتجّت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ المضي على حدوثه
لاستدعائه سابقية مخبر عنه واجيب بانّه مقتضى التعلّق وحدوثه
لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم
خبر انّ وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به [illegible] بالمصادر قال الله تعالى
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم [illegible] رفع بانّه خبر
انّ وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانّه قيل انّ الذين كفروا مستو عليهم
انذارك وعدمه او بانّه خبر لما بعده بمعنى انذارك [illegible] سيّان عليهم
والفعل انّما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له امّا لو اطلق واريد
به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتّساع [illegible] كالاسم
في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا وقوله تعالى
يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانّما
عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدّد وحسن دخول الهمزة
وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فانّهما جرّدتا عن معنى الاستفهام
لمجرّد الاستواء كما جرّدت حرف النداء عن الطلب لمجرّد التخصيص في قولهم
اللهمّ اغفر لنا ايّتها العصابة والانذار التخويف من عقاب الله تعالى وانّما
اقتصر عليه دون البشارة لانّه اوقع في القلب واشدّ تأثيرا في النفس
من حيث انّ دفع الضرر اهمّ من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة
بعدم النفع اولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين
وقلبها الفا وهو لحن لانّ المتحرّكة لا تقلب ولانّه يؤدّي الى اجتماع الساكنين

على غير حده وقرئ بتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية
بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن
قبلها **لا يؤمنون** جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء
فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض
بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه
سبحانه وتعالى اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان
فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون
فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث
ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء
والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى
عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه
لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فضل
الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال
لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية
اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم
فهي من المعجزات **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة** تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم
سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ
آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة
من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة
ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم

هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات
بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم
بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها
بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الانفس والآفاق كما تجتليها
اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار و
سماها على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة
بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر
عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها
مسندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة
مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم
آمنوا ثم كفروا فطبع الله على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة
صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها
من التأويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم
حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني
ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلق الله تعالى
خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله تعالى عليها ونظيره سال
به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث
ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه
باقداره تعالى اياه اسند اليه تعالى اسناد الفعل الى المسبب الرابع

ان اعلامهم [illegible] في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل
ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في
الغي وتناهي انهماكهم في ضلاله والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة
يقولون مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا و
بينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من
اهل الكتاب الاية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه
وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة
فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف
الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم
لقوله وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا
في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي
يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع
لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على
شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن
عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على
تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك
العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل
المراد بهما في الآية العضو لانه اشد بالختم والتغطية وبالقلب ما هو محل
العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى

لمن كان له قلب اي عقل و[illegible] امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب
المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبال[illegible]
والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب
على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه
والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان
فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة
ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء
ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب
لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق
على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو
اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية
والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير
دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر
ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية
ان على ابصارهم غشاوة ليست مما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي
عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله تعالى
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح
سبحانه وتعالى بشرح الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين
الذين اخلصوا دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى
باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفته رأسا ثلث
بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن

قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله تعالى لانهم
موّهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طوّل في بيان خبثهم
وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجّل على عمههم وطغيانهم
وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرّين والناس اصله اناس
لقولهم انسان وانس واناسيّ فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوّض
عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله انّ المنايا يطّلعن
على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع
مأخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون
ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن
موصوفة اذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون آمنا او للعهد والمعهود
هم الذين كفروا ومن موصولة يراد بها ابن ابيّ واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث
انهم صمّموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم
بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما
تتنوع بزيادات تختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم
الثاني واختصاص الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر بالذكر تخصيص بما هو
المقصود الاعظم من الايمان وادّعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه
واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه
فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله
واليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة
لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين

انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتمادي خبثهم وافراطهم في الكفر لان
ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم
يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء
ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد
ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي
والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى
ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة
وما هم بمؤمنين انكار ما ادّعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله
وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس
تأكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ في نفي
الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على
انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا لانه جوابه والآية
تدل على ان من ادّعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا
لان من تفوّه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن
مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينتهض حجة عليهم يخادعون
الله والذين آمنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه
لتنزله عما هو فيه او عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في
جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من
باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين
خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله تعالى ليس على
ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد

عـا قوله واختصاص الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر اي كونهما
مخصوصين بالذكر والهام من خصوصهما اشارة الى انه
كما يجوز ان يكون التخصيص فعل المنافقين يجوز ايضا
ان يكون فعل الله تعالى بان يكون المنافقون ادّعوا الايمان
بجميع ما يجب الايمان به الا ان الله تعالى حكى عنهم ادّعائهم
الايمان بهما للوجهين الاخيرين من الوجوه الاربعة المذكورة
ومقصود المصنف بهذا القول الاشارة الى جواب ما يقال
كيف يصح الاقتصار على ذكر الايمان بالله تعالى واليوم الآخر
في مقام دعوى الايمان والحال ان الايمان لا يتحقق بمجرد الايمان
بهما بل يجب الايمان به الوجه الاول من وجوه الجواب انهم انما
خصّوا الايمان بالله واليوم الآخر بيوم جزاء الاعمال والطف العقائد
من حيث ان الايمان بهما معظم اجزاء الايمان والايمان سائرها
يتفرع على الايمان بهما فكانهم عبّروا عن الايمان باعظم اجزائه
والثاني انما خصصوهما بالذكر ادّعاء منهم بانهم احاطوا الايمان
بجميع اجزائه لان المبدأ احد طرفي ما يجب الايمان به والمعاد
طرفه الآخر ومن آمن بهما فقد احتاز الايمان بجميع اجزائه
يهلله قوله هودا والهود جمع يهود فان الفرق بين المفرد
والجمع كما يكون بالتاء في تمرة وتمر يكون ايضا بالياء فيقال
مثلا يهودي وزنجي ورمي للواحد ويهود وزنج وروم للجمع
والقوم وان كانوا يقرّون بالله تعالى بالسنتهم ويظنون
انهم مخلصون فيه يكون هذا الاقرار لا يواطئ قلوبهم لان ما
ما اعتقدوه ليس ما اقرّوا به من حيث انهم اعتقدوا في حقه تعالى
ظلما قوله التشبيه حيث قال الموسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة
واعتقدوا فيه ايضا انه تعالى اتخذ ولدا حيث قالوا عزير ابن الله
وكذا يقرّون باليوم الآخر ايضا ويظنون اخلاصهم فيه لكن ما اقرّوا
به غير ما اعتقدوه فانهم يعتقدون ان الجنة لا يدخلها الا من كان
هودا وكذا النصارى يعتقدون انها لا يدخلها الا من كان نصارى
كما حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى وحكى عن اليهود ايضا انهم قالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودات سيعلم

صح الاصل

قوله ومرجعها منع اعتقادهم ان اهل الجنة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون بل يتلذذون بالنسيم والارواح العقلية كما سبق ونحو ذلك ليس اعتقاد الحقيقة فلا جرم كان قولهم آمنا باليوم الاخر نفاقا قوله ويرون بضم الياء والراء من الاراءة وهو في محل النصب على انه معطوف على اه قوله يؤمنون والحاصل انهم يؤمنون بالله واليوم الاخر على وجه لا يطابق ما عليه المؤمن به في حد نفسه ثم انهم يرون المؤمنين منهم انهم امنوا مثل ايمانهم وهو عين النفاق قوله انكار لما ادعوا لانفسهم اثباته فالنحلة والانتحال والتنحل كله بمعنى الدعاء فقوله ونفي ما انتحلوا اثباته من قبيل عطف بيان التفسير ولما بين ان المقصود من قوله وما هم بمؤمنين رد كلامهم وتكذيبهم فيه وانكار ما ادعوه اثباته لانفسهم ورد ان يقال ان المطابق لمقتضى الحال ح ان يقال وما آمنوا ليطابق دعواهم فان قولهم آمنا كلام في شان الفعل اي في بيان انه تحقق صادر عنهم وقوله تعالى وما هم بمؤمنين كلام في شان الفاعل اي في بيان انه بحيث لم يصدر عنهم ذلك الفعل بان القاعدة ان يقدم الذي شانه اهم وبيانه اعنى واكثر مقصدية فلما قدموا الفعل في قولهم آمنا فقد صرحوا بان عنايتهم متعلقة ببيان صدور الفعل عنهم لا ببيانه فاعليتهم لذلك الفعل فالرد الذي يطابق التصريح بنفي الفعل عنهم لا بنفي فاعليتهم له فاشار الجواب بقوله لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب ووجه كون تقديم الفاعل مفيدا للمبالغة في التكذيب انه لو قيل وما آمنوا لكان رد العين ما ادعوه ولما قيل وما هم بمؤمنين كان ردا لانخراطهم في سلك المؤمنين وكونهم معدودين في عدادهم الذي هو من لوازم ثبوت الايمان الحقيقي لهم فكان هذا القول نفيا لما هو اللازم لما ادعوه ومن المعلوم ان انتفاء اللازم اعدل شاهد واوضح دليل على انتفاء الملزوم فكان هذا القول نفيا للملزوم على آكد وجه وابلغه بالنسبة الى نفي الملزوم ابتداء قوله وكذلك اي ولقصد التاكيد والمبالغة في التاكيد اكد النفي بالباء ولذلك ايضا اطلق الايمان اذ لم يقل وما هم بمؤمنين بالله واليوم الاخر فان نفي الايمان المقيد بالطريق الاولى وفيه ايضا تاكيد النفي بنية عادلة بين قوله ليسوا من الايمان في شيء للبيان اي ليسوا في شيء من الايمان لا من الايمان بالله واليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما قوله ويحتمل ان يقيد الخ لما ذكر ان حذف مفعول مؤمنين لقصد التعميم لانه لو ذكر يتوهم ان نفيه مقصود على ما ذكر معه ذكر ههنا انه يحتمل ان يقيد الايمان المذكور وما هم بمؤمنين بما قيد به الايمان المذكور في قولهم آمنا بالله سح راله

إمّا مخادعة رسوله على حذف المضاف أو على أنّ معاملة الرسول معاملة الله
من حيث أنه خليفته كما قال تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله إن
الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وإمّا أن صورة صنيعهم مع الله تعالى
من إظهار الإيمان واستبطان الكفر وصنع الله تعالى معهم بإجراء أحكام
المسلمين عليهم وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الأسفل من النار
استدراجاً لهم وامتثال الرسول والمؤمنين أمر الله تعالى في إخفاء حالهم
وإجراء حكم الإسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المتخادعين
ويحتمل أن يراد بيخادعون يخدعون لأنه بيان ليقول أو استئناف
بذكر ما هو الغرض منه إلا أنه أخرج في زنة فاعل للمبالغة فإن الزنة لما
كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة
معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان
غرضهم في ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة
وأن يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الإكرام والإعطاء وأن يختلطوا
بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم ويذيعوها إلى منابذيهم إلى غير ذلك
من الأغراض والمقاصد **وما يخادعون إلا أنفسهم** قراءة نافع
وابن كثير وأبو عمرو والمعنى أن دائرة الخداع راجعة إليهم وضررها
يحيق بهم أو أنهم في ذلك خدعوا أنفسهم لما غرّوها بذلك وخدعتهم أنفسهم حيث حدّثتهم بالأماني الفارغة وحملتهم على مخادعة
من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لأن المخادعة لا تتصوّر
إلا بين اثنين وقرئ وما يخدّعون من خدّع ويخدعون بمعنى يختدعون
ويُخدَعون ويُخادَعون على البناء للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض

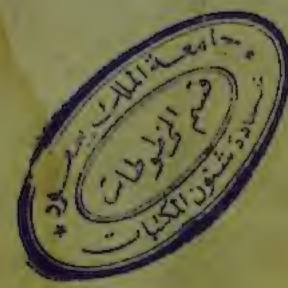
والنفس

والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لأن نفس الحي به وللقلب
لأنه محل الروح أو متعلقه وللدم لأن قوامها به وللماء لفرط حاجتها إليه
وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لأنه ينبعث عنها أو يشبه ذاتاً تأمره
وتشير عليه والمراد بالأنفس هاهنا ذواتهم ويحتمل حملها على أرواحهم و
آرائهم **وما يشعرون** لا يحسّون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال
الخداع ورجوع ضرره إليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى إلا على مؤوف
الحواس والشعور الإحساس ومشاعر الإنسان حواسه وأصله الشعر ومنه
الشعار **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً** المرض حقيقة
فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله
ومجاز في الأعراض النفسانية التي يخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد
والضغينة وحب المعاصي لأنها مانعة عن نيل الفضائل أو مؤدية إلى
زوال الحياة الحقيقية الأبدية والآية الكريمة تحتملها فإن قلوبهم كانت
متألمة تحرقاً على ما فات عنهم من الرياسة وحسداً على ما يرون
من ثبات أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واستعلاء شأنه يوماً فيوماً
وزاد الله غمهم بما زاد في إعلاء أمره وإشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤفة
بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوها فزاد الله
ذلك بالطبع أو بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان إسناد
الزيادة إلى الله تعالى من حيث أنه مسبب من فعله وإسنادها إلى السورة في قوله
فزادتهم رجساً لكونها سبباً ويحتمل أن يراد بالمرض ما داخل في قلوبهم من
الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله تعالى بهم بالملائكة
وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم

نصرة على الاعداء وتبسّطاً في البلاد ولهم عذاب اليم اى مؤلم يقال
ألِمَ فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله
تحيّةُ بينهم ضربٌ وجيع على طريقة قولهم جدّ جدّه بما كانوا يكذبون
قرءها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم
وهو قولهم آمنا وقرء الباقون يكذّبون من كذّبه لانهم كانوا يكذبون
الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذّب الذي هو للمبالغة
او التكثير مثل بيّن الشيء وموّتت البهائم او من كذّب الوحشيّ اذا جرى
شوطاً ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحيّر متردد والكذب هو الخبر عن
الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كلّه لانه تعالى علّل به استحقاق العذاب
حيث رتّب عليه وما روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات
فالمراد التعريض ولكن لمّا شابه الكذب في صورته سمّي به واذا قيل لهم لا
تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روى عن سلمان رضى
الله تعالى عنه ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهلها ليس الذين
كانوا فقط وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير
الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمّان
كل ضارّ ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين
وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدى الى فساد ما في
الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال
بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخلّ بنظام العالم والقائل
هو الله تعالى او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او بعض المؤمنين وقرء الكسائي وهشام
باشمام الضم الاول قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا وردّ للناصح على سبيل المبالغة

والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة
عن شوائب الفساد لان انما تفيد حصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق
وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم
من المرض كما قال تعالى افمن زيّن له سوء عمله فرآه حسنا الا انهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون ردّ لما ادّعوه ابلغ ردّ للاستيناف وتصديره بحرفي التأكيد الا المنبهة
على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا
ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى
به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وانّ المقررة للنسبة وتعريف الخبر
وتوسيط الفصل لردّ ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك
بلا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان
بمجموع الامرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان
بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن الناس في حيّز النصب على المصدر وما
مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في
الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسمّاه مطلقا
يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن
غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صمّ بكم عمي ونحوه وقد
جمعهما الشاعر في قوله ∴ اذ الناس ناس والزمان زمان ∴ او للعهد والمراد به الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه
والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم
واستدلّ به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد

قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسّر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالا واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتذكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن أبي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه لرسول الله وماله
صلى الله



صلى الله تعالى عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه ألقيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى وإذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاول دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف فكان الشياطين قالوا لهم انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت



واستجيب واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف **الله يستهزئ بهم** يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له فى القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان واما فى الاخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى يجازيهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزائهم لا يؤبه به فى مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين **ويمدهم فى طغيانهم يعمهون** من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد فى العمر فانه يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه

قلوبهم

قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشياطين من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغى وقال واخوانهم يمدونهم فى الغى او اصله يمد لهم بمعنى يملى لهم ويمد فى اعمارهم كى يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد فى العصيان والغلو فى الكفر واصله تجاوز الشئ عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير فى الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاى العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر واخذه بايع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره سواء كان من المعانى او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا فى غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذى جعل الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا

اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى **فما ربحت تجارتهم**
ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء فى معاملتهم اتبعه ما يشاكله
تمثيلا لخسارتهم ونحوه ولما رأيت النسر عزّ ابن داية وعشش فى وكريه
جاش له صدرى والتجارة طلب الربح بالبيع والشرى والربح الفضل
على رأس المال ولذلك سمى شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على
الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح
والخسران **وما كانوا مهتدين** لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة
رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة
السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم
واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى ادراك الحق
ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين الاصل **مثلهم**
كمثل الذى استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل
زيادة فى التوضيح والتقرير فانه اوقع فى القلب واقمع للخصم الالد لانه
يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله تعالى فى كتبه
الامثال وفشت فى كلام الانبياء والحكماء والمثل فى الاصل بمعنى النظير
يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر
الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه
من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل
قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى و
المعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذى بمعنى الذين
كما فى وخضتم كالذى خاضوا لانه جعل مرجع الضمير فى بنورهم وانما جاز

ذلك ولم

جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف
بل الجملة التى هى صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم
تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواته فيستوى فيه
الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى
ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التى عليها التنزيل ولكونه مستطالا
لابصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم
اقتصر على اللام فى اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين
او الفوج الذى استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو
سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان
فيها حركة واضطرابا **فلما اضاءت ما حوله** اى النار ما حول المستوقد ان
جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتأنيث لان ما حوله اشياء
واماكن او الى ضمير النار وما موصولة فى معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة
وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله**
بنورهم جواب لما والضمير للذى وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال
بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استيناف اجيب به اعتراض
السائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره او بدل
من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب
محذوف كما فى قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالتباس واسناد الاذهاب
الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفى او امر سماوى
كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها معنى
الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وامسكه

وما اخذه الله تعالى واسكته فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو
مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما
في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا
يرى كيف قرر ذلك واكده بقوله **وتركهم في ظلمات لا يبصرون**
فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها
بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول
واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله تعالى وتركهم في ظلمات
وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما
ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم
ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله تعالى
وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون
من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله
تعالى لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي
متحيرا متحسرا ~~ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره~~
تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون
فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين
خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له او من ارتد عن
دينه بعد ما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب
الله تعالى عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه
يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين

والباء للتعدية وحقن الدم منعه من ان يسفك

في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة وبذهاب اثره وانطماس
نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها
صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان
ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كانما ايفت
مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء
عندهم اذنوا وقوله اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين
اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى
ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة
كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم
ومن ثمه ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما
قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا و
ان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي
وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير
للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي
على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم
وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصل صلابة
من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي
به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف
فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم
البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة **فهم لا يرجعون**

لا يعودون الى الهدى الذى باعوه وضيعوه او عن الضلالة التى اشتروها او فهم
متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون والى حيث ابتدأوا منه كيف
يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة بسبب تحيرهم
واحتباسهم **او كصيب من السماء** عطف على الذى استوقد اى كمثل ذوى
صيب لقوله تعالى يجعلون اصابعهم واو فى الاصل للتساوى فى الشك ثم
اتسع فيها فاطلقت للتساوى من غير شك مثل جالس الحسن او ابن
سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوى فى حسن
المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب ومعناه ان قصة
المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء فى صحة التشبيه بهما وانت
مخير فى التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول
يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ وأسحم دان صادق الرعد صيب
وفى الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء
للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى
سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به
ما فى الصيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء
السحاب فاللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات ورعد وبرق** ان اريد بالصيب
المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله
مكانا للرعد والبرق لانهما فى اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب
فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا
لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان
سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد

والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشئ بريقا وكلاهما مصدر فى الاصل و
لذلك لم يجمعا **يجعلون اصابعهم فى آذانهم** الضمير لاصحاب الصيب
وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان
يعول عليه كما عول حسان فى قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق
السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر
ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق
الاصابع موضع الانامل للمبالغة **من الصواعق** متعلق بيجعلون اى من اجلها
يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر
بشئ الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل
مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة
الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين
فى التصرف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهى
فى الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما فى الراوية او مصدر
كالعافية والكاذبة **حذر الموت** نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم
ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت زوال الحيوة وقيل عرض
يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام
مقدرة **والله محيط بالكافرين** لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط
لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها **يكاد البرق يخطف
ابصارهم** استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق
وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه
لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهى

أخص ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون
فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لافادة
بالدلالة على الاستقبال وقد تدخل ان عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف
عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ
يخطِف بكسر الطاء ويَخَطِّف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم
ادغمت في الطاء ويخِطِّف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها
ويتخطف **كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا** استئناف ثالث كانه قيل
ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء
اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نوّر لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى
كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا
من ظلم الليل ويشهد له قراءة أُظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام
هما اظلما حاليّ ثمّت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب
فانه وان كان من المحدثين لكنه من العلماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله
بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص
على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى
قاموا وقفوا ومنه قام السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد **ولو
شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم** اي ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم
بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة
الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب
كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها
الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه
وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة

وفائدة

وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه
والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وان
وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته وقوله **ان الله على كل شيء قدير**
كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء
اطلق بمعنى شاءٍ تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال اي شيء اكبر شهادة
قل الله شهيد وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله تعالى وجوده
فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء
فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو
يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم
التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد
الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من
الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء
فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به
غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار
قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه
والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله تعالى لانه شيء
وكل شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو
ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامّت اجزاؤه وتلاصقت حتى
صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم
يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال
الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين

من [illegible] والشدة بما [illegible] من طفئت ناره بعد ايقادها او ظلمة او سحاب

من انفك به الشتاء بحيل مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من

الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تأخذ اشياء فرادى

فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات

ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرء القيس: كأن قلوب الطير

رطبا ويابسا، لدى وكرها العناب والحشف البالى .. بان يشبه في الاول

ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما

انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة

النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وبافشاء

حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب

بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط للكفر

والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان

نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم

حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل

الاصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد

من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم

لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق

خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى

يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل

شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي

هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتبكت بها

من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات

وشبه ما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق

وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف

صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى

والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد

تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم

وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم

اذا اظلم عليهم ونبه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم

على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم

انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله

لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس

اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم

اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له

واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة

ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد

اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد

او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو

مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب الفعل واي جعل وصلة

الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين

حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود

بالندى وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت

... ها التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه اى من المضاف اليه واثما كثر النداء على هذه الطريقة فى القرآن لاستقلاله باوجه من التأكيد وكل ما نادى الله تعالى له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملئكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضى الله تعالى عنهم اجمعين بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد معنى لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلتين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصصه الدليل وما روى عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكى ويا ايها الذين آمنوا فمدنى ان صح رفعه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي التربية **الذى خلقكم** صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقى والآلهة التى يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء

واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس **والذين من قبلكم** متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب على الضمير المنصوب فى خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثانى بين الاول وصلته تأكيدا له كما اقحم جرير فى قوله يا تيم تيم عدى لا ابا لكم تيما الثانى بين الاول وما اضيف اليه **لعلكم تتقون** حال من الضمير فى اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرى من كل شيء سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغى ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم فى صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعى اليه وغلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اى خلقكم لكى تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت فى اللغة والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته تعالى واستحقاقه للعبادة النظر فى صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم

قوله وان حالهم متمحضة الخ اشارة
الى انه من قبيل قصر الافراد فانهم لما نهوا عن الفـ
توهموا انه قد حكم عليهم بانهم يخلطون الافساد بالاصلاح
فاجابوا بانهم مقصورون على محض الاصلاح لا يشوبه شيء
من وجوه الفساد والفساد قوله لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده
تعليل لكون المعنى ما ذكره بقوله فان ثابتا الخ فان دخل انما على الموصوف
مثال الاول انما زيد منطلق ومثال الثاني انما ينطلق زيد وسمى قصر الحكم
على الشيء الاول قصر الشيء على الحكم قوله وانما قالوا ذلك يعني انما قالوا
انما نحن مصلحون لاعتقادهم ما هم عليه من ابطان الكفر ومخادعة المسلمين
ومعاونة الكفار عليهم وتعويقهم عن الايمان الا انهم ينكرون ذلك بالسنتهم
ويدعون ان اصطلاح جحودا وعنادا بل قالوا ذلك (افسادا صح) بناء على انهم تصوروا
الفساد بصورة الصلاح من حيث انهم اعتقدوا في دينهم انه هو الصواب
عندهم الا انهم لا طاقة لهم على اظهار دينهم واعتقادهم عند المسلمين
وان يحكموا عليه بانه هو الصلاح والصواب وما عليه المؤمنون هو الفساد
فلا بد ان يحمل قولهم انما نحن مصلحون على التعريض والايهام بناء على
انهم كانوا يوهمون المسلمين انهم مصلحون في دين الاسلام وكان في
ضميرهم انهم مصلحون في دينهم لا في دين الاسلام ومفعول يشعرون
انما يحذف اختصارا اي لا يعلمون انهم مفسدون لانهم لا يظنون الذي هم عليه
من ابطان الكفر وميلان الكفار على المسلمين ونحو ذلك اصلاح واما اقتصارا على
بيان مجرد نفي الشعور عنهم وهو الادراك بالحواس ومن انتفى عنه العلم برسم
قوله رد لما ادعوه ابلغ رد فانهم لما ادعوا كونهم مصلحين وبالغوا فيها بايراد الكلام
على صورة الجملة الاسمية المصدرة بانما الدالة على تأكيد الحكم وقصرهم انفسهم على الصلاح
بولغ في ردهم بوجوه متعددة الاول انه سلك في ردهم مسلك الاستيناف فانه لكونه
مساقا الى السامع بعد السؤال والطلب يكون ادل على تمكين الحكم في ذهنه من الذي
سمع ابتداء بلا تعب والثاني تصدير تلك الجملة المستانفة بكلمة الا المركبة من همزة الانكار
وحرف النفي فتفيد بذلك تحقق ما بعدها لان انكار النفي تحقق للاثبات وكذا اما
كلمة اما فانها ايضا مركبة من همزة الاستفهام التي هي للانكار وحرف النفي لافادة
التنبيه على تحقيق ما بعده لكنهما بعد التركيب صارتا كلمتي تنبيه وذهب كثير من
النحاة الى انهما لا تركيب فيهما ونظيرهما الهمزة الداخلة على ليس في كونها
لتحقيق ما بعدها فان قوله تعالى اليس ذلك بقادر يفيد
تحقيق قادريته وتقديره
شيخ زاده

٩٦٦ الجواب عما كذب ابراهيم

قوله وماروي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فكيف كذب قوله اني سقيم

يقال اذا كان الكذب قبيحا فكيف كذب ابراهيم كذبات الاولى قوله اني سقيم ولم يفعل الصنم

عليه الصلوة والسلام ثلاث قوله بل فعله كبيرهم ولم يفعل وارادان يغصب زوجته

وليس بسقيم وثانيها قوله بل فعله الملك الشام حين الكذبات الثلاث قوله هذا ربي

الكبير غضبا وثالثها قوله للملك فرأى كوكبا وحين رأى القمر وحين رأى الشمس

بسارة هذه اختي وهي زوجته لا اختي وقيل الكذبات تشبيها لها بالكذب لكونها في

ثلاث مرات حين ما جن عليه الليل فرأى كوكبا على سبيل المجاز تشبيها بها بالكذب بالاراء ان جانب

وتقرير الجواب ان اطلاق الكذب عليها على سبيل التعريض فان ارادته الكذب عن الذهاب

صورة لانها ليست كذب في الحقيقة بل هي تعاريض والتعريض فان اراد سقيم في الحال ليتركوه عن الذهاب

والغرض منه جانب اخر فقوله اني سقيم واراد انه سقيم القلب منهم جانب اخر وهو انه سقيم

معهم الى عيد لهم ويخلوا بسبيله فيكسر اصنامهم لكن الغرض منه جانب احوالها او انه سقيم

لما علم من ذلك بامارة من النجوم من حيث كونه عالما باحكامها واحوالها او انه سقيم

لما يجد من الغيظ الشديد باتخاذهم النجوم الهة وقوله بل فعله كبيرهم او هم ان

الكبير كسر الصغار غيرة على تعظيمكم اياها فاستحقاق العبادة التعظيم والزيادة

الاشعار بعدم قدرته عليه وان من عجز عن ان يدفع عن نفسه مثل هذا الصغير الهة

كيف يكون الها فالاله يصلح هو الالوهية في الصغار المكسورين اولى ان لا تكون الهة

وقوله هذه اختي او هم الملك انها اخته من جهة النسب والغرض منه الاخوة في الدين

وانتسابهما الى دين واحد واراد بذلك تخليصها من يد الظالم فان ذلك الملك كان

من قوانين سياسته ان لا يتعرض الا لذوات الازواج واللاتي لا ازواج لهن لا

سبيل له عليهن الا اذا رضين فاوهم انها ليست بذوات زوج ليخلصها منه وقوله هذا

ربي على كلامهم على سبيل الالتزام والغرض ارضاء العنان مع الخصم في المحاورة كانه يعرض ربوبيته

تنبيها على خطائهم في اتخاذ المتغيرة الحادثات المتكون قوله وماروي سلمان الفارسي اشارة

الى جواب ما يقال عطفه على يكذبون او يقولها يستلزم ان يكون الذين نهوا عن الافساد

في الارض هم المنافقون الذين كانوا في زمن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا وقالوا امنا او

هو ينافي ما روي من انهم لم ياتوا بعد وجوابه ان المنافاة انما تلزم ان لو كان معنى قوله

لم ياتوا بعد ما يفهم من ظاهره وليس كذلك

السابقة فيه كاخذ الاجر قبل العمل **الذي جعل لكم الارض فراشا**
صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتداء خبره فلا تجعلوا
وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا
كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب
وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير
يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا
ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها
متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعدوا وينامو
عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها
مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها **وانزل من السماء**
قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار
والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة
او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا
ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج
الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في
اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها
وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي
الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد
الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له تعالى

في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار
عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة ومن الاولى
للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان
المطر يبتداء من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر
او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء
فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات
واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء
فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا الواقع اذ لم ينزل من
السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا او
للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما
ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التي
في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرء من الثمرة على التوحيد
او لان الجموع يتعاور بعضها موضع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات
وعيون وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن
حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد
به المصدر كانه قال رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله اندادا** متعلق باعبدوا
على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل
على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها
غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان
استأنفت به على انه نهي وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا

والفاء المسببة ادخلت عليه لتضمن المبتدأ ... الشرط والمعنى ... من ... بهذه النعم الجسام العظام والآيات العظام ينبغي ان لا
يشرك به الند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا
وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته
خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر
وتسميته ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه
في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته
الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات
واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد
الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع
ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا
واحدا ام الف رب ادين اذا انقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل البصير **وانتم تعلمون** حال من ضمير فلا تجعلوا
ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة
الرأي فلو تأملتم ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات
منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو
انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد
الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في
التكليف **واعلم** ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي
عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر

بالعبادة

بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين
ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم
من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم
والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر
عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك
به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق
فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه الظاهر
من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن
بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل
العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس
وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من
ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل
المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا **وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة** لما قرر وحدانيته وبين الطريق
الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة
كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من
العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم
على المعازة والمغازة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من
عند الله كما يدعيه وانما قال سبحانه مما نزلنا لان نزوله نجما
فنجما بحسب الوقايع على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة

منه [illegible] كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة و
الزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص
به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة
من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية
منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة
على حيالها او محتوية على انواع من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها
او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة
في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى
فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب
القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية او
القطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق
الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب
فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا
او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما و
فاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به
الى غيرها من الفوائد **من مثله** صفة سورة كائنة اى بسورة
كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند
الاخفش اى بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا
ومن للابتداء اى بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا
لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل

اوجه لانه المطابق لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدي
ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب
والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من
ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر
مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا
يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائم قوله **وادعوا شهداءكم
من دون الله** فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه
سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور
اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر
ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه
تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اى خذه من ادنى
مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اى في الشرف ومنه الشيء
الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر
قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اى لا يتجاوزوا
ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق
ولا للسبع بنات الدهر من راق اى اذا تجاوزت وقاية الله تعالى فلا يقيك
غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم
معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر ان يأتي بمثله
الا الله تعالى او ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما آتيتم به مثله

ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة
او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او آلهة وزعمتم انها
تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدى الله تعالى على زعمكم
من قول الاعشى ؎ تريك القذى من دونها وهى دونه ؎ ليعينوكم وفى امرهم
ان يستظهروا بالجماد فى معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم
وقيل من دون الله اى من دون اوليائه يعنى فصحاء العرب ووجوه المشاهد
ليشهدوا لكم ان ما آتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد
لصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله **ان كنتم صادقين**
انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار
المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه
تعالى كذب المنافقين فى قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد
ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم
ما كانوا عالمين به **فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها**
الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كا
لفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم فى معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان
بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به
واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذى يعم الاتيان
وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى
عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية
بان الذى للشك والحال يقتضى اذا الذى للوجوب فان القائل سبحانه

وتعالى لم يكن شاكا فى عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء
تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن
محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع
متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط
كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن
كلا فى نفى المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل
فى احدى الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا
فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح هو ما توقد به النار وبالضم المصدر وقد
جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا
والاسم بالضم ولعله مصدر سمى به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد
قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف
اى وقودها احتراق الناس والحجارة وهى جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو
قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التى نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها
طمعا فى شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم
كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة فى تحسرهم
وقيل الذهب والفضة التى كانوا يكنزونهما ويغترون بهما وعلى هذا لم يكن
لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت
وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم
لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان
ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلعله عنى به ان الاحجار

[illegible] تلك النار [illegible] مدنية

[illegible] بعد ما نزل جملة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس

والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة [illegible]

تكون قصة معلومة **اعدت للكافرين** هيئت لهم وجعلت

عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف

او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا

للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما

فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة با

بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة

من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة

لم يتصدوا لمعارضته والتجاوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما

يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه

عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه

صلى الله تعالى عليه وسلم لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة

مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله تعالى اعدت للكافرين دل على ان النار

مخلوقة معدة لهم الآن **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات**

عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف

ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية

من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف

ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب به ما يشاكله من امر

ونهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي

[illegible] استوجب العقاب [illegible]

[illegible] ان يخوف [illegible] ويبشر هؤلاء وانما امر النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان

يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم

وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنئوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على

البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه

يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول

حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى

عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب

اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات

جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة

قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني

وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او

الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا

بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين

فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح

كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل

على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما

هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضمار

نحو الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار

التركيب على الستر يسمى بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه

[illegible] ما تحته سترة واحدة [illegible] غض في مقتلة [illegible] من النواضح

[illegible] اي بخلاط الا [illegible] ان لما فيها من الاشجار المتكاثفة

المظللة [illegible] دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت [illegible]

في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم

الآية وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سبع

جنة الفردوس وجنة عدن وجنة نعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام

وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال

والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل

الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما

يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر

عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت

وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم

لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيدها

ههنا استغناء بها **تجري من تحتها الانهار** اي من تحت اشجارها كما

تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطيها وعن مسروق انهار

الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان

فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله انهار من

ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون

البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز

او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض

اثقالها **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا** صفة ثانية

لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كانه لما قيل ان لهم جنات

وقع في خلد السامع [illegible] ثمارها مثل [illegible] الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك

وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء

واقعتان موضع الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين او مرة رزقوا مرزوقا

مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات

وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال

الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما

في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى

نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع

المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا

مثل الذي رزقنا من قبل ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك

ابو يوسف ابو حنيفة **من قبل** اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من

جنس ثمر الدنيا لتميل اليه النفس اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المألوف

متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد

ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكى

عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها

مثل الاول فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف

او كما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل

من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل

الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر

لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي

[illegible]

[illegible] والتشابه البليغ في الصور [illegible] وأتوا به متشابها [illegible]

[illegible] ذلك والضمير على الاول الى ما رزقوا في الدارين [illegible]

بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولى بهما اى بجنس الغنى والفقر وعلى الثاني الى الرزق فان قيل
التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في الجنة من اطعمة الدنيا
الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الا
سم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للآية
محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من
المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل
ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في
الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما
كنتم تعملون ونحوه في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما
يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع
وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ
مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن
فاعلة وفواعل قال ... واذا العذارى بالدخان تقنعت ... واستعجلت
نصب القدور فملت ... فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة
ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة
ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج

[illegible]

المطعوم [illegible] ودفع ضرر الجوع ولذة المنكوح التوالد وحفظ النوع [illegible]
[illegible] قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك
نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الا
ستعارة والتمثيل ولا تشاركها تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد
عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام
او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على
حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله خالدين
فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا
والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق
الجسم للانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام
ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من
اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال
فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة
بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها
على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن
هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف
البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن
والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام
فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب
الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم

إن الله لا يستحيي

خوف الفوات [illegible]

ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة [illegible]

التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه [illegible]

على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة [illegible]

والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب

عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه

عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل

الى الحس وحب المحاكات ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت

في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير كما يمثل العظيم بالعظيم

وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب

القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع

من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار

لما مثل الله تعالى حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة

الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس

قدرا منه الله تعالى اعلا واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت

وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه

وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه

فقال ان الله لا يستحيي اى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي

ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو

الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي

هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار

[illegible]

من ذنب [illegible] وحسن [illegible] واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله

[illegible] ان يعذب [illegible] حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان

يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد

من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من

يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد

وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الاية خاصة ان يكون

مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم

واصله وقع شيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من

منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة

ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اى اى كتاب

كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضايع

فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان

تذكر مع غيرها فيفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة

عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما

مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل

ما وجوها اخر ان يكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى

تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على

الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال

بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو

احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وما ديناران والبعوض

معوا من بعض وهو ... كالبعوض ... كالخموش فيما
فوقها ... بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما ... كالذباب
والعنكبوت ... انه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيى ... ضرب المثل
بالبعوضة فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر
والحقارة كجناحها فانه صلى الله تعالى عليه وسلم ضرب به مثلا للدنيا ونظيره في
الاحتمالين ما روى ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضى الله
تعالى عنها سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما من مسلم يشاك شوكة
فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز
الشوكة في الالم كالخرور او ما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم ما اصاب المسلم من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما
الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف تفصيل يفصل ما اجمل
ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما
زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اى هو ذاهب لا محالة و
انه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها
حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين
به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير
في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان
الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت
ومنه ثوب محقق محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه
واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم
هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه

ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي
وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اى شيء منصوب
المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب
على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث
يحملها عليه وتقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله
وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته
فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى
هذا لم يكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه
الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر
وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار
فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او
الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
جواب ماذا اى اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار
بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه
حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده ضلال
وفسق وكثرة كل واحد من القبيلتين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم
فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال الله تعالى وقليل من
عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين
باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا وكثير اذا شدوا وقال ان الكرام
كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل به الا الفاسقين
اى الخارجين عن حد الايمان لقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون

من قولهم فسقت الرطبة [illegible] اذا خرجت [illegible] الفسق الخروج عن
[illegible] فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن
امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها
احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال
بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام
وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام في درجة التغابي
والانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان
ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان
عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه
قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض
الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم
للاضلال وادى بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرار
هم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى
رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ
يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع **الذين ينقضون عهد الله**
صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في
طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل
لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا
للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل
في اثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف
الناس منه فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته

والعهد الموثق ووضعه لما من شأنه ان [illegible] كالوصية واليمين و
يقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها [illegible] لانه يحفظ وهذا العهد اما
العهد المأخوذ بالعقل [illegible] الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده [illegible]
وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه
واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل عهود الله تعالى ثلثة عهد
اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين
بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا
يكتموه **من بعد ميثاقه** الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي
الاستحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من
الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء
النقض بعد الميثاق **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا
يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين
الانبياء عليهم الصلوة والسلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة
وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله تعالى وبين
العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل
وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية له
للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد
يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض
على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض**

بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى بها نظام العالم وصلاحه
اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص
ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن فى الآيات بالايمان
بها والنظر فى حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد
بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب
لكفرهم بانكار الحال التى يقع عليها على الطريق البرهانى لان صدوره لا ينفك
عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار
وجوده فهو ابلغ واقوى فى انكار الكفر من أتكفرون واوفق لما بعده من الحال
والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم
على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف
ذلك والمعنى اخبرونى على اى حال تكفرون وكنتم امواتا اى اجساما لا حيوة
لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم
بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير
متراخ عنه بخلاف البواقى ثم يميتكم عند تقضى آجالكم ثم يحييكم بالنشور
يوم ينفخ فى الصور او للسؤال فى القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر
فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم
مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم
لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب
لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما وفى الآية الكريمة
تنبيه على ما يدل على صحتها وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان
يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلتين

قاله سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح
صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب
عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر
قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التى هى الحيوة الحقيقية كما
قال تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان كانت من النعم العظيم مع ان المعدود عليهم
نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة
من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع
المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور
منكم الكفر وكنتم امواتا اى جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم
يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون
فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة
حقيقة فى القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيوانا مجاز فى
القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل
كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما
يقابلها فى كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان
الله يحى الارض بعد موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشى به فى الناس واذا وصف بها البارى سبحانه وتعالى اريد بها صحة اتصافه
بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة او معنى قائم بذاته يقتضى ذلك على الاستعارة وقرأ
يعقوب ترجعون بفتح التاء فى جميع القرآن هو الذى خلق لكم ما فى
الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء

قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم
ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم
بوسط او بغير وسط او دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف بما يلائمها من
لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل
على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء
النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على
ان الكل للكل لا ان كل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها
جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني
ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم
المرسل اذا قصد قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب
السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن
حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال
قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق ... والاول اوفق
للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه
الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل
خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه
يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض
المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها
مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم اشد مثل تعرف الارض وتدبر
امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر **فسواهن** عدلهن وخلقهن مصونة من
العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع

والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا **سبع سموات** بدل او تفسير فان
قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه
شكوك وان صح فليس في الآية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي
لم يبق خلاف **وهو بكل شيء عليم** فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما
بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال
بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان
اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من
عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد
ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجتمع اجزاء كل بدن
مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها
كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة
الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها جل وعلى في هاتين
الآيتين الكريمتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى
البرهان عليها بقوله سبحانه وتعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان
تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها
وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه تعالى عالم
بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى
قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم
واحيائهم وانه تعالى خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى
فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قد
رته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو وهو فهو تشبيها له

بعضٍ وَاِذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلَئِكَةِ اِنّي جاعِلٌ فِي الاَرضِ خَليفَةً تعداد لنعمة
ثالثة تعمّ الناس كلّهم فانّ خلق آدم عليه الصلوة والسلام واكرامه
وتفضيله على سكان ملكوته بان امرهم بالسجود انعام يعمّ ذريته
واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان
نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى ولذلك تجب اضافتهما الى الجمل
كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة
ومحلهما النصب ابدا على الظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرنا
واما قوله واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث
اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية
قالوا او اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن
كثيرا او مضمر دلّ عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدء خلقكم اذ قال
وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن
معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل والتاء لتأنيث
الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين
الله تعالى وبين الناس فهم رسل الله تعالى او كالرسل اليهم و
اختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة
قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة
على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك
وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة
للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في
الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه

عن الاشتغال بغيره كما وصفهم سبحانه وتعالى في محكم تنزيله فقال
يُسَبِّحونَ اللَّيلَ وَالنَّهارَ لا يَفتُرونَ وهم العليون والملائكة المقربون
وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به
القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات
امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب
الطوالع والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل
ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى
اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة
فدمّرهم وفرّقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان
وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه
ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه
والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه الصلوة والسلام لانه كان خليفة
الله تعالى في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض و
سياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى
الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير
وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى وَلَو جَعَلناهُ مَلَكًا لَجَعَلناهُ
رَجُلًا الا ترى ان الانبياء عليهم السلام لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم
بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان
منهم اعلا رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات و
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم
لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري سبحانه وتعالى

عكرمة العضروف امّا مناسب لهما لياخذ من هذا ويعطى ذاك او خليفة من
سكن الارض قبله او هو و ذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف
بعضهم بعضاً وافراد اللفظ امّا للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما
استغنى بذكر ابى القبيلة فى قولهم مضر وهاشم او على تأويل من يخلف
او خلفاً يخلف وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم
شان المجعول بان بشّر بوجوده سكّان ملكوته ولقّبه بالخليفة قبل
خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه
وبيان ان الحكمة تقتضى ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير
لاجل الشر القليل شرّ كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء تعجّب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها
من يفسد فيها او تعجّب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية
واستكشاف عما خفى عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد والغتها
واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما
يختلج فى صدره ليس باعتراض على الله سبحانه وتعالى ولا طعن فى بنى آدم
على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل
عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او تلقّ من اللوح المحفوظ او
استنباط عما ركز فى عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد
الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشنّ انواع من الصبّ
فالسفك يقال فى الدم والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح فى
الصبّ من اعلى والشنّ فى الصبّ عن فم القربة ونحوها وكذا السنّ وقرئ

يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا
او موصوفا محذوفا اى يسفك الدماء فيهم ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس
لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق
المحتاج والمعنى أتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود
منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين
فى الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة
ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى
الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا
اليها مفردة وقالوا ما الحكمة فى استخلافه وهو باعتبار تينك
القوتين لا تقتضى الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار
القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك
المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة
مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة
الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد
كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع
الكائنات من القوة الى الفعل الذى هو المقصود من الاستخلاف واليه
اشار سبحانه وتعالى اجمالا بقوله قال انى اعلم ما لا تعلمون
والتسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء وكذا التقديس من سبّح فى الارض
اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدّس اذا طهّر لان مطهّر الشئ مبعّده
عن الاقذار وبحمدك فى موضع الحال اى ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا
معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح

الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا
الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي
هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدس لك
واللام مزيدة وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا إما بخلق علم ضروري بها
فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم
فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم
اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الأدمة او الأدمة بالفتح بمعنى
الأسوة او من اديم الارض لما روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه تعالى
قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك
يأتي بنوه اخيافا او من الأدم او الأدمة بمعنى الالفة تعسف
كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الا
بلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه
الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ
الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة
بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد
الازمنة الثلثة والمراد في الآية الكريمة اما الاول او الثاني وهو يستلزم
الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني
والمعنى انه سبحانه وتعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة
مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات و
المتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها و
واسمائها واصولها العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثُمَّ
عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير
اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام
كقوله تعالى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات
فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات
الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء و
قرئ وعرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فَقَالَ
أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم على امر الخلافة
فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب
الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف
بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلا
فهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم
والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض
ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قَالُوا سُبْحَانَكَ
لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا اعتراف بالعجز والقصور
واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم
ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته
بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم
كله اليه سبحانه وتعالى وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد
يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما

للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله ❀ قد قلت لما جاءني فخره ❀ سبحان من علقمة الفاخر ❀ وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين **انك انت العليم** الذي لا يخفى عليه خافية **الحكيم** المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل وان لم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان **قال يا آدم انبئهم باسمائهم** اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما **فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وتكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به

وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم عليه السلام فيكون من الله تعالى وان مفهوم الحكيم زائد على مفهوم العليم والا لتكرر قوله تعالى انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم عليه الصلوة والسلام افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا لفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ❀ بجمع تضل البلق في حجراته ❀ ترى الاكم فيه سجدا للحوافر ❀ وقال ❀ فقلن له اسجد لليلى فاسجدا ❀ يعني البعير اذ طاطا رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل للموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور

ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللاً لما راوا فيه
من عظيم قدرته وباهر اياته وشكراً لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه
كاللام في قول حسان ** اليس اول من صلى لقبلتكم ** واعرف الناس بالقران والسنن
او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم
عليه السلام تحية وتعظيماً له كسجود اخوة يوسف عليه السلام له او التذلل
والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم و
الكلام في ان المامورين بالسجود الملئكة كلهم او طائفة منهم ما سبق
فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكباراً من ان
يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى
فيما فيه خيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وكان من الكافرين**
اي في علم الله تعالى او صار منهم باستقباحه امر الله تعالى اياه بالسجود
لآدم اعتقاداً بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول
والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جواباً لقوله ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده
والاية تدل على ان آدم عليه السلام افضل من الملائكة المامورين بالسجود
له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم
ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان
من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلاً ومن الملئكة نوعاً ولان
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما روى ان من الملئكة ضرباً يتوالدون يقال لهم الجن
ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملئكة ان يقول انه كان جنياً
نشا بين اظهر الملئكة وكان مغموراً بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن

ايضا كانوا مامورين مع الملئكة لكنه استغنى بذكر الملئكة عن ذكرهم فانه اذا علم
ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون
به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلتين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود
الا ابليس وان من الملئكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما
ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضرباً من الملئكة لا يخالف
الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس
والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فلذلك
صح عليه التغير من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله الا ابليس كان من الجن
ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملئكة خلقت من نور والجن من نار
لما روت عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال خلقت الملئكة من النور
وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضيء
والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه
من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى
نكصت عادت الى الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان
الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن
فوائد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث
على الايتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله تعالى
من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان
كان بحكم الحال مؤمناً وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري
رحمه الله تعالى **وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة** السكنى من السكون
لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم

يطاطيبها الوالي تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب

فان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين

او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لادم عليه السلام وحمل الاهباط على الانتقال

منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا **وكلا منها رغدا** واسعا رافها صفة مصدر

محذوف **حيث شئتما** اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة و

العذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر **ولا تقربا**

هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي

هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها

على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما

هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما

حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين

ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة و

النعم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة

هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين

من غير قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين

وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء **فازلهما الشيطان عنها** اصدر زلتهما عن

الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري

او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان

في المعنى غير ان زل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد

وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من

الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه هل تمثل

لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلا

لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على وجه التكرمة

كما يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لادم عليه السلام وحوى وقيل

قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم

الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى **فاخرجهما مما**

كانا فيه اي من الكرامة والنعيم **وقلنا اهبطوا** خطاب لادم وحوى لقوله تعالى قال

اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما و

ابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء

بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم

على بعض بتضليله **ولكم في الارض مستقر** موضع الاستقرار او استقرار

ومتاع الى حين يريد به وقت الموت او القيمة **فتلقى ادم من ربه كلمات**

استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات

على انها استقبلته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم

وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي

انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال يا رب الم تخلقني

بيدك قال بلى قال الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك

قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم

وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة **فتاب عليه**

رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه

معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى

بذكر ادم لان حوى كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في اكثر القران

والسنن **انه هو التواب** الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم

على مختار البصريين فان كل واحد من قوله مستقر ومتاع يطلب تعلق الحين من جهة المعنى

على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف
بها البارئ سبحانه وتعالى اريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في
الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو **قلنا اهبطوا منها**
جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم
الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن
اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين
الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن
بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر
وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى و**جميعا**
حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي
اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا **فاما يأتينكم مني هدى**
فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه
جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون
وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن
تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لانه محتمل
في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم
من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه
ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت
عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب
واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف
بالفتح **والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**
عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله و

باياته وكذبوا باياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار
والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود
الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل
واشتقاقها من اي لانها تبين اياً من اي او من اوى اليه واصلها ايية او اوية كتمرة
فابدلت عينها الفا على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او آئية
كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة
وقد تمسك الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام
من وجوه الاول ان آدم عليه الصلاة والسلام كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب
له عاص والثاني انه جعله بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله
على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه
تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر
لولا مغفرة الله تعالى اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب
من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان الثاني ان النهي للتنزيه
وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد
الغي والعصيان اليه فياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة
تلافيا لما فات عنه وجرى معاتبته له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة
قبل خلقه الثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه
عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن
الانبياء عليهم الصلوة والسلام لعظم قدرهم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم

اشدّ الناس بلاءً الانبياء ثمّ الاولياء ثمّ الامثل فالامثل او ادّى فعلُهُ الى ما
جرى عليه على طريق السببية المقدّرة دون المؤاخذة كتناول السّمّ على الجهل
بشأنه لا يقال انّه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربّكما وقاسمهما الآيتان لانّه
ليس فيهما ما يدلّ على انّه تناول حين ما قال له ابليس فلعلّ مقاله اورث
فيه ميلاً طبيعيّاً ثمّ انّه كفّ نفسه عنه مراعاةً لحكم الله تعالى الى ان نسي
ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه الرّابع انّه اقدم عليه بسبب اجتهادٍ اخطأ فيه
فانّه ظنّ انّ النّهى للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها
من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روى انّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم
اخذ حريراً وذهباً بيده وقال هذان حرامان على ذكور امّتي حلّ لاناثها وانما جرى
عليه ما جرى تفظيعاً لشأن الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على انّ الجنّة
مخلوقة وانّها في جهة عالية وانّ التوبة مقبولة وانّ متّبع الهدى مأمون العاقبة
وانّ عذاب النّار دائم والكافر فيه مخلّد وانّ غيره لا يخلّد فيه بمفهوم قوله
تعالى هم فيها خالدون واعلم انّه سبحانه وتعالى لمّا ذكر دلائل التوحيد
والنبوّة والمعاد وعقّبها تعداد النّعم العامّة تقريراً لها وتأكيداً فانّها من
حيث انّها حوادث محكمة تدلّ على محدثٍ حكيمٍ له الخلق والامر وحده لا شريك
له ومن حيث انّ الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممّن لم يتعلّمها
ولم يمارس شيئاً منها اخبارٌ بالغيب معجزٌ يدلّ على نبوّة المخبر عنها ومن حيث
اشتمالها على خلق الانسان واصله وما هو اعظم من ذلك يدلّ على انّه قادر
على الاعادة كما كان قادراً على الابتداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم
ان يذكروا نعم الله تعالى عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحقّ واقتضاء

الحجج

الحجج ليكونوا اوّل من آمن بمحمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم وما انزل عليه فقال جلّ
وعلى جلاله **يا بني اسرائيل** اى يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانّه مبنيّ ابيه
ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل
لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ
اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم**
بالتفكّر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لانّ الانسان غيور حسود
بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران
والسخط وان نظر الى ما انعم به عليه حمله حبّ النعمة على الرّضاء والشكر وقيل
اراد بها ما انعم الله تعالى على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو
عن اتّخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم وقرئ
اذّكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجاً وهو مذهب
من لا يحرّك الياء المكسورة ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم**
بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد ولعلّ الاوّل مضاف
الى الفاعل والثاني الى المفعول فانّه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب
الدلائل وانزال الكتب ووعدلهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء عرض عريض
فاوّل مراتب الوفاء منّا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدّماء
والاموال وآخرها منّا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلاً
عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللّقاء الدّائم وما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم اوف بعهدكم في رفع
الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة
والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر

الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل هذه العهدين في سورة المائدة قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ أُوَفِّ بالتشديد للمبالغة وإياي فارهبون فيما تأتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول و الفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف مع تحذر والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله تعالى وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد الايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير

اول فريق او فوج او بتاويل لا تكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أَوْوَل من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول صلى الله تعالى عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشا فيحرفون الحق ويكتمونه وإياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمع

اونصب باضمار ان على ان الواو للجمع اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه
ويعضده انه فى مصحف ابن مسعود رضى الله تعالى عنهما وتكتمون اى وانتم
تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان
الحق **وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح لان الجاهل
قد يعذر **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** يعنى صلوة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما
كلا صلوة ولا زكاة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل
على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب
بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكوة بمعنى الطهارة فانها تطهير
المال من الخبث والنفس من البخل **وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**
اى فى جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من
تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع
الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع به قال الاضبط السعدى لا تذل
الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**
تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر وهو الفضاء الواسع
يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة
الاقارب وبر فى معاملة الاجانب **وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ** وتتركونها من البر كالمنسيات
وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها نزلت فى احبار يهود المدينة كانوا يامرون
سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون
بالصدقة ولا يتصدقون **وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ** تبكيت كقوله وانتم تعلمون
اى تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل
أَفَلَا تَعْقِلُونَ قبح صنيعكم فيصدكم عنه اوافلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون

وخامة عاقبته والعقل فى الاصل الحبس سمى به الادراك الانسانى لانه يحبسه
عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك هذا الادراك
والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه
وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل فان الجامع بينهما تأبى
عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل
ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور
بهما لا يوجب الاخلال بالاخر **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** متصل بما
قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض
عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج
توكلا على الله تعالى او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة
وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات
النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه
الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب
ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف
النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب روى
انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها
الدعاء **وَإِنَّهَا** اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها
واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لَكَبِيرَةٌ** لثقيلة
شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**
اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع
اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب **الَّذِينَ**

يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون
لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم
ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنهما يعلمون وكان الظن لما شابه
العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته
مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم
ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقر
لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم
وجعلت قرة عينى فى الصلوة يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت
عليكم كرره للتأكيد وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا
وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها وانى
فضلتكم عطف على نعمتى على العالمين اى على عالمى زمانهم يريد به
تفضيل آبائهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه الصلوة والسلام وبعده قبل
ان يغيروا بما منحهم الله تعالى من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم
انبياء ملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف
واتقوا يوما اى ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزى نفس عن نفس
شيئا لا تقضى عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر
وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده
منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة ليوما والعائد
فيها محذوف تقديره لا تجزى فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع
فيه فحذف عنه الجار واجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله
او مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس
الثانية العاصية او من الاولى وكأنه اريد بالاية الكريمة نفى ان يدفع العذاب احد
عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثانى
اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثانى اما باداء ما كان عليه وهو ان
يجزى عنه او غيره وهو ان يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له
كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله
التسوية سمى به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل
بالتاء ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله تعالى والضمير لما دلت عليه
النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى
العباد والاناسى والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضير وقد
تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة
بالكفار للايات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم
والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم
واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله فى قوله تعالى
اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف جبريل وميكائيل
على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالا
ضافة الى اولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة
ككسرى وقيصر لملكى الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن
الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب ابن ريان وقيل اسمه وليد من
بقايا عاد وفرعون يوسف عليه الصلوة والسلام ريان وكان بينهما اكثر من
اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل
السوم الذهاب فى طلب الشئ سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة
جعل الله تعالى ما يسومون

الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة
حال من الضمير في انجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل
واحد منهما **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** بيان ليسومونكم
ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون
رأى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهاد
هم من قدر الله تعالى شيئا **وفي ذلكم بلاء** محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم
ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كانت اختبار الله تعالى
عباده تارة بالمحنة وتارة بالمحنة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة
ويراد به الامتحان الشايع بينهما **من ربكم** بتسليطهم عليكم او ببعث موسى
عليه الصلوة والسلام وتوفيقه لتخليصكم او بهما **عظيم** صفة بلاء وفي الآية
الكريمة تنبيه على ان مايصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه
ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين **واذ فرقنا**
بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم
فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
وقرئ فرّقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط
فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على
ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان
يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه
وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر
عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر
بعضكم بعضا روي انه سبحانه وتعالى امر موسى عليه الصلوة والسلام

اذ يسري

ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم
على ساحل البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه
اثني عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا فلا نعلم
ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه
منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه
الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود
الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه الصلوة والسلام ثم انهم بعد ذلك اتخذوا العجل وقالوا
لموسى عليه الصلوة والسلام لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل
في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره
صلى الله تعالى عليه وسلم عنها من جملة معجزاته على ما مر تقديره **واذ وعدنا موسى اربعين**
ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله تعالى موسى عليه الصلوة والسلام ان
يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها
غرر الشهور وقرئ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه
تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور **ثم اتخذتم العجل** الها
ومعبودا **من بعده** من بعد موسى او مضيه **وانتم ظالمون** باشراككم **ثم عفونا**
عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفى اذا درس **من بعد ذلك** اي الاتخاذ **لعلكم**
تشكرون اي لكي تشكروا عفوه **واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان** يعني التورية
الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته
الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق
بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان
يريد به يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم خلقاً بريئاً من التفاوت و متميزاً بعضكم عن بعض بصورٍ وهيآت مختلفة واصل التركيب لخلوص الشئ عن غيره اما على سبيل التفصّي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برء الله تعالى آدم من الطين او فتوبوا فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ تماماً لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحييها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضاً وقيل امر من لم يعبدوا العجل ان يقتل العبدة روى ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل الله تعالى ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفاً والفاء الاولى للتسبب والثانية للتعقيب ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ من حيث انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فَتَابَ عَلَيْكُمْ متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه الصلوة والسلام لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطاباً من الله تعالى لهم على طريق الالتفات كانه قال تعالى ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارى وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقرة التى هى مثل فى الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ الذى يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ فى الانعام عليهم وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً عياناً وهى فى الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة واستعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية

او الحال

او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالاً والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه الصلاة والسلام للميقات وقيل عشرة الاف من قومه والمؤمن به ان الله الذى اعطاك التورية وكلمك او انك نبى فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والاحياز المقابلة للرائى وهى محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة و للافراد من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوماً وليلة وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ما اصابكم بنفسه او اثره ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء كقوله تعالى ثم بعثناهم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمة البعث او ما كفرتموه لما رايتم بأس الله تعالى بالصاعقة وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ سخر الله تعالى لهم السحاب يظللهم من الشمس حين كانوا فى التيه وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى اى الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث عليهم الجنوب السمانى او ينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوءه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ على ارادة القول وَمَا ظَلَمُونَا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ يعنى بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا واسعاً ونصبه على المصدر او الحال من الواو وَادْخُلُوا الْبَابَ اى باب القرية او القبة

او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه الصلوة والسلام **سُجَّدًا** متطامنين مخبتين او ساجدين لله تعالى شكرا على اخراجهم من التيه **وَقُولُوا حِطَّةٌ** اى مسئلتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اى ان نحط في هذه القرية ونقيم فيها **نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ** بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر **وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ** بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا **فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا** كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها **رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون وروى انه مات في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ** لما عطشوا في التيه **فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ** اللام فيه

للعهد على ما روى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنى عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم عليه الصلوة والسلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه الصلوة والسلام فاعطاه موسى عليه الصلوة والسلام مع العصا او الحجر الذى فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل عليه الصلوة والسلام بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة فيها حمل حجرا في مخلاته وكان يضرب به بعصاه اذا نزل فينفجر ويضرب به بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عليه الصلوة والسلام عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى عليه الصلوة والسلام من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة **فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا** متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما في قوله تعالى فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه **قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ** كل سبط **مَشْرَبَهُمْ** عينهم التي يشربون منها **كُلُوا وَاشْرَبُوا** على تقدير القول **مِنْ رِزْقِ اللَّهِ** يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت به **وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد فقد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله تعالى وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون

بجذب الماء من تحت الارض او بجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد
ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه
من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة
الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب منهما احدهما
معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما
الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد
وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض
من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها
وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال
وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به
اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل
الثوم وقرئ وقثائها بالضم وهي لغة فيه قال اي الله تعالى او موسى عليه الصلاة
والسلام اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قدراً واصل
الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة
فقيل بعيد الهمة بعيد المحل وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي هو خير
يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي
اهبطوا مصراً انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به
وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد
بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على
تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه

وقيل اصله مصرائيم فعرب فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة
والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت
بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في
غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف
جزيتهم وباؤا بغضب من الله رجعوا به وصاروا احقاء بغضبه
من باء فلان بفلان اذا كان حقيقاً بان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك
اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات
التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى
وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقرآن وآية الرجم و
التي فيها نعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من التورية وقتلهم الانبياء
فانهم قتلوا شعياء وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام بغير
الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم
على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء
فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب اسباب تؤدي الى
ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب تؤدي الى تحري كبارها وقيل
كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو
بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر
والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعداً على
تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة
فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن

ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليس على الحقيقة ولذلك
جاء الذى بمعنى الجمع **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا** بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم
فى سلك الكفرة **وَالَّذِينَ هَادُوا** تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل فى اليهودية
ويهود اما عربى من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما
معرب يهوذا فانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه الصلوة والسلام
وَالنَّصَارَىٰ جمع نصران كندامى والياء فى نصرانى للمبالغة كما فى احمرى سموا
بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه فى القرية يقال لها نصران
او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها **وَالصَّابِئِينَ** قوم بين النصارى والمجوس
وقيل اصل دينهم دين نوح عليه الصلوة والسلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل
عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما
لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى
دينهم او من الحق الى الباطل **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا**
من كان منهم فى دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا
بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل فى الاسلام
دخولا صادقا **فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ** الذى وعد لهم على ايمانهم
وعملهم **وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** حين يخاف الكفار من العقاب
ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره
فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء
لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها فى خبر ان من
حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ** باتباع موسى عليه الصلاة
والسلام والعمل بالتورية **وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ** حتى اعطيتم الميثاق روى
ان موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتورية فرأوا فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرائيل عليه الصلاة والسلام بقلع
الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا **خُذُوا** على ارادة القول **مَا آتَيْنَاكُم**
من الكتاب **بِقُوَّةٍ** بجد وعزيمة **وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ** ادرسوه ولا تنسوه او
تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** لكى تتقوا
المعاصى او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول
المحذوف اى قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا **ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ**
اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه **فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ**
بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم
اليه **لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ** المغبونين بالانهماك فى المعاصى او بالخبط
والضلال فى فترة من الرسل ولو فى الاصل لامتناع الشئ لامتناع غيره
فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشئ لثبوت غيره والاسم الواقع
بعده عند سيبويه مبتدأ وخبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه
وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ
اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ** اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت
اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة
فاعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود عليه الصلاة والسلام واشتغلوا
بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على ساحل البحر يقال لها
ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا حضر هناك واخرج

خرطومه فاذا مضى تعذّرت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله تعالى كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك لما اراد بهم وقرئ قَرِدة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها اى المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر عنها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اى مكان هزو او اهله

او مهزوا بنا او الهزو نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رُمي به على طريق البرهان واخرج ذلك في صورة استعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اى ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اى بقرة هي او كيف هي لان ما يسئل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شئ من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اى بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لو ذبحوا اى بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله تعالى عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم على المراجعة بقوله تعالى فافعلوا ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به

او امركم بمعنى مأموركم **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال**
انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة
ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى
اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة
صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى
جمالة صفر قال الاعشى ❀ تلك خيلي منه وتلك ركابي ❀ هن صفر اولادها
كالزبيب ❀ ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد
الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع
تسر الناظرين اى تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول
نفع او توقعه من السر **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي**
تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله **ان البقر**
تشابه علينا اعتذار عنه اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة
كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر و
الاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى
تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة **وانا**
ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث
لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث
بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد
الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق
باعتبار التعلق **قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض**

ولا تسقي الحرث اى لم تذلل لكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة
بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل
لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هي كقولك مررت برجل
لا بخيل ولا جبان اى حيث هو وتسقي من اسقى **مسلمة** سلمها الله تعالى
من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له **لا**
شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه
وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر **قالوا الآن جئت بالحق** اى
بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والان
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام **فذبحوها** فيه اختصار والتقدير فحصلوا
البقرة المنعوتة فذبحوها **وما كادوا يفعلون** لتطويلهم وكثرة مرا
جعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي
ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها
لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم و
امه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير
وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل
معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي
قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما
قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا
كالمضطر الملجأ الى الفعل **واذ قتلتم نفسا** خطاب للجمع لوجود
القتل فيهم **فادارأتم فيها** اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدفع

بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح كل قتلها على صاحبه واصله تدارأتم فادغمت
التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم
تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل
كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف
على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص
او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها
وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله
الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة
القتيل او نزول الاية ويريكم اياته دلائله على كمال قدرته لعلكم
تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على
احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله سبحانه وتعالى انما لم
يحييه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب و
نفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق
الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه
كما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه ضحى بنجيبة بثلث مائة دينار وان
المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد
ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان
يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى
ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رايقة المنظر غير مذللة في
طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة فيها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه

فتحيى

فتحيى حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل
والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم والقساوة عبارة عن
الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوة عن الاعتبار
وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من
الايات فانها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في القسوة او اشد
قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او ازيد عليها او انها مثلها
او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه قراءة الحسن الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في
اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على
الزيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة
او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق
فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى
ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء ويتفجر منه الانهار
ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر
ولا تنفعل عن امر الله تعالى والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن
الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها
وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك
وقرء ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده و
الباقون بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والمؤمنين ان يؤمنوا لكم اي يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني
اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله

يعني التورية **ثم يحرفونه** كنعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم
او تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين
سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور ثم قالوا
سمعنا الله يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء
فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا **من بعد ما عقلوه** اى فهموه بعقولهم
ولم يبق لهم فيه ريبة **وهم يعلمون** انهم مفترون مبطلون
ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما
طمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة
في ذلك **واذا لقوا الذين آمنوا** يعني منافقيهم **قالوا آمنا** بانكم على الحق
ورسولكم هو المبشر به في التورية **واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا**
اى الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق **أتحدثونهم بما فتح
الله عليكم** بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن
ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون للفريقين فالاستفهام على الاول تقريع
وعلى الثاني انكار ونهي **ليحاجوكم به عند ربكم** ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم
في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله تعالى وحكمه محاجة عنده كما يقال
عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند
ربكم او بين يدى رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء
لا يدفعها **افلا تعقلون** اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون
انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل
بقوله تعالى أفتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في

ايمانهم

في ايمانهم **او لا يعلمون** يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم
والمحرفين **ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون** ومن جملتها اسرارهم الكفر
واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم
عن مواضعه ومعانيه **ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب** جهلة لا
يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويحققوا ما فيها او التورية **الا اماني**
استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهى في الاصل ما يقدره
الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى
ما يتمنى وما يقرء والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا
من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يد
خلها الا من كان هودا وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل
الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى
كتاب الله اول ليله تمنى داود زبورا على رسل وهو لا يناسب
وصفهم بانهم اميون **وان هم الا يظنون** ما هم الا قوم يظنون
لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأى واعتقاد من
غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزايغ عن
الحق بشبهة **فويل** اى تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في
جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيها من جعل له الويل ولعله
سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الا
بتداء به نكرة لانه دعاء **للذين يكتبون الكتاب** يعني المحرف ولعله
اراد به ما كتبوه من التأويلات الزايغة **بايديهم** تاكيد كقولك
كتبته بيميني **ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا**

كى يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جلّ قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم **فويل لهم مما كتبت ايديهم** يعنى المحرف **وويل لهم مما يكسبون** يريد الرشى **وقالوا لن تمسنا النار** المس اتصال الشئ بالبشرة بحيث يتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده **الا اياما معدودة** محصورة قليلة روى ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما **قل اتخذتم عند الله عهدا** خبرا ووعدا بما تزعمونه وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه **فلن يخلف الله عهده** جواب شرط مقدر اى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف فى خبره محال **ام تقولون على الله ما لا تعلمون** ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع **بلى** اثبات لما نفوه من مساس النار زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفى **من كسب سيئة** قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد يقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطاء والكسب استجلاب النفع وتعلقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم **واحاطت به خطيئته** اى استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا انما يصح فى شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف

بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى ان كذبوا بايات الله وقرء نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما **فاولئك اصحاب النار** ملازموها فى الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها فى الدنيا **هم فيها خالدون** دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التى قبلها **والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده ليرجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه **واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله** اخبار فى معنى النهى كقوله تعالى لا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغا ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرء نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب **وبالوالدين احسانا** متعلق بمضمر تقديره و

وتحسنون او احسنوا **وذي القربى واليتامى والمساكين** عطف على
الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل
من السكون كان الفقر اسكنه **وقولوا للناس حسنا** اى قولا حسنا
وسماه حسنا للمبالغة وقرء حمزة والكسائي ويعقوب حَسَنًا بفتحتين
وقرئ حُسُنًا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحُسنى على المصدر كبشرى
والمراد به ما فيه تخلق وارشاد **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** يريد بهما
ما فرض عليهم في ملتهم **ثم توليتم** على طريقة الالتفات ولعل الخطاب
مع الموجودين منهم في عهد الرسول ومن قبلهم على التغليب اى اعرضتم
عن الميثاق ورفضتموه **الا قليلا منكم** يريد به من اقام اليهودية على
وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم **وانتم معرضون** قوم عادتكم الا
عراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى العرض
**واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
دياركم** على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل
والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به
نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح
سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن
الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن
الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي **ثم اقررتم** بالميثاق فاعترفتم
بلزومه **وانتم تشهدون** توكيد كقولك اقر فلان شاهدا
على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم
فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا **ثم انتم هؤلاء** استبعاد لما ارتكبوه

بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتداء وهؤلاء خبره
على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذي
فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند
اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله **تقتلون انفسكم
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم** اما حال والعامل فيها معنى الاشارة
او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى
الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير **تظا
هرون عليهم بالاثم والعدوان** حال من فاعل تخرجون او من مفعوله
او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرء عاصم والكسائي وحمزة
بحذف احدى التائين وقرئ باظهارها وتظّهرون بمعنى تتظهرون
وان ياتوكم اسارى تفادوهم روى ان قريظة كانوا حلفاء الاوس
والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل
وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا الرجل
يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لهم
لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله تعالى اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرء حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح
وجرحى واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه
شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرء ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر
تفدوهم **وهو محرم عليكم اخراجهم** متعلق بقوله وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم
وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر
واخراجهم تاكيدا وبيان **افتؤمنون ببعض الكتاب**

يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والإجلاء فما جزاء من
يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بني
النضير وضرب الجزية على غيرهم وأصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك
يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب لأن عصيانهم
أشد وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد أي الله سبحانه وتعالى
بالمرصاد لا يغفل عن أفعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون
على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر وخلف
ويعقوب يعملون على أن الضمير لمن أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة
آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في
الدنيا والتعذيب في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم
ولقد آتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل
أي أرسلنا على أثره الرسل كقوله ثم أرسلنا رسلنا تترى يقال قفاه
إذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به إذا اتبعه إياه
وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كإحياء الموتى
وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل وعيسى بالعبرية
أيشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال
قال رؤبة شعر قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل إذ لم يثبت
فعيل وأيدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة
كقولك حاتم الجود ورجل صدق أراد به جبرائيل وقيل روح عيسى
ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان أو لكرامته على الله تعالى ولذلك
أضافها إلى نفسه أو لأنه لم تضمه الأصلاب ولا أرحام الطوامث أو
الإنجيل أو اسم الله الأعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس

بالإسكان في جميع القرآن أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم
بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى إذا أحب وهوى بالفتح هويا بالضم
إذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم
ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل أن يكون استينافا والفاء للعطف على
مقدر استكبرتم عن الإيمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى
وعيسى والفاء للسببية أو التفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى
عليهما الصلوة والسلام وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها في النفوس فإن الأمر فظيع ومراعاة للفواصل أو الدلالة
على أنكم بعد فيه فإنكم حولتم قتل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لولا أني أعصمه
منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة
بأغطية خلقية لا يصل إليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الأغلف
الذي لم يختن وقيل أصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى أنها أوعية
العلم لا تسمع علما إلا وعته ولا تعي ما تقول أو نحن مستغنون بما
فيها عن غيرها بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى أنها
خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فأبطل
استعدادهم وأنها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لأن الله تعالى خذ
لهم بكفرهم كما قال فأصمهم وأعمى أبصارهم أو هم كفرة ملعونون
فمن أين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فإيمانا
قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو إيمانهم ببعض
الكتاب وقيل أراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند
الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب

على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل
عليه جواب لما الثانية **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين**
كفروا اى يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي
اخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم
ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار
بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به**
حسدا وخوفا على الرياسة **فلعنة الله على الكافرين**
اى عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام
للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان
الكلام فيهم **بئسما اشتروا به انفسهم** ما نكرة بمعنى شيء مميزة
لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم
فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا **ان يكفروا**
بما انزل الله هو المخصوص بالذم **بغيا** طلبا لما ليس لهم وحسدا
وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل **ان ينزل الله** لان ينزل
حسدوه على ان ينزل الله وقرء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب
بالتخفيف **من فضله** يعنى الوحى **على من يشاء من عباده** على من
اختاره للرسالة **فباؤا بغضب على غضب** للكفر والحسد على من
هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد عليه السلام بعد عيسى عليه السلام
او بعد قولهم عزير ابن الله **وللكافرين عذاب مهين** يراد به
اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه طهرة لذنوبهم **واذا قيل**
لهم آمنوا **بما انزل الله** يعم الكتب المنزلة باسرها **قالوا نؤمن بما انزل**

علينا

علينا اى بالتورية **ويكفرون بما وراءه** حال عن الضمير في قالوا ووراء
في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى
به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يوارى به وهو قدامه ولذلك
عد من الاضداد **وهو الحق** الضمير لما وراءه والمراد به القرآن **مصدقا**
لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالتهم فانهم لما كفروا بما يوافق
التورية فقد كفروا بها **قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم**
مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية
والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون
به عازمون عليه وقرء نافع وحده انبئاء الله مهموزا في كل القرآن
ولقد جاءكم موسى بالبينات يعنى الآيات التسع المذكورة في قوله
تعالى ولقد آتينا موسى آيات بينات **ثم اتخذتم العجل** اى الها
من بعده بعد مجيء موسى عليه السلام او ذهابه الى الطور **وانتم ظالمون**
حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله
او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال
قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة
اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها **واذ**
اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة
واسمعوا اى قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع
طاعة **قالوا سمعنا** اى سمعنا قولك **وعصينا** امرك **واشربوا**
في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته
لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق

العجل وفى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انما ياكلون
فى بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة
او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سوّل
لهم السامرى قل بئسما يأمركم به ايمانكم اى بالتورية و
المخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من
قبائحهم المعدودة فى الاية الثلث الزاما عليهم ان كنتم مؤ
منين تقرير للقدح فى دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان
كنتم مؤمنين بها لما امركم بهذه القبائح وما رخص لكم فيها
ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم لان المؤمن
ينبغى ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به
فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على
الحال من الدار من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام
للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه
من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات
الشوائب كما قال على رضى الله لا ابالى سقطت على الموت او سقط
الموت على وقال عمار رضى الله تعالى عنه بصفين الآن الاقى الاحبة
محمدا وحزبه وقال حذيفة رضى الله تعالى عنه حين احتضر
جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى على التمنى سيما اذا علم
انها سالمة لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد عليه السلام والقرآن وتحريف

التورية

التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته
بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبّر بها عن النفس تارة وعن
القدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم
لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمنى ليس من عمل القلب ليخفى بل هو
ان يقول ليت لى كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبى عليه
السلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى
على وجه الارض والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على
انهم ظالمون فى دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم
احرص الناس على حيوة من وجد بعقله الجارى مجرى علم ومعـ
مفعولاه هم احرص الناس وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها
وهى الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول
على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم
بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة
والزيادة فى التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون
بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون
الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول
عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه
اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم ناس
يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف
لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله
لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن
مقام لافعلن

وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ فيجازيهم قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ نزل فى عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال عليه السلام جبرائيل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبرائيل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضى الله تعالى عنه مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبرائيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبرائيل عليه السلام قد سبقه بالوحى فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفى جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع فى المشهورات جبرئيل كسلسبيل قرءه حمزة والكسائى وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قرءه ابن كثير وجبرئل كجحمرش

قرءه

قرأه عاصم برواية ابى بكر وجبريل كقنديل قرءه الباقون واربع فى الشواذ جبرئل وجبرائيل وجبرال وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ البارز الاول لجبريل والثانى للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره عَلَى قَلْبِكَ فانه القابل الاول للوحى ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبى لكنه حكاية كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت به بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادا منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحى لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب فى عداوته انه نزله عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لى وانا عدوه كما قال مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ اراد بعداوة الله تعالى مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء فى الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادا احدهم فكانه عادا الجميع اذ الموجب لعداوتهم ومحبتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ان الله تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرء نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكئيل وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ اى المتمردون

من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على عظمه كأنه متجاوز عن
الحد نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما جئتنا بشيء
نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك **أوكلما عاهدوا عهدا** الهمزة
للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ
اوْ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا
وعهدوا **نبذه فريق منهم** نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى
وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض **بل اكثرهم لا يؤمنون**
رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم
يؤمنون به خفاء **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق**
لما معهم كعيسى عليه الصلوة والسلام ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية
لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها
من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو
القرآن **وراء ظهورهم** مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى
به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه **كأنهم لا يعلمون** انه كتاب
الله يعني ان علمهم به رصين محكم ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه
دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا
بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون وفرقة جاهروا بنبذ
عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق
منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون
وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا

وهم

وهم المتجاهلون **واتبعوا ما تتلوا الشياطين** عطف على نبذ اي
نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها وتتبعها الشياطين
من الجن او الانس او منهما **على ملك سليمان** اي على عهده وتتلوا
حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا
اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون
الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه الصلوة والسلام حتى قيل ان
الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه
تسخر به الانس والجن والريح له **وما كفر سليمان**
تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر
وان من كان نبيا كان معصوما عنه **ولكن الشياطين كفروا**
باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع
الشياطين **يعلمون الناس السحر** اغواء واضلالا والجملة
حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى
الشياطين مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن
يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام
والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب
منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه
صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من
الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه **وما انزل على الملكين**
عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او لانه
نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من

من الله تعالى للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مُثِّلا بشرين
وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرءة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي
والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله
من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلين
سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة المَلِكين بالكسر وقيل
ما انزل نفي معطوف على ما كفر وتكذيب لليهود في هذه القصة ببابل
ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من
سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع
صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا
ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض
وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى
يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول وما يعلمان
احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء من الله تعالى فمن
تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر
باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز
اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه
حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه
من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون
سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه
وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله
وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل

بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم
يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع
في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن
اشتراه اي استبدل ما تتلوه الشياطين بكتاب الله تعالى والاظهر
ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الآخرة من
خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين
على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه
على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد
القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب
من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم
كان كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك
المعاصي كنبذ كتاب الله تعالى واتباع السحر لمثوبة من عند الله
خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم
فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم
بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة
لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتداء
وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن
يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه
وقد علموا لكنه جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير
لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم راعنا

اى لاقبنا وتانّ بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمعه اليهود فافترصوه وخاطبوه

به مريدين نسبته الى الرعن او سبّه بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بها

وهى راعينا فنهى المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس

وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار

اى امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اى قولا ذا رعن

نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعنا وتسبب للسب **واسمعوا**

واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول لا كسماع

اليهود او اسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه **وللكافرين**

عذاب اليم يعنى الذين تهاونوا بالرسول وسبّوه **ما يود الذين**

كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت

تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون

انهم يودون لهم الخير والود محبة الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل

منهما ومن للتبيين كما فى قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين

ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن

الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحى والمعنى

انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شئ منه وبالعلم وبالنصرة

ولعل المراد به ما يعم ذلك **والله يختص برحمته من يشاء**

يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شئ وليس لاحد عليه

حق **والله ذو الفضل العظيم** اشعار بان النبوة من

الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما

عرف فيه من حكمته **ما ننسخ من آية او ننسها** نزلت

لما قال

لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم

عنه ويأمر بخلافه والنسخ فى اللغة ازالة الصورة عن الشئ واثباتها فى غيره

كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما

كقولهم نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان

انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها

عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرء

ابن عامر ننسخ من انسخ اى نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة

وابن كثير وابو عمرو ننسأها اى نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اى

ننس احدا اياها وتنسها اى انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها

باظهار المفعولين **نأت بخير منها او مثلها** اى بما هو خير للعباد فى

النفع والثواب او مثلها وقرء ابو عمرو بقلب الهمزة الفا **الم تعلم ان**

الله على كل شئ قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ

وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل

اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت

والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله تعالى و

رحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش

فان النافع فى عصر قد يضر فى غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل

اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتى به بدلا والسنة ليست

كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف

بغيره والسنة مما اتى به الله تعالى وليس المراد بالخير والمثل ما يكون

كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت

من تواترتيه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم **الم تعلم** الخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد هو وامته لقوله ومالكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم **ان الله له ملك السموات والارض** يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شئ قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف **وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير** وانما هو الذى يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصير والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور **ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل** ام معادلة للهمزة فى الم تعلم اى الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت فى اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل فى المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه **ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل** ومن ترك الثقة بالايات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع فى الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدى بكم الضلال الى البعد عن المقصود بتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل **ود كثير من اهل الكتاب** يعنى احبارهم **لو يردونكم** ان يردوكم فان لو تنوب عن ان فى المعنى دون اللفظ

من

من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين **حسدا** علة ود **من عند انفسهم** يجوز ان يتعلق بود اى تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم **من بعد ما تبين لهم الحق** بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التورية **فاعفوا واصفحوا** العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه **حتى يأتى الله بامره** الذى هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بنى النضير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق **ان الله على كل شئ قدير** فيقدر على الانتقام منهم **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالقة واللجاء الى الله تعالى بالعبادة والبر **وما تقدموا لانفسكم من خير** كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم **تجدوه عند الله** اى ثوابه **ان الله بما تعملون بصير** لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا **وقالوا** عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى **لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى** لف بين قولى الفريقين كما فى قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى **تلك امانيهم** اشارة الى الامانى المذكورة وهى ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم

وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية
على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض
والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا
برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين
في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه فهو غير ثابت بلى اثبات
لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله
اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله
فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده
لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها
ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون
الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون
من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء
اي على امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله
وآتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون
الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم
من اهل العلم والكتاب كذلك اي مثل ذلك قال
الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة
وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم و
قد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا

ذلك

ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر
بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل
به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق بما يليق به
من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم و يدخلهم النار
ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب
مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل
في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او
المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها
اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل
اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا
خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع
فضلا عن ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق لهم ان
يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا من
ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون
وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز
وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد
واختلفت الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق
الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي
قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب

عظيم بكفرهم وظلمهم **ولله المشرق والمغرب**
يريد بهما ناحيتي الارض اى له الارض كلها لا يختص به مكان
دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد
جعلت لكم الارض مسجدا **فاينما تولوا** ففي اى مكان فعلتم التولية
شطر القبلة **فثم وجه الله** اى جهته التى امر بها فان
امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اى هو
عالم مطلع بما يفعل فيه **ان الله واسع** باحاطته بالاشياء
او برحمته يريد التوسعة على عباده **عليم** بمصالحهم واعمالهم
في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انها نزلت في
صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا
الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد
ثم تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة
وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة **وقالوا اتخذ الله ولدا**
نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله
ومشركوا العرب الملئكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود
او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرء ابن عامر بغير واو **سبحانه**
تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء
الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية
ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات
اختيارا او طبعا **بل له ما في السموات والارض** رد لما قالوه
واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض

الذى

الذى من جملته الملائكة وعزير والمسيح **كل له قانتون**
منقادون لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه
الصفة لم يجانس المكون الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من
حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذى لغير اولى العلم وقال
قانتون على تغليب اولى العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض
عن المضاف اليه اى كل ما فيها ويجوز ان يراد كل من جعلوه
ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة
الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج
بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد
باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما **بديع السموات والارض**
مبدعهما ونظيره السميع في قوله شعر أمن ريحانة الداعي السميع
او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة و
تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله
سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق ومنزه عن
الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشئ لا عن شئ دفعة و
هو اليق بهذا الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر
والتكوين الذى يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا
على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح **واذا قضى امرا**
اى اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشئ قولا كقوله وقضى
ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق
الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجبه **فانما يقول**

لم كن فيكون من كان التامة اى احدث فيحدث وليس
المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به
ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير
لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد يكون
باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغنى عن ذلك وقرء ابن عامر
فيكون بفتح النون واعلم ان السبب فى هذه الضلالة ان
ارباب الشرايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى
باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر
والله سبحانه وتعالى هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم
ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر
قائله على الله تعالى ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال
الذين لا يعلمون جهلة المشركين او المتجاهلون من
اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم
الملئكة او يوحى الينا بانك رسوله او تاتينا آية حجة
على صدقك والاول استكبار والثانى جحود لان ما آتاهم
آيات الله استهانة به وعنادا كذلك قال الذين
من الامم الماضية من قبلهم مثل قولهم فقالوا
ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من
السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم
فى العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم
يوقنون اى يطلبون اليقين او يوقنون الحقايق

لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك
لخفاء فى الآية او لطلب مزيد اليقين وانما قالوه عتوا وعنادا
انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا
عليك ان اصروا او كابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم
ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرء نافع ويعقوب ولا تسأل
على انه نهى للرسول عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة
الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها السامع لا يصبر على
استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتاجج من النار ولن
ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة
فى اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى
يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك
فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى
الله هو الهدى اى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى
الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم
الزايغة والملة ما شرعه الله تعالى لعباده بلسان انبيائه
من امللت الكتاب اذا امليته والهوى رأى يتبع الشهوة بعد
الذى جاءك من العلم اى من الوحى او الدين المعلوم صحته
ما لك من الله من ولى ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب
لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد مؤمنى اهل الكتاب
يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر
فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر

على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب **اولئك**
يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين **ومن يكفر به**
بالتحريف والكفر بما يصدّقه **فاولئك هم الخاسرون**
حيث اشتروا الكفر بالايمان **يا بني اسرائيل اذكروا**
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولاهم ينصرون
لمّا صدّر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها
والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرّر ذلك
وختم الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانّه فذلكة القضية
والمقصود من القصة **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات**
كلّفه باوامر ونواهٍ والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق
من البلاء لكنّه لمّا استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل
يجهل العواقب ظنّ ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدّمه
لفظا وان تأخّر رتبة لانّ الشرط احد التقدّمين والكلمات
قد تطلق على المعاني فلذلك فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة
المذكورة في قوله التائبون العابدون الآية وقوله انّ المسلمين
الى آخر الآية وقد افلح المؤمنون الى هم الوارثون كما فسّرت
بها في قوله فتلقّى آدم من ربّه كلمات وبالعشر التي هي
من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد
والنار والهجرة على انّه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهنّ

وبما تضمنته الآيات التي بعدها وقرئ ابراهيمُ ربَّه على انّه دعا
ربّه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى واجعل هذا البلد
آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام بالالف جميع ما في هذه
السورة وفي النساء ثلثة احرف وفي العنكبوت الحرف الاخير وفي
حم عسق حرف وفي الذاريات حرف وفي النجم حرف وفي الحديد
حرف وفي الممتحنة الحرف الاولى فذلك ثلثة وثلثون حرفا وقرأ
ابن ذكوان في البقرة خاصة لوجهين **فاتمهنّ** فاداهنّ كملا وقام
بهنّ حق القيام لقوله تعالى وابراهيم الذي وفّى وفي القراءة
الاخيرة الضمير لربّه اي اعطاه جميع ما دعاه **قال اني جاعلك للناس**
اماما يقتدي بك استيناف ان اضمرت ناصب اذ فكانّه قيل فماذا قال
له ربّه حين اتمّهنّ فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات
ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته
بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي
له مفعولان والامام اسم من يؤتمّ به وامامته عامّة مؤبّدة
اذ لم يبعث بعده نبيّ الّا كان من ذرّيّته مأمورا باتّباعه **قال**
ومن ذرّيّتي عطف على الكاف اي بعض ذرّيّتي كما تقول وزيدا
في جواب سأكرمك والذرّيّة نسل الرجل فعليّة او فعّولة قلبت
راؤها الثالثة ياء كما في تقضّيت من الذرّ بمعنى التفريق او فعّولة او
فعّيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذِرّيّتي بالكسر وهي
لغة **قال لا ينال عهدي الظالمين** اجابة الى ملتمسه
وتنبيه على انّه قد يكون من ذرّيّته ظلمة وانّهم لا ينالون

الامامة لانها امانة من الله تعالى وعهد والظالم لا يصلح لها
وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة
الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة
وقرئ والظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته **واذ جعلنا البيت**
اى الكعبة غلب عليها كالنجم للثريا **مثابة للناس**
مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب
يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل واحد
وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله لقوله حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه من عذاب الاخرة
من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ
اليه حتى يخرج وهو مذهب ابى حنيفة رحمة الله تعالى عليه
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف
على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا
اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو امر استحباب ومقام ابراهيم هو الحجر الذى فيه اثر قدمه
او الموضع الذى كان فيه حين قام عليه ودعى الناس الى الحج
او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى انه عليه السلام اخذ
بيد عمر وقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رضى الله تعالى عنه
افلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام لم اومر بذلك فلم تغب
الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف
لما روى جابر رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام لما فرغ من
طوافه عمد الى مقام ابراهيم عليه السلام فصلى خلفه ركعتين وقرئ
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعى رضى الله تعالى عنه فى وجوبهما
قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها
مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله وقرئ نافع وابن عامر واتخذوا
بلفظ الماضى عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به ابراهيم
يعنى الكعبة قبلة يصلون اليها **وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل**
امرناهما **ان طهرا بيتى** بان طهرا بيتى ويجوز ان تكون مفسرة
لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس
وما لا يليق به او اخلصاه **للطائفين** حوله **والعاكفين** المقيمين
عنده او المعتكفين فيه **والركع السجود** اى المصلين
جمع راكع وساجد **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا** يريد
البلد او المكان **بلدا امنا** ذا امن كقوله فى عيشة راضية او
امنا اهله كقولك ليل نائم **وارزق اهله من الثمرات من امن
منهم بالله واليوم الاخر** ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص
قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر
قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه وتعالى على ان الرزق
رحمة دنيوية يعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم فى الدين
او مبتداء تضمن معنى الشرط **فامتعه قليلا** خبره والكفر وان لم يكن
سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ
الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه **ثم
اضطره الى عذاب النار** اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه

ما متّعته به من النعم وقليلاً نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ
الأمر فيهما على انه من دعاء ابراهيم عليه السلام وفي قال ضميره وقرء
ابن عامر فأُمتِعه من امتع وقرئ فنمتّعه ثم نضطره واِضطره بكسر
الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة وأطّره بادغام الضاد
وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون
العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب وإذ
يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد
جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات
ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء
عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل
ان يراد بها ساقات البناء فان كل ساق قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها
فعلها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه و
دعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها
واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء
عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب
ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال
منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا
مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه لله او مستسلمين
من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص
والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما
وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة

لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق
بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما
اُعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق
على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه يشوش المعاش ولذلك
قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم
قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن وارنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك
لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في
الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وقرأ ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في
فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل
عليها وقرء الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة
لذريتهما او عما فرط منهما سهوا او لعلهما قالاه هضما لانفسهما و
ارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث
فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابراهيم
وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرء عليهم ويبلغهم
ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب
القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم
عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب

على ما يرضاه الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد
وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب
احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها
واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد
له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله
سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه
وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام
او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على
المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه
في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان
من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم
القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل
نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر
كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق
للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص
السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى
المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله
بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابا
مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى
الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه

اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي
والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ
نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم
اي ووصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه
ابراهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى
عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا
رجلا عريانا بالكسر وبنوا ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق و
مدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنوا يعقوب
اثنى عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون
ودونا ونفتوحى وكودا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى
لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا
تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف
حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكون على تلك الحالة اذا ماتوا
والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير
العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان
من حقه لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روي ان
اليهود قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب
اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر
يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم
حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون
اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم

شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما
علمتموه من الوحي وقرئ حضِر بالكسر **اذ قال لبنيه** بدل من اذ
حضر **ما تعبدون من بعدي** اى شئ تعبدونه اراد به تقرير
هم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما
وما يسئل به عن كل شئ ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن
اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب
قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق
المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعدّ اسمعيل
من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله صلى الله تعالى عليه
وسلم عم الرجل صنو ابيه كما قال فى العباس رضى الله تعالى عنه هذا
بقية ابائى وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ، ولما تبيّن
اصواتنا بكين ، وفديننا بالابينا ، او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان **الها
واحدا** بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته
التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف
على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص **ونحن له مسلمون**
حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضيا
تلك امة قد خلت يعنى ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة فى الاصل
المقصود وسمى بها الجماعة لان الفرق تامها **لها ما كسبت ولكم
ما كسبتم** لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب
انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم وباتباعهم كما قال
صلى الله تعالى عليه وسلم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني

باسابكم **ولا تسئلون عما كانوا يعملون** ولا تؤاخذون بسيئاتهم
كما لا تثابون بحسناتهم **وقالوا كونوا هودا او نصارى**
الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين
القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى **تهتدوا**
جواب للامر **قل بل ملة ابراهيم** اى بل نتبع ملة ابراهيم او نكون ملة ابراهيم
اى اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع اى ملته ملتنا او عكسه
او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته **حنيفا** مائلا عن الباطل الى الحق حال
من المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا
وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم
يدعون اتباعه وهم مشركون **قولوا آمنا بالله** الخطاب للمؤمنين
لقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به **وما انزل الينا** القرآن قدم
ذكره لانه اول بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره **وما انزل الى
ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط** الصحف
وهى وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين
تحت احكامها فهى ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا
والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب عليه الصلوة و
السلام او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق عليهم الصلوة
السلام **وما اوتي موسى وعيسى** التورية والانجيل افردهما بحكم ابلغ
لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام مغاير لما سبق
والنزاع وقع فيهما **وما اوتي النبيون** جملة المذكورين منهم وغير
المذكورين **من ربهم** منزلا عليهم من ربهم **لا نفرق بين احد منهم**

كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام

فساغ أن يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون

فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت

كقوله فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين

كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان

بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق

او مزيدة للتأكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان

آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في وشهد شاهد

من بني اسرائيل على مثله اي عليه وتشهد له قراءة من قرء بما

آمنتم به او بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق

اي ان اعرضوا من الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق

وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المخالفين في شق غير

شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين

ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم وهو السميع العليم اما من

تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة

او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم

عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر

الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته

وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه

ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم

تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم

في ماء

في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير

لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل

على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم ومن احسن من الله

صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون

تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك

يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على

الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم

او قولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل

اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شأنه واصطفائه نبيا من

العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا ان الانبياء عليهم الصلوة

والسلام كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم

لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده و

لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كأنه الزمهم على كل

مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على

من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة

على الطاعة والتحلي بالاخلاص وكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في

اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان

والطاعة دونكم ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب

والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى

قراءة حمزة وابن عامر والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة

للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية

او النصرانية على الانبياء عليهم الصلوة والسلام قل ءانتم
اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم عليه الصلوة والسلام بقوله
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه خليفته في الدين
وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعنى شهادة الله
لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد
اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه
الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله تعالى لمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في
قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ
بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا
تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر
عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل
الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذير عن الاقتداء
بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء عليهم الصلوة
والسلام وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول
السفهاء من الناس الذين خف احلامهم واستمهنوها
بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين
واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد
الجواب ما وليهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
يعنى بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال
فصارت

فصارت عرفا المكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب
لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره
مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدى من
يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة
من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم
الآية المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم
افضل القبل جعلناكم امة وسطا اى خيارا او عدولا مزكين بالعلم
والعمل وهو في الاصل اسم المكان الذى يستوى اليه المساحة من الجوانب
ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط
كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم
اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
كسائر الاسماء التى يوصف بها واستدل بها على ان الاجماع حجة اذ
لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة الجعل اى لتعلموا
بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل اليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل
على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن
الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن
الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعد
كم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم
الصلوة والسلام فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم
اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله تعالى عليه

يشهدون لتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار
الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى
بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم
وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
كالرقيب المهيمن على امته عدى بعلى وقدم الصلة للدلالة على اختصا
صهم بكون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم شهيدا عليهم وما جعلنا
القبلة التى كنت عليها اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة
الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه
فالمخبر عنه على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل
امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من
يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم
من يتبعك فى الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او
لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله
وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام
ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل
كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت
هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى
ليتعلق به علمنا موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه
اسنده الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت عن المتزلزل كقوله
تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع الله العلم موضع التمييز المسبب عنه
ويشهد له قراءة ليعلم على البناء المفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما فى
من من معنى الاستفهام او مفعوله الثانى ممن ينقلب على عقبيه اى لنعلم من يتبع الرسول
متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هى المخففة من الثقيلة
واللام هى الفاصلة وقال الكوفيون هى النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه
قوله وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعلة او التولية او الردة او التحويلة
او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة الا على الذين هدى
الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع
ايمانكم اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم
اليها لما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه الى الكعبة قالوا كيف
بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس
لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف
وهو ابلغ محافظة على الفواصل قد نرى ربما نرى تقلب وجهك
فى السماء تردد وجهك فى جهة السماء تطلعا للوحى وكان صلى الله تعالى عليه
وسلم يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم
واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على
كمال ادبه حيث انتظر ولم يسئل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها
من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلى جهتها ترضاها
تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله تعالى وحكمته
فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر فى
الاصل لما انفصل عن الشئ من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور

ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرء ابن عامر وحمزة والكسائى بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان تكون صاحبنا الذى ننتظره تغريرا له وطمعا فى رجوعه

وقبلتهم

وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحى انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء عليهم الصلوة والسلام الذين اتيناهم الكتاب يعنى علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القران او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضى الله تعالى عنه انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى واما ولدى فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن امن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذى انت عليه لا ما لم يثبت حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الحق

٧٠٠

الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في
انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس
بقصد واختيار بل اما لتحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه
ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه
الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين
جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد
المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه
وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها
واللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرء ابن عامر مولاها
اي هو مولى تلك الجهة اي قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة
وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة
اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف
مجتمع الاجزاء او مفترقها يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا
من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات
المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على
كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت
ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت
وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرأ ابو عمرو
بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث
علل تعظيم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بابتغاء مرضاته وجرى العادة الا
الهية

الهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها و
يتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها
كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة
لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد
امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة
علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج
اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابراهيم
ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا
يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول
الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه
ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى حجتهم داحضة
لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء
للمبالغة في نفي الحجة رأسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ
الا الذين ظلموا منهم على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم
فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امر
تكم به ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامر
تكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل
واخشوني لاحفظكم عنهم ولأتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي
الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي كرم الله وجهه تمام النعمة

الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما
قبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الآخرة كما
اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال
فاذكرونى يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به
ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره فى دعوة ابراهيم عليه الصلوة
والسلام باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى
وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكرونى بالطاعة اذكركم
بالثواب واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم و
عصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصى وحظوظ
النفس والصلوة التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجات
رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا
لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى هم اموات بل احياء بل هم احياء ولا تشعرون
ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس
به من الحيوانات وانما هى امر لا يدرك بالعقل بل بالوحى وعن
الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم
فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا و
عشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر
وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به
من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين
وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم

بالقرب

بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم
اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء
بشىء من الخوف والجوع اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى
ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة
الى ما يصيب به معانديهم فى الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا
عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شىء او
الخوف وعن الشافعى رحمة الله تعالى عليه الخوف خوف الله تعالى والجوع صوم
رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض
ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مات ولد
العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول
اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدى فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله سبحانه وتعالى ابنوا لعبدى بيتا فى
الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة
قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم او لمن يتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان
من مكروه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل شىء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة
وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق
لاجله وانه راجع الى ربه تعالى ويتذكر نعم الله تعالى عليه ليرى ما ابقى
عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به
محذوف دل عليه قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة فى
الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها

والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له
خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث
استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى ان الصفا والمروة هما علما
جبلين بمكة من شعائر الله اى من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة
فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا شرعا على
قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان
يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية
اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون
ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة و
انما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رضي
الله تعالى عنهم فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان
نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن
ابي حنيفة رحمة الله تعالى عليه انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي رحمة
الله تعالى انه ركن لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي
ومن تطوع خيرا اى فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض
الله عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة
وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية
الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرء حمزة والكسائي يطوع اصله
يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى
عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالآيات الشاهدة
على امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه
والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية اولئك

يلعنهم

يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اى الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة
والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا
ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله تعالى في كتابهم لتتم توبتهم
وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم
اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم
المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
اى ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل
الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون
عطفا على اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو
او فاعلا لفعل مقدر نحو وتلعنهم الملائكة خالدين فيها اى في اللعنة
او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن
عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون يمهلون او لا ينتظرون
ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام
اى المستحق منكم للعبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد ويسمى الها لا اله
الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا
يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم
كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد
غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم اله واحد او لمبتداء محذوف قيل
لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف
بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات
وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين
واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة

٨٧

وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ اي بنفعهم او بالذي
ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك
بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه و... ولذلك
قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث
الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة
الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ من
من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب
وجهة العلو فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بالنبات وَبَثَّ فِيهَا مِنْ
كُلِّ دَابَّةٍ عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث
الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون
بالحيا والبث النشر والتفريق وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ في مهابها واحوالها
وقرء حمزة والكسائي على الافراد وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ
الْأَرْضِ لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل
مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله تعالى واشتقاقه من السحب
لان بعضه يجر بعضا لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يتفكرون فيها وينظرون
اليها بعيون عقولهم وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم ويل لمن قرء هذه الاية
فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الاية على وجود الاله ووحدته
من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة
وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان
من الجائز مثلا ان لا يتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس
حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها
اوج وحضيض اصلا وعلى هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها
فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه
مشيئته

مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر
عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين
على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر
المنافي لالهيته وان اختلف لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام و
اهله وحث على البحث والنظر فيه وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ
اللَّهِ أَنْدَادًا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم
لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما
وهو ما يشغله عن الله تعالى يُحِبُّونَهُمْ يعظمونهم ويطيعونهم
كَحُبِّ اللَّهِ كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم
في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب
ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى
ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله تعالى للعبد ارادة
اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا
لِلَّهِ لانه لا تنقطع محبتهم لله تعالى بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض
فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم
الى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره
وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد إِذْ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه
كقوله ونادى اصحاب الجنة أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ساد مسد مفعولي يرى
وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب

لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير
ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة كلها لله جميعا لا ينفع ولا
يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي صلى
الله تعالى عليه وسلم اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء
للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف
او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي
اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤسا
ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على
تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا او
الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع
والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي
يرتقى به الشجرة وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا
لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا لو للتمني ولذلك اجيب
بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك
الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات
وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما
هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة
للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها
الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم
رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف
او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا

يستطيبه



يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا
تتبعوا خطوات الشيطان ولا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا
الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبزي وابو بكر
حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهو ما بين قدمي
الخاطي وقرئ بضمتين وقلب الواو همزة جعلت الضمة على الطاء
كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه
لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر
الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت
انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز
عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها
لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه
الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء
باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد في
القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم
الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد
لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في
طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل
الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانه
التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين

أُمِرُوا باتّباع القرآن وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى
التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا
واعلم وعلى هذا فيعمّ ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال
او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اى لو كان اباؤهم
جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو د
ليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واتباع الغير في الدين
اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء عليهم الصلوة والسلام والمجتهدين
في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين
كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره
ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي
ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى
عليهم ولا يتاملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق
عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه
وقيل هو تمثيلهم في اتباع اباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم
التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق
في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يسا
عده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من
باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون
اى بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات

ما

ما رزقناكم لما وسّع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرّم
عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال
واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون ان صح
انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان عبادته لا تتم الا بالشكر
فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لا تمامه وهو يعدم عند عدمه و
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبأ عظيم
اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها
والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين
من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثنى الشرع والحرمة المضافة
الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف
في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما
يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله
اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال و
يقال اهل الهلال واهللته لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير
اذا رؤي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن
اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر وقرأ عاصم وابو عمرو و
حمزة بكسر النون ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على
الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر
مذهب الشافعي وقول احمد رحمهما الله تعالى فلا اثم عليه في تناوله ان الله
غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم
على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه
لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه
الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب

ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون
في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها
عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة
بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا ياكلون
يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملأ بطونهم يقال اكل في بطنه
واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم
الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم
حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله تعالى ولا يزكيهم
لا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة
بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار
تعجيب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة
وما تامة مرفوع بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر
ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة
والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق
اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه
بالتكذيب والكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام
فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض
او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن
المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي
حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول
وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد
عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

البر

الكتاب

البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين
حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله سبحانه
وتعالى عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه
الله واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا
بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره
امرها وقرا حمزة وحفص ليس البر بالنصب ولكن البر من آمن
بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر
الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة
من قرا ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن
وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه
اي على حب المال كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم لما سئل اي الصدقة
افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر
وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى
واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي
القربى لان ايتاءهم افضل كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم صدقتك على
المساكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين
جمع مسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم
السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع
ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين
الجاهم الحاجة الى السؤال وقال صلى الله تعالى عليه وسلم للسائل حق
وان جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او
فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة اي المفروضة
وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة

المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها ومن الثاني اداؤها
والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او
حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل
صدقة كل حقيقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف
على من آمن والصابرين في البأساء والضراء نصبه على المدح
ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء
في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين البأس
وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين
واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر و
سائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها
دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة
اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد
اشير الى الاول بقوله تعالى من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله
وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها
ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده و
بالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار
بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من عمل بهذه الآية فقد استكمل
الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية
بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر
فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام
تحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وامرهم ان
يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا

تدل

تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص
الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي رحمهما الله تعالى قتل
الحر بالعبد كائنا سواء كان عبده او عبد غيره لما روى علي رضي الله تعالى عنه ان
رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونفاه سنة ولم
يقده به وروى عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد و
لا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين
اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس
له دعوى نسخه بقوله تعالى ان النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا
ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف
اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب
وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل
فعل جاء في القرآن فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفى
لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفى
بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفى الشيء بمعنى تركه بل
اعفاه وعفى يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفى الله عنك وقال
عفى الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كانه
قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة
الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف
واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية
العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها
بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى
العمد والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي رحمه الله تعالى فيه قولان
التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود قصاص وحده وعلى النصارى العفو

مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم
على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك اى قتل بعد العفو واخذ
الدية فله عذاب اليم فى الآخرة وقيل فى الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم لا اعافى احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم فى القصاص
حيوة كلام فى غاية البلاغة والفصاحة من حيث جعل الشىء محل ضده
وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس من الحكم نوعا من
الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة
نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة
بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم
وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية
فان القاتل اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الآخرة ولكم فى القصاص
يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او
حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ فى القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل
حيوة او فى القرآن حيوة للقلوب يا اولى الالباب ذوى العقول الكاملة
ناداهم للتأمل فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس
لعلكم تتقون فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن
القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
اى حضر اسبابه وظهرت اماراته ان ترك اى مالا وقيل مالا كثيرا لما
روى عن على رضى الله تعالى عنه ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم
فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن
عايشة رضى الله تعالى عنها ان رجلا اراد ان يوصى فسألته كم مالك
فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك فقال اربعة قالت انما قال الله
ان ترك خيرا وان هذا لشىء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين

والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصى
او الايصاء ولذلك ذكر الراجع فى قوله فمن بدله والعامل فى اذا مدلول كتب
لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب
الشرط باضمار الفاء كقوله * من يفعل الحسنات الله يشكرها * و
رد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام فنسخ
باية المواريث وبقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اعطى كل ذى حق
حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه
بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من
الآحاد وتلقى الامة له بالقبول لا يلحقه بالتواتر ولعله احترز عنه
من فسر الوصية بما اوصى به الله تعالى من توريث الوالدين والاقربين بقوله
يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بالمعروف
بالعدل فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين
مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود
بعد ما سمعه اى وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه
فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه لانهم الذين خانوا و
خالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف
من موص اى توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائى
ويعقوب وابو بكر موص مشددا جنفا ميلا بالخطأ فى الوصية او اثما
تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع
فلا اثم عليه فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول
ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم
وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعنى الانبياء والامم من لدن

آدم عليه الصلوة والسلام وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب
على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع
الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه النفس لعلكم تتقون
المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال صلى الله تعالى
عليه وسلم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال بادائه لاصالته
وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل
من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل
بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب
صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر او
بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل
معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى
فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة
لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا
مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه
ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر
اي فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر
فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب
اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة [illegible] وقيل على الوجوب
واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه
وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية
طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء
العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص في ذلك في اول الامر لما امروا
بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر

برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ ابن
عامر برواية هشام بمساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون
بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه
ويقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه يتكلفونه او يتقلدونه
ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه
ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءات تحمل
معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز
في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي
يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو
فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم
طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر
خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء ان
كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف
دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر
علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر
مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف
المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب
على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من
اياما معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق
فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون
كما منع من داية كابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس واما سموه
بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب

فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة
الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل
فيه جملة الى سماء الدنيا ثم انزل منجما الى الارض او انزل في شانه القرآن
وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نزلت صحف
ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل
لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتداء او
صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط
وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه **هدى
للناس وبينات من الهدى والفرقان** حالان من القرآن اي انزل
وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق
بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام **فمن شهد منكم الشهر
فليصمه** فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن
شهد فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف
وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال
الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها
فيكون **ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر** مخصصا له
لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم
نسخه كما نسخ قرينه **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**
اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد
بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص
لتكملوا الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد
و

ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون
علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة
مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة ويجوز ان
ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله تعالى يريدون ليطفئوا
والمعنى بالتكبير تعظيم الله تعالى بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي
بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلة وما يحتمل المصدر
والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد
واذا سألك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب
وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم
بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت **اجيب
دعوة الداع اذا دعان** تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة **فليستجيبوا لي**
اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم **وليؤمنوا
بي** امر بالثبات والمداومة عليه **لعلهم يرشدون** راجين
اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم
انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام
بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه تعالى خبير
باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدا
له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال **احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم** روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم
الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر
رضي الله تعالى عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت

و ليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه
لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى
لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة
وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف يبين سبب
الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة و
شدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على
صاحبه شبه باللباس قال الجعدي : اذا ما الضجيع ثنى عطفها :
تثنت فكانت عليه لباسا : اولان كلا منهما يستر حال صاحبه
ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها
بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة
كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم
ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ
السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا ما
كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح المحفوظ من الولد والمعنى ان المباشر
ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر
وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول
ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى
ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا
عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي
انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون ياكلون ويشربون
حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة
جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز

المباشرة

المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام
الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون
في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة
الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك
وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء
يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي
ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا
ان يتخطى كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول
الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه
ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر و
النواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم
يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على النهي
او نصب على اضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا
طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين
بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان
الحضرمي ادعى على امرئ القيس قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا
ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته
من بعض فاقضي على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار
يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم
يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج انهم سألوا عن
الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله تعالى ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون

معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج
فان الوقت مراعى فيه اداءً وقضاءً والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين
المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدإها الى منتهاها والزمان مدة
مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها وقرأ
ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر ولكن البر من اتقى وقرأ نافع وابن
عامر بتخفيف لكن ورفع البر كان الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه و
وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر
وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين
او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكر للاستطراد او انهم لما سألوا
عما لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنونه ويختص بعلم النبوة عقبه
بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد
به التنبيه على تعكيسهم السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى
وليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت
من ابوابها اذ ليس في العدول بر او باشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه
والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جا
هدوا لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال
المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع
منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد
قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم عام الحديبية وصالحوه ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء
وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا
تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة والمثلة وقتل من نهيتم
عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم

في حل

في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا وهو يتضمن معنى الغلبة
ولذلك استعمل فيها قال ۞ فاما تثقفونّ فاقتلوني ۞ فمن اثقف فليس الى الخلود واخرجوهم
من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل
اي المحنة التي تفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم
النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد
الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة و
الكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو
اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن
القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا
عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة
موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان
تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاول للتعقيب والثانية للجزاء
الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم
لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهيتهم
القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلا تبالوا
به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص
فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم
كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير
واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين
فيحرسهم ويصلح شأنهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي

العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ماروى عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله
الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك
وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء
الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة و
المراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة
اى لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او ولا تلقوا بايديكم
انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او انفقوا على المحاويج ان الله يحب
المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو
يدل على هذا على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل
يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روى ان رجلا
قال لعمر رضي الله تعالى عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت
لسنة نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما
فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب
الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا
او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال
حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو
عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا حصر العدو
وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روى عنه عليه الصلاة والسلام من كسر او
عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة
بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم
ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل
تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه الصلاة والسلام
ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا

جاء

جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله
اي لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل
الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حراما واقتصاره على
الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان
والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي في مطية فمن كان منكم
مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة وقمل ففدية اي فعليه فدية
ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى انه
عليه الصلاة والسلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال
احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة
اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال سعة وامن فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن
استمتع وانتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل
فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما
استيسر من الهدي فعليه دم استيسر بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج
ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة
ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين
والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق
عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من
اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام
تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن
وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان
المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في
محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد ويتم مرا
تبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند

ابي حنيفة رحمه الله تعالى عنه اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك
منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على لم
مسافة القصر عندنا وان كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن كان مسكنه وراء
الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على
اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم
العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات
وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى عنه
وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما
لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة رحمه الله
وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة
للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجب على نفسه
بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى عنه وهو دليل على
ما ذهب اليه الشافعي رحمه الله تعالى وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش
من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال
ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على
انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في
الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح
على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف
بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه
الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان
خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن
كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان

يتزودوا

ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان
قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى
فيتبرؤا عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي
الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم
عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية
يقيمونها مواسم الحج وكان معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فاذا افضتم من عرفات
دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول
كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية
والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب
الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث اما
ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث
او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها
لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه الصلوة والسلام
فلما ابصره عرفه او لان جبرائيل عليه الصلوة والسلام كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال
قد عرفت او لان ادم وحوى عليهما السلام التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه
وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان تجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب
الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله تعالى ثم افيضوا او مقدمة
للذكر المامور به واجبة وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله
بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف
عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى
جابر انه عليه الصلوة والسلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر
الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة
ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة

كلها موقف الأوادى محسّر واذكروه كما هديكم كما علّمكم واذكروه ذكراً حسناً
كما هديكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من
قبله اى الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هى المخففة
واللام هى الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم
افيضوا من حيث افاض الناس اى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش
كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعاً عليهم فامروا بان يساووهم وثم
لتفاوت ما بين الافاضتين كما فى قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل
من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اى الناسى
يريد ادم من قوله فنسى والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا
الله من جاهليتكم فى تغيير المناسك ونحوها ان الله غفور رحيم يغفر ذنب
المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية
وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما
تفعلون بذكر اباءكم فى المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى
بين المسجد والجبل ويذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا
اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى واذكروا الله ذكرا كذكركم
اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم
ذكرا واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا
من اباءكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لاباءكم
فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله تعالى الا الدنيا ومكثر يطلب به خير
الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا اتنا فى الدنيا
اجعل ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا وما له فى الاخرة من خلاق اى نصيب وحظ
لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا فى الدنيا
حسنة يعنى الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفى الاخرة حسنة يعنى الثواب

والخير

والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول على رضى الله تعالى عنه الحسنة فى الدنيا
المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء وقول الحسن الحسنة فى الدنيا العلم
والعبادة وفى الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى
النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثانى وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اى
من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه
ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم
وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات
واكتساب الحسنات واذكروا الله فى ايام معدودات كبروه فى ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين
ورمى الجمار وغيرها فى ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر فى يومين يوم القر والذى بعده
اى فمن نفر فى ثانى ايام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه
باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه ومن تأخر فى النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال
وقال ابو حنيفة رح يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفى الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير
بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى اى
الذى ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى
لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله فى مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه
تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك
قوله يروقك ويعظم فى نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه
فى الحيوة الدنيا متعلق بالقول اى ما يقوله فى امور الدنيا واسباب المعاش او فى معنى
الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اى يعجبك قوله فى الدنيا حلاوة
وفصاحة ولا يعجبك فى الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له فى الكلام
ويشهد الله على ما فى قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما فى قلبه موافق لكلامه وهو الد
الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع
خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت فى الاخنس بن شريق

الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية
وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون
من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن
بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية
مبتدئة منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين
او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم
في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم
للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا
استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم
وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح ثم
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله
فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والرسل
منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم
الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن
لهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا
بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا
فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب
الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا
للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم
وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف
فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به
النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء وبعد مجيء الآيات تشجيعا لهم

على الثبات

على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يأتكم
ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل
الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء
بيان له على الاستئناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى
يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت
حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض فلان
حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتأخره الا ان نصر الله قريب استئناف
على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة
الى ان الوصول الى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة
الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عمرو بن الجموح الانصاري
كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت
قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن
السبيل سئل عن المنفق فاجيب عن بيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة
باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق
على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان
الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس
في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم
شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى المفعول كالخبز
وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم
اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه و
هو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو

جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر
عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها **والله يعلم** ما هو خير لكم **وانتم
لا تعلمون** ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف
عينها **يسألونك عن الشهر الحرام** روى انه عليه الصلوة والسلام بعث عبد
الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد
عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة نفر معه فقتلوه
واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم
يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا
يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق ذلك على اصحاب
السرية وقالوا لا نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغنيمة
وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا
وتعييرا وقيل اصحاب السرية **قتال فيه** بدل الاشتمال من الشهر وقرئ
عن قتال بتكرير العامل **قل قتال فيه كبير** اى ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا للعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف
والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتالا فيه نكرة في حيز مثبت
فلا يعم **وصد** صرف ومنع **عن سبيل الله** اى الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من
الطاعات **وكفر به** اى بالله **والمسجد الحرام** على ارادة المضاف اى وصد المسجد الحرام كقول
ابي داود اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على
سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على صد مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف
على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار **واخراج
اهله منه** اهل المسجد الحرام وهم النبي والمؤمنون **اكبر عند الله** مما فعلته السرية خطاء
وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوى فيه

الواحد

الواحد والجمع والمذكر والمؤنث **والفتنة اكبر من القتل** اى ما ترتكبونه من الاخراج و
الشرك افظع مما ارتكبوا من قتل الحضرمي **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن
دينكم** اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن
دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله **ان استطاعوا**
وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي
فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر فاولئك حبطت اعمالهم** قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال
كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة
فيه **في الدنيا** لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية **والآخرة** بسقوط
الثواب **واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** كسائر الكفرة **ان الذين آمنوا** نزلت
ايضا في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر **والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله** كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان
في تحقيق الرجاء **اولئك يرجون رحمة الله** ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا
بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم **والله غفور**
لما فعلوا خطاء وقلة احتياط **رحيم** باجزال الاجر والثواب **يسألونك عن
الخمر والميسر** روى انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا
افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم
وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فقام احدهم
يصلي فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص رضي في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا
فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه
فشكى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عمر رضي الله تعالى عنه اللهم بين لنا في الخمر

[illegible]

بياناً شافياً فنزلت إنما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر
انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب
والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكراً لانه يسكره اي يحجزه
وهي حرام مطلقاً وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب
والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر
ايضاً مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره
والمعنى يسئلونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير
من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور به وارتكاب المحظور وقرء حمزة
والكسائي كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ و
مصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصاً تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة
واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع
المتوقعة منهما ولذلك قيل انهما المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على
المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب
المعتزلة ويسئلونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضاً عمرو بن الجموح سأل
اولاً عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو نقيض الجهد
ومنه يقال للارض السهلة العفو وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه
الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ببيضة من ذهب اصابها في بعض الغنائم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى
كرر مراراً فقال عليه السلام هاتها مغضباً فاخذها فحذفها حذفاً لو اصابته لشجته
ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غنى وقرأ ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل
ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة

لمصدر

لمصدر محذوف اي تبييناً مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب بها جمع
على تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة
في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم
او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلماً اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم
فذكر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلا
حهم او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة
اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة
والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم
امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي
كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان
الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما يقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي
ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون
لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله
سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
روي انه عليه السلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناساً من المسلمين
فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال
بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولأمة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة مؤمنة
حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائ
لها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من

فلا يجوز تزويج مؤمنة لكافر اجماعا

مشركة ولو اعجبكم تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين
اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اى الى الكفر
المؤدى الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله اى اولياؤه يعنى المؤمنين
حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم يدعوا الى الجنة والمغفرة
اى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه [illegible]
بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين اياته للناس لعلهم
يتذكرون لكى يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول
من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسئلونك عن المحيض روى ان اهل الجاهلية
كانوا لا يساكنون الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى
ان سأل ابو الدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء
والمبيت ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر يسئلونك بغير واو ثلثا ثم بها ثلثا
لان سؤالات الاول كانت فى اوقات متفرقة والثلثة الاخر كانت فى وقت واحد
فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اى الحيض مستقذر موذ من يقربه
نفرة منه فاعتزلوا النساء فى المحيض فاجتنبوا مجامعتهن اذا حضن لقوله
عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا النساء مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخرا
جهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط
النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى و
رتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم
وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة
حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابن عياش يطّهّرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن
والتزاما قوله فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضى تاخير جواز الاتيان عن الغسل
وقال ابو حنيفة ان طهرن لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله
اى المأتى الذى امركم به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب

ويحب

ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان
فى غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من
النطف بالبذور فأتوا حرثكم اى فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن
من حيث امركم الله انى شئتم من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع
امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت تكذيبا
لهم وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء
واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا [illegible] وبشر
المؤمنين الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ان
ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت فى الصديق لما حلف ان لا ينفق على
مسطح لافترائه على عائشة رضى الله تعالى عنها او فى عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه
بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق
لما يعرض دون الشىء وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه
من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا
حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فأت بالذى هو خير وكفر عن يمينك وان مع
صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون
للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم
به وعلى الثانى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف
بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهى اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقويكم
واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا
موثوقا به فى اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم
الله باللغو فى ايمانكم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين
ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله وبلى

والله لمجرد التأكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لا يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتداء ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤا اي رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة رحمه الله عليه الايلاء في اربعة اشهر فما دونها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطئ ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل

بين

بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال ابو حنيفة لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه السلام سئل اين الثالثة

كالسلام بمعنى تسليم

فقال عليه السلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة
على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك
بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان
بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير
مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن
شيئا من الصدقات روي ان جميلة بنت اخت عبد الله بن ابي بن سلول كانت
تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت لا انا
ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني
اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل
في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت
منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم
الآمرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام و
هو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا
وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة احكامه من
مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان
بصلته عن الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم
ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل
في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة في اعطائه تلك حدود الله
اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود
الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم
ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع
ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة
سألت زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام

قال

قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما
الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده
وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء (او الخلع) واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق
فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر
الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه
فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق
مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق
يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد
من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى
كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور
على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة
الثوب فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى
تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر
النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن
التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل
فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان
يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله
ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير
الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه
لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود
الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعلمون
ويعملون

بمقتضى العلم وإذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى آخر عدتهن والاجل
يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذى به ينتهى قال
كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى
الشىء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد فى الآية ليصح ان يترتب
عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء
الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضى عدتهن
من غير تطويل وهو اعادة للحكم فى بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن
ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى
تشارف الاجل ثم يراجعها ليطلقها ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد
الامر بضده للمبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا
لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد
تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا
آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بما فيها من قولهم
لمن لم يجد فى الامر انما انت هازئ كانه نهى عن الهزء واراد به الامر
بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب
فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح
والعتاق واذكروا نعمت الله عليكم التى من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما
يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله
بكل شىء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن اى انقضت عدتهن وعن الشافعى
دل سياق الكلام على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن

ان ينكحن

ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روى انها نزلت فى معقل بن
يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون ذلك دليلا على
ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولى معنى ولا يعارض باسناد النكاح
اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضى
العدة ولا يتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل
الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد
بينهم وهم راضون به كانوا كالعاضلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت
الدجاجة اذا نشبت بيضتها فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اى الخطاب والنساء وهو
ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال
عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على
ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهى ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب
للجمع على تاويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر
والمنقضى دون تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبى اذا طلقتم
النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل واحد يوعظ به
من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اى
العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه
من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن
امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبى
الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن
وقيل تختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح
فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة
او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على
ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه

وعلى المولود له اى الذى يولد له يعنى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف فى استيجار الام فجوزه الشافعى ومنعه ابو حنيفة رحمهما الله مادامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اى ولا يكلف كل منهما الآخر ما ليس فى وسعه ولا يضار بسبب الولد وقرء ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لا يضر الوالدان بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق عليه فلا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى اى مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابى حنيفة رح وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اى فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذارا من

ان يقدم

ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرءة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرء ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما آتيكم الله تعالى واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى واصلح للطفل واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف حركته فى المبادى فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعى رح والحرة والامة كما قال الاصم والحامل وغيرها ولكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه بقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على رضى الله تعالى عنه وابن عباس رضى الله تعالى عنه انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن

ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح **والله بما تعملون خبير** فيجازيكم عليه **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء** التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالكسر والضم اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرءة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك **او اكننتم في انفسكم** او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا **علم الله انكم ستذكرونهن** ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ **ولكن لا تواعدوهن سرا** استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن **الا ان تقولوا قولا معروفا** وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه **ولا تعزموا عقدة النكاح** ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع **حتى يبلغ الكتاب اجله** حتى ينتهي ما كتب من العدة **واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم** من العزم على ما لا يجوز **فاحذروه** ولا تقربوه **واعلموا ان الله غفور** لمن عزم ولم يفعل خشية من الله **حليم** لا يعاجلكم بالعقوبة **لا جناح عليكم** لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق

فظن

فظن ان فيه حرجا فنفي **ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن** اي تجامعوهن وقرء حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن **او تفرضوا لهن فريضة** الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير الممسوسة ولكن سمي لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الآخرتين **ومتعوهن** عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأي الحاكم ويؤيده قوله **على الموسع قدره وعلى المقتر قدره** اي على كل من الذي له سعة والمقتر اي الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة رح هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي رح في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرء حمزة والكسائي وحفص وابن ذكوان بفتح الدال **متاعا** تمتيعا **بالمعروف** بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة **حقا** صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **على المحسنين** الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم بالمحسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا **وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة** لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها **فنصف ما فرضتم** اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثمة تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها **الا ان يعفون** اي المطلقات فلا يأخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل

ولم يسم لها مهرا اذا كانت ممسوسة فعليه صح

والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم تؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه
او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اى الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه
بالتشطير فيسوق المهر اليها كملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير
مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولى الذى يلى عقدة
نكاحهن وذلك اذا كانت المرءة صغيرة وهو قول قديم للشافعى وان تعفوا اقرب للتقوى
يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة
على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لان يسوقوا المهر الى النساء عند التزوج
فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير
بن مطعم انه تزوج امرءة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق
بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله
بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها
لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها فى تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم
يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اى الوسطى بينها او الفضلى منها
خصوصا وهى صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى
صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملئكة
وقيل صلوة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله
عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتى النهار والليل
والواقعة فى الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة
بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفى الليل وعن عائشة
رضى الله تعالى عنها انه عليه السلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون
صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص
وقوموا لله فى الصلوة قانتين ذاكرين له فى القيام والقنوت الذكر فيه وقيل
وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت فى الصبح فان خفتم من عدو
او غيره

او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم
وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعى وقال ابو حنيفة
لا يصلى حال المشى والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله
صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية
الصلوة حالتى الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون
مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها
بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون
وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك
قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرء الباقون بالرفع على تقدير
وصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم
وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت
والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه
او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى
انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا
بالسكنى والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا
وهو وان كان متقدما فى التلاوة فهو متأخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها
الربع والثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابى حنيفة رح فان خرجن عن منزل
الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن فى انفسهن كالتطيب وترك الحداد
من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن
الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها
والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع
بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة
منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم

ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واوّل غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقيل قال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرير القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم اياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجيب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله تعالى وقدره او قوما من بني اسرائل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع الف اوالف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادا فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله تعالى والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمران وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع

بالابتداء

بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي به يطلب ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزائه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأه عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير يضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبع مائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعف معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأه نافع والكسائي وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف في قوله تعالى وزادكم في الخلق بسطة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملأ من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اى من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم وهو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب والوصف للملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربع مائة واربعين فلما كتب عليهم

القتال تولوا الا قليلا منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث
لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه
منع صرفه روي ان نبيهم لما دعى الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم
فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل
ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك ور
وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا
راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة
في اولاد لاوي والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله قد
اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من
يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم
بذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم
وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة سياسة الامور وجسامة البدن
ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم
وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك
الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على
الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسب وغيره وقال لهم نبيهم
لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه
ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه
ما يخرج منه وليس بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ومن قرأ بالهاء فلعله ابدله
منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية
وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين
فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة

والتابوت

او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه
فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها
رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم
يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من ادم
الى محمد صلى الله تعالى عليهم اجمعين وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من
العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية
مما ترك آل موسى وآل هارون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة
هارون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل
لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله تعالى بعد موسى فنزلت به
الملائكة وهم ينظرون اليه وكان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم
الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت
خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت
ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عليه السلام
وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم
عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار
كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه
مما اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري لهم
الله تعالى نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحوه
فمن شرب فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه
مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم
نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي الا من
اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية
للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة

في القليل دون الكثير فشربوا منه الا قليلا منهم اى فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب
منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم
وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة
وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة الاف وقيل الفا روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه
واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا
لقاصد الاخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اى القليل الذين لم يخالفوه
قالوا اى بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم
وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اى قال الخلص منهم الذين تيقنوا
لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى
وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في
التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الخبر والاستفهام ومن
مزيدة او مبينة والفئة الفرقة من الناس من فاوت رأسه اذا شققته او من فاء
اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصرة والاثابة ولما برزوا
لجالوت وجنوده اى ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب
بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم
في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم
باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل
داود جالوت قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم
وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه
فجاء وقد كلمته في الطريق ثلثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في
مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك اى ملك بني

اسرائيل

بني اسرائيل ولم يجتمعا قبل داود على احد والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد
وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض
ولكن الله ذو فضل على العالمين اى ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر
المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض ولفسدت الارض
بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله تلك آيات الله اشارة الى ما قص من
حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت
نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ
وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل
اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل و
اللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره
منهم من كلم الله تفضيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم
موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما
بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل
كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة
وبمراتب متفاوتة وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة و
المعجزات المستمرة (متباعدة خ) والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة
للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين
وقيل ابراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس عليه السلام
لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم
البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في
تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة
لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم
من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحات لاختلافهم

في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام
دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما
اقتتلوا كررت للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل
من يشاء عدلا والاية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدار وانه يجوز تفضيل بعضهم
على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة
لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم
ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه
فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عنه اخلاؤكم او تقتدرون نخ
او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء
يشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير
جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير ويعقوب وابو عمرو على الاصل
والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا
المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله
ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتداء وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير
وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للاخبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان
يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم
الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة
ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ
من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا
وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه

وقيل خبره الحي القيوم ولا اله الا هو معترض بينهما

وتاكيد

وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير
ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير
لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما
او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض وما فيهن
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه
او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا
او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او با
لعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة
او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير
لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء
ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه
على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته
وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله
تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه ولا كرسي ~~العالم والملك~~ في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن
علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش
ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات والارض لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش
على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك
البروج وهو في الاصل لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب
الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج
حفظهما اي حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى
المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة

١١٦

اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها
دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود
لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن
التحيز والحلول مبرء عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه
ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش
الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم وحده بالاشياء كلها جليها
وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما يصح ان يملك ويقدر
عليه ولا يؤده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به
فهم ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان اعظم اية في القران اية الكرسي من
قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك
الساعة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم
يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها
اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله **لا
اكراه في الدين** اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله
عليه ولكن **قد تبين الرشد من الغي** تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة
ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي
الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى
الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة فلم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل
هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله تعالى
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان
انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر اليه فنزلت
آية

فخلاها

فخلاهما **فمن يكفر بالطاغوت** بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او
صد عن عبادة الله تعالى فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه **ويؤمن بالله**
بالتوحيد وتصديق الرسل **فقد استمسك بالعروة الوثقى** طلب الامساك
من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر
الصحيح والراي القويم **لا انفصام لها** لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم
اذا كسرته **والله سميع** بالاقوال **عليم** بالنيات ولعله تهديد على النفاق
الله ولي الذين امنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في
علمه تعالى انه يؤمن **يخرجهم** بهدايته وتوفيقه **من الظلمات** ظلمات الجهل و
اتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر **الى النور** الى الهدى
الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او
منهما او استئناف مبين او مقرر للولاية **والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت**
اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما **يخرجونهم من
النور الى الظلمات** من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد
والانهماك في الشهوات او من نور اليقينيات الى ظلمات الشكوك والشبهات
وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار
التسبب لا يأبى تعلق قدرته تعالى وارادته به **اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون** وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم
لشانهم **الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه** تعجيب من محاجة نمرود
وحماقته **ان اتاه الله الملك** لان اتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على
المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني
احسنت اليك او وقت ان اتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك
الكافر من المعتزلة **اذ قال ابراهيم** ظرف لحاج او بدل من اتاه على الوجه الثاني
ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرء حمزة رب

١١٧

بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل وقرء نافع
انا بالالف قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها
من المغرب اعرض ابراهيم عليه السلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة
الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو
في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن
الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمروذ زعم انه يقدر ان
يفعل كل جنس يفعل الله تعالى فنقضه ابراهيم عليه السلام بذلك وانما
حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم
الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه
وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب
ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل
النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره او ارايت
مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء
كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل
الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف
محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام
ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي
فاحي كاحياء الله تعالى الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر
بالبعث ويؤيده نظمه مع نمروذ والقرية بيت المقدس حين خربه
بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها
من القرى وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها
على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة
طريق

طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان
كان كافرا وانى في محل النصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف
فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله فلبث ميتا مائة
عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله تعالى وساغ ان يكلمه و
وان كان كافرا لانه امن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال
لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة
قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية فقال
او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك
لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام
السنة هاء وهاء السكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمإ المسنون
فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام
والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا
وكان الكل على حاله وقرا حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الاصل وانظر
الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه
بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق
لما بعده ولنجعلك اية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك اية روي
انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم
يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك فقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله
كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب احياءهم
كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب
بننشز والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرا ابن كثير ونافع وابو
عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر

ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر تفسيره مابعده
تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل
شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثانى عليه او ماقبله اى فلما تبين
له ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائى قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه
او هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت واذ قال ابرهيم رب
ارنى كيف تحيى الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل
لما قال نمرود انا احيى واميت قال ان احياء الله تعالى برد الروح الى بدنها
فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر
ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى
قال اولم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له تعالى
ذلك وقد علم انه اعرق الناس فى الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون
غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اى بلى امنت ولكن سألت
لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحى والاستدلال قال
فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم
من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايما الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية
انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذى هو صفة الطاوس و
الصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بها الغراب
والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب
الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمى به او جمع كصحب
فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شياتها لئلا
يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان
قال وما صيد الاعناق فيهم جبلة ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه
على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة
الراء

مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية
وهى الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اى ثم جزء
هن وفرق اجزاءهن على الجبال التى بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل
كانت سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله تعالى يأتينك
سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روى انه امر بان يذبحها
وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها
على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت
جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء
نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها
ويمزج بعضها ببعض حتى ينكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى
دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم
عليه الصلوة والسلام ويمن الضراعة فى الدعاء وحسن الادب فى السؤال
انه تعالى اراه ما اراد ان يريه فى الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد
ان اماته الله مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريد حكيم
ذو حكمة بالغة فى كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم
فى سبيل الله كمثل حبة اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم
كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل فى كل
سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من
الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى
والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها
سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه وقد تكون فى الذرة

والدخن وفي البر في الاراضي المغلّة والله يضاعف تلك المضاعفة
لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه و
من اجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق
عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا
منّا ولا اذى نزلت في عثمان رضي الله تعالى عنه فانه جهّز جيش
العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
فانه اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمنّ
ان يعتدّ باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه
بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء
فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف
بهم اذا فعلوا قول معروف ردّ جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاجة
او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر ردّه
خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما انما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة
والله غني عن انفاق بمنّ وايذاء حليم عن معاجلة من يمنّ ويؤذي بالعقوبة
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد
منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال
المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضاء الله ولا ثواب الآخرة او مماثلين
الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على
المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاق رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه

كمثل

كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر
فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون
لما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه ولا يجدون والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى
لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم والله
لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى
على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوا عنها ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على
الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى ثبت بعض نفسه و
من بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدئا من
اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل
وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكوة كمثل بستان
بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر
وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر
عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون
للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل
كما اريد بالزوج الواحد في قوله تعالى من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله
ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي
يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو
المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا يضيع بحال
وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل
بحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين

فى زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرئاء وترغيب
فى الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب
تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها
من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات
ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات
المنافع واصابه الكبر اى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب
والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له
جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب
فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار
المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة
كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء
فى الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها ووجدها محبطة
بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره فى عالم الملكوت وترقى
بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت
الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم
الايات لعلكم تتفكرون اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين
امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم
من الارض اى من طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف
المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردئ منه
اى من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر
وقرئ ولا تامموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل

تيمموا

تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه
ولستم باخذيه اى وحالكم انكم لا تاخذونه فى حقوقكم لرداءته الا ان
تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غمضه وقرئ ان
تغمضوا اى تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه
كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم
وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر
فى الانفاق والوعد فى الاصل شايع فى الخير والشر وقرئ الفقر بالضم و
السكون وبضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل
والعرب تسمى البخل فاحشا وقيل المعاصى والله يعدكم مغفرة منه
اى يعدكم فى الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم فى الدنيا
او فى الاخرة والله واسع اى واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتى الحكمة
تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول
الثانى ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر
اى ومن يؤته الله تعالى فقد اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثير اذ حيزت
خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الايات او وما يتفكر فان المتفكر
كالمتذكر لما اودع الله فى قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول
الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة
قليلة او كثيرة سرا او علانية فى حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط
او بغير شرط فى طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما
للظالمين الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها او يمنعون الصدقات
ولا يفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه

ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابو عامر وحمزة
والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع
ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس رضي الله
صدقة السر في التطوع تفضل على علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة
علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم
قرءه ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الاخفاء وقرأ ابن
كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على
انه جملة فعلية مبتداءة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن
في قوله فهو خير لكم اي هو خير لكم ونحن نكفر
نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده و
قرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير
ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس
مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن
والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من
الله تعالى وبمشيته وانها تختص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة
معروفة فلانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا
الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير
فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله
اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث
وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة
فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام

اللهم

اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم
اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان
ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر
وانتم لا تظلمون لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا
للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في
سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض
ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء
المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا
يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم
من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او لكل احد
لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم
لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون
وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله شعر على لاحب
لا يهتدى بمناره م ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات
والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر رضي الله تعالى عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة
بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله
لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم
علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله تعالى والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم

ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل
للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوزوا الوقف على وعلانية
محذوف
الذين يأكلون الربوا اى الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال
ولان الربوا شائع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم
او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب
بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة من يفخم وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو
الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان
الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان
فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اى الجنون
وهذا ايضا من زعماتهم ان الجن يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل
وهو متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم بسبب اكلهم الربوا
او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال
عقلهم ولكن لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك
بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا
الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوا استحلاله وكان
الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكسوا للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا
وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما
ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او
توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم
وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ
من الله تعالى وزجر كالنهى عن الربوا فانتهى فاتعظ واتبع النهى
فله

فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع
بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأى سيبويه
اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان
عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه
ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذى
يدخل فيه ويربى الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه
وعنه عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى يقبل الصدقة فيربيها كما يربى احد
كم مهره وعنه عليه الصلوة والسلام ما نقصت زكوة من مال قط والله لا
يحب لا يرتضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات
اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما جاءهم منه
وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال
الصالحات لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون
على فائت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا واتركوا بقايا
ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال
ما امرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبهم
عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله
اى فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش
فآذنوا اى فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقيل
استئناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استئناف
بتفسير حالهم ودأبهم او خبر ان ابتدئ بالذين من قبلهم والله شديد العقاب

تحويل للمؤاخذة وزيادة تخويف لكثرة العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قال ثقيف لا يدي لنا بحرب من الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر اي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله: واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد والباقون بتثقيلها خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيوخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتأهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل

ثلاث

ثلاث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اي اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية ولا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس منه شيئا اي لا ينقص من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم

من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب
عامة العلماء وقال ابو حنيفة رحمة الله تعالى عنه يسمع شهادة الكفار بعضهم
على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان
فليشهدوا او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا وبما عدا الحدود مخصوص
بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون
من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى
علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها
الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته
كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان
تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن
وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب
فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او
التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا
ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب
وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا
كان الكتاب او مشبعا الى اجله اي الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم
اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت
لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير القياس
او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت
في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره

واجله

واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس
عليكم جناح الا تكتبوها استثناء من الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم
المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد فلا بأس ان لا
تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم
مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقول بني اسد هل تعلمون
بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ما ورفعها الباقون على انه الاسم والخبر تديرونها
او على كان تامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر
التي في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف
في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل
عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة
والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان
يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد
مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم عنه فانه فسوق
بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه
ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر
لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية
وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية
وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي
يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق
لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه صلى الله تعالى
عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من الشعير اخذه

لاهله

لا احله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتب في السفر الذي
هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن
كثير وابو عمرو فرُهُنٌ كسُقُفٌ وكلاهما جمع رَهْن بمعنى مرهون وقرئ
باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اى بعض الداينين المديونين
واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اى دينه سماه
امانة لائتمانه عليه بترك بترك الارتهان به وقرئ الذيتمن بقلب الهمزة
والذتمن بادغام الياء في التاء وهو خطاء لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها
فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات
ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على
انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اى يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر
ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية
والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال
وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق
سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما
تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعنى ما
فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم
به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة و
الروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذ
تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر
وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب

الشرط

الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال
كقوله متى ما تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا في مثلها والله على كل شيء
قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه
من ربه شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه والاعتداد به
وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله و
ملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون
على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول
والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح
وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه
او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ
حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع
انه شايع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر
من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اى يقولون لا نفرق وقرأ
يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه
كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله
فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق
والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر
غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار
منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها
فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها

كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهو يدل على عدم
وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها
ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها و
تخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال
والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل
بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اى لا تؤاخذنا بما
ادى بنا الى نسيان او خطاء من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما
اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها
يؤدى الى الهلاك وان كان خطاء فتعاطى الذنوب لا يبعد ان يفضى الى
العقاب وان لم يكن له عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز
ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعم فيه ويؤيد ذلك مفهوم
قوله عليه الصلوة والسلام رفع عن امتى الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل
علينا اصرا عباء ثقيلا ياصر صاحبه اى يحبسه فى مكانه يريد به
التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته
على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذى حملته
اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنى اسرائيل من قتل الانفس
وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة فى اليوم والليلة وصرف ربع المال
للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التى لا يفى بها الطاقة البشرية
وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد
ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا

واستر

واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت
مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر
مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روى انه عليه الصلوة والسلام
لما دعى بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه الصلوة والسلام انزل الله تعالى
ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة
من قرءهما بعد العشاء الاخيرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه الصلوة والسلام
من قرأ الايتين من آخر سورة البقرة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان
يقال سورة البقرة وقال ينبغى ان يقال السورة التى يذكر فيها البقرة كما
قال عليه الصلوة والسلام السورة التى يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها
بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وايها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم فى المشهورة وكان حقها ان
يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها لتدل على انها فى حكم الثابت لانها
اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم فى حكم الوقف كقولهم واحد اثنان بالقاء
حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف
ولذلك لم يحرك فى لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين
وقرا ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحى القيوم روى انه عليه
الصلوة والسلام قال ان اسم الله الاعظم فى ثلث سور فى البقرة الله لا اله
الا هو الحى القيوم وفى ال عمران الم الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه
وعنت الوجوه للحى القيوم نزل عليك الكتاب القران نجوما بالحق

١٢٧

بالعدل او بالصدق فى اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله تعالى وهو
فى موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل
جملة على موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام واشتقاقهما من الورى والنجل
ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ
الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقرء ابو عمرو وابن ذكوان
والكسائى التورية بالامالة فى جميع القران ونافع وحمزة بين اللفظين الا
قالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القران
هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا
فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها
فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها
كانه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القران
وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه
يشاركهما فى كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين الحق والمبطل
او المعجزات ان الذين كفروا بايات الله من كتب المنزلة وغيرها لهم عذاب
شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام
لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح
والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة
فى اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه
شئ فى الارض ولا فى السماء اى شئ كائن فى العالم كليا كان او جزئيا
ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما
قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف

فيها

فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف
يشاء اى من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه
عالم باتقان فعله فى خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اى صوركم
لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على
مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهى حكمته وقيل
هذا حجاج على من زعم ان عيسى عليه الصلوة والسلام كان ربا فانه وفد
نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزلت السورة من
اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم
هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات احكمت عبارتها بان
حفظت من الاحتمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات
فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية واحدة واخر متشابهات
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر
ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا فى تدبرها و
تحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح
فى استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالى الدرجات واما
قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة
اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى
وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن
الاخر ولا يلزم منه معرفته لانه معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف
الا انه فى معنا المعرف او عن اخر من فاما الذين فى قلوبهم زيغ عدول عن
الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل

ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس
ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يؤولوه على ما يشتهونه
ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على
التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلايم الجاهل وما يعلم تاويله الذي
يجب ان يحمل عليه الا الله تعالى والراسخون في العلم اى الذين تثبتوا
وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله تعالى بعلمه
كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية
او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون
آمنا به استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته
مبتداء كل من عند ربنا اى كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر
الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة
الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس
واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما
قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى
بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له
غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور
من نطفة اب ومن غيرها وبانه يصوره في الرحم والمصور لا يكون اب
المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى
لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال
عليه الصلوة والسلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء
اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا

بعد

بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر
باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها
عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل
وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله تعالى وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب
عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع
وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين
ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه و
للاشعار به وتعظيم الموعود به لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب
بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم
التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او
مشركوا العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اى من رحمته او
طاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ
بالضم بمعنى اهل وقودها كداب آل فرعون متصل بما قبلها اى لن تغني عنهم
كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او بمرفوع المحل وتقديره داب
هؤلاء كدابهم في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل
الى معنى الشان والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا
فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر
ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة
تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اى قل لمشركي
مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلوة والسلام جمعهم
بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا
لا يغرنك انك اصبت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس
فنزلت وقد صدق الله تعالى وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر

وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم اي يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكانوا قريب الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله تعالى به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله تعالى او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم لعبرة لاولي الابصار اي لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى او لانه يكون من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات

والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحياة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على تقدير هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قرأه عاصم بضم الراء وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على مراتب نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله تعالى لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن الترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة

الاجابة

حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمجتهدين وقيل انهم كانوا يصلون الى
السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بيّن وحدانيته بنصب الدلائل
الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج
عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه
وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس
كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة
اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف
للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم
بالقسط على البدل من هو او الخبر المحذوف لا اله الا هو كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء
بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز
الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته
ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه الصلاة
والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله تعالى ان لعبدي هذا عندي
عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول
الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاول
اي لا دين مرضي عند الله تعالى سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي
جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان
فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ
انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما واجراء شهد
مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من
اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه
حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد
فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى عليه السلام

اختلفوا

اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى عليه السلام الا من بعد ما جاءهم
العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالايات والحجج بغيا بينهم
حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بايات الله فان
الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه
بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك
فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات والرسل
وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى و
الحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين
اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب أأسلمتم كما اسلمت
لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله تعالى فهل انتم منتهون
وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم
بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك
الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات
الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس
فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره عليه الصلوة والسلام قتل
اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين
ولكن الله تعالى عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون
الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر
اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح
والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب
الم تر الى الذين اوتوا الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان
وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم
والداعي محمد عليه الصلوة والسلام وكتاب الله القرآن او التورية لما روي انه عليه الصلوة والسلام

دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت فقال
على دين ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت
وقيل نزلت فى الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم
وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة فى الاصول **ثم يتولى فريق منهم**
استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب **وهم معرضون** وهم
قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة
ذلك اشارة الى التولى والاعراض **بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات**
بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ
وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل
او ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان
لا يعذب اولاده الا تحلة القسم **فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه**
استعظام لما يحيق بهم فى الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما
روى ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود
فيفضحهم الله تعالى على رؤس الخلائق ثم يؤمر بهم الى النار **ووفيت كل
نفس ما كسبت** جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن
لا يخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون فى النار ولا قبل دخولها فاذن
هى بعد الخلاص منها **وهم لا يظلمون** الضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى
كل نفس **قل اللهم** الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص
هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله
يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته **مالك
الملك** يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه
فان الميم عنده تمنع الوصفية **تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء**
تعطى منها ما تشاء لمن تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخران بعضان
منه

منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم **وتعز من تشاء وتذل
من تشاء** فى الدنيا او فى الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان
بيدك الخير انك على كل شئ قدير ذكر الخير وحده لانه المقضى بالذات و
الشر مقضى بالعرض اذ لا يوجد شر جزئى ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب
فى الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روى انه عليه الصلوة والسلام لما خط الخندق
وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم
تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخبره فجاء
فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين
لابتيها لكان مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى
منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها
قصور صنعاء واخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون
الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة
وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر
ايضا بيده بقوله انك على كل شئ قدير **تولج الليل فى النهار وتولج النهار
فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء
بغير حساب** عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت
والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز
وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول فى مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما
فى الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحى من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات
من موادها وامانتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن
من الكافر والكافر من المؤمن وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية
ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا فى الله او عن الاستعانة بهم فى الغزو

وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان
في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله
في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان
قال: تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب
الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء و
الفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن
موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة ح
جائز كما قال عيسى عليه الصلوة والسلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله
نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه
وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر
منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في
صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها
ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم
والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية
بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة
بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا
تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان
بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف
اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهو
له امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت
من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود
وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان يكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه

حكاية

حكاية لما تمنوا وفقا للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير
والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة
لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب اليم فيرجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها
على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله تعالى وان كل ما يراه كمالا
من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي
ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه به فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة
لاتباع الرسول في عبادته والحرص على طاعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
جواب للامر اي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم
من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة
او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت
لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد
المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه الصلوة والسلام انهم يحبون الله تعالى
فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل
المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا
يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من
هذه الحيثية ينفي محبة الله تعالى وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى
آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية و
الجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب عليهم طاعة الرسول وبين
انها الجالبة لمحبة الله تعالى عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على
فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او
عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اشعازار بن الجابوذ بن ربابل بن

سالبان بن يوحنا بن اوشابن امون بن منشكن بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راحبعيم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياداب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض فى الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ باقوال الناس واعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي فتنتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنّة بنت فاقوذا جدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران ابن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هارون عليه السلام فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبيناهى فى ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا فى عهدهم فى الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا مُحَرَّرًا معتقا لخدمته لا اشغله بشىء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فَتَقَبَّلْ مِنِّي ما نذرته إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ بقولى ونيتى فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى الضمير لما فى بطنى وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجوان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ اى بالشىء الذى وضعت وهو استيناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها

و

وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعتُ على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله تعالى فيه سرّا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعتِ على خطاب الله تعالى لها وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى بيان لقوله والله اعلم اى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ اجيرها بحفظك وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا فرضى بها فى النذر مكان الذكر بِقَبُولٍ حَسَنٍ بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر والقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اى فاخذها فى اول امرها حين ولدت بقبول حسن وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا شدد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش

على ان الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها و
وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اى الغرفة
التى بنى لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان
كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه
روى انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة
ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس قال يا مريم
انى لك هذا من اين لك هذا الذى لا يشبه ارزاق الدنيا والحال ان الابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك وجعل ذلك معجزة زكريا عليه السلام يدفعه
اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة
كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان
الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا
به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله تعالى روى ان فاطمة رضى
الله تعالى عنها اهدت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغيفين وبضعة من
لحم فرجع بها اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا
ولحما فقال عليه السلام لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من
يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى
اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه فى
ذلك المكان او الوقت اذ تستعار هنا وثمة وحيث للزمان لما رأى كرامة
مريم ومنزلتها من الله تعالى قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة كما
وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه فى غير اوانها انتبه على
جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك لانه لم يكن
على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته
الملائكة اى من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبرائيل
عليه

عليه السلام وحده وقرأ حمزة والكسائى فناديه بالامالة والتذكير وهو
قائم يصلى فى المحراب اى قائما فى الصلوة ويصلى صفة قائم او خبر او حال
اخر او حال عن الضمير فى قائم ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرأ
نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة
والكسائى يبشرك ويحيى اسم اعجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف
ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اى بعيسى عليه السلام سمى بذلك لانه
وجد بامر الله تعالى بلا اب فشابه البدعيات التى هى عالم الامر او بكتاب الله تعالى
سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم
وكان فائقا للناس كلهم فى انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا فى منع النفس
عن الشهوات والملاهى روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب
فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم
يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لى غلام استبعادا من حيث العادة او
استعظاما وتعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغنى الكبر ادركنى كبر السن
واثر فى وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتى عاقر
لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل
ما يشاء اى يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ
فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق
الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان
له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب
اجعل لى آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح
مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام ان لا تقدر على تكليم
الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى
وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن

الجواب ما أشق عن السؤال الأمر للطاعة بحويدا وراين ولضله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على الحال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله ∴ متى ما تلقني فردين ترجف ∴ روانف اليتيك وتستطارا ∴
واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى عليه الصلوة والسلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعي مع الراكعين بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ

يلقون

متعلق بمحذوف

يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولم يظن به عاقل ايهم يكفل مريم دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولون ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل عليه السلام ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد به الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد ينسب الى الاباء ولا ينسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبته الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء عليهم السلام من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد كهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية ومن

الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر تعجب او استبعاد عادى واستفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل عليه السلام او الله وجبريل حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتداء ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق وكانه قال و ناطقا بانى قد جئتكم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من انى قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هى انى اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير وقرأ نافع بالكسر فانفخ فيه الضمير للكاف اى فى ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا باذن الله تعالى نبه به على ان احياءه من الله تعالى لا منه وقرأ نافع هنا وفى المائدة طائرا بالالف والهمزة وابرئ الاكمه والابرص اى الذى ولد اعمى او الممسوح العين روى انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداوى الا بالدعاء واحيى الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدى من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب

باضمار

باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر بما بعدها او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذى حرم عليكم اى فى شريعة موسى عليه الصلوة والسلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اى جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهى قولى ان الله ربى وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبى والساحر او جئتكم باية على ان الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اى جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاولى لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلوة والسلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصارى الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصارى مضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله فى نصرى وقيل الى ههنا بمعنى مع او فى او اللام قال الحواريون حوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمى به اصحاب عيسى عليه الصلوات والسلام

١٧٢

لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم
عيسى عليه الصلوة والسلام من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى
يبيضونها نحن انصار الله اى انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد
لنا يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا
الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين
يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه الصلوة والسلام فانهم شهداء على الناس
ومكروا اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله
حين رفع عيسى عليه الصلوة والسلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل
والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى
الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على
ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر
مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اى مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك
من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روى انه رفع
نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته
الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ورافعك الي
الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او
قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة
يغلبونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين
والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة
ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطب على الغائبين
فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا
فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين
واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم

وتفصيل

وتفصيل له والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق
من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال
من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة
وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على
الحكم او المحكم عليه الممنوع من تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان
مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من
تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم
بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق
قالبه من التراب ثم قال له كن انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر وقدر
تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية
حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق ومن ربك خبره اى
الحق المذكور من الله تعالى فلا تكن من الممترين خطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
على طريق التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه
في عيسى عليه السلام من بعد ما جاءك من العلم اى من البينات الموجبة للعلم فقل
تعالوا هلموا بالرأى والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها
وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اى نتباهل
بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة
اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا
الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم
نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان
ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو

يقول اذا انا دعوت فأمِّنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى انى لأرى وجوهاً
لو سألوا الله ان يزيل جبلاً من مكانه لازاله فلا تباهلوا فاذعنوا لرسول الله و
وبذلوا له الجزية الفى حلة حمراء و ثلثين درعاً من حديد فقال عليه الصلوة و
السلام والذى نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم
عليهم الوادى ناراً ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو
دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا ما قص من نبإ عيسى
عليه السلام ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره
فى شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب
الى المبتداء من الخبر واصلها ان تدخل المبتداء وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة
للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد
سواه يساويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية فان تولوا
فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى
عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المودى الى فساد النفس
بل الى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد نجران
او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب
وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا
نشرك به شيئاً ولا نجعل غيره شريكاً له فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلاً لان
يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ولا يقول عزير ابن الله و
لا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم لان كلا منهم
بعضنا بشر مثلنا روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون
الله قال عدى ابن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال عليه السلام اليس كانوا
يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن
التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون

دونكم

فتهلكوا

دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر
الى ما راعى فى هذه القصة من المبالغة فى الارشاد وحسن الترتيب فى التدرج
فى الحجاج بيّن اولاً احوال عيسى عليه السلام وما تعاور عليه من الاطوار المنافية
للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم
دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض
الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقاً اسهل والزم بان دعاهم الى ما
وافق عليه عيسى والانجيل وساير الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك عليهم
ايضا وعلم ان الايات والنذر لا تغنى عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا
مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى فى ابرهيم وزعم كل فريق
انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية
والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى عليهم السلام وكان
ابراهيم عليه السلام قبل موسى عليه السلام بالف سنة وعيسى عليه السلام بالفين فكيف
يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما
لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على
حالهم التى غفلوا عنها وانتم مبتداء وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى
اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه فى التورية
والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تحاجون فيما لا علم لكم به ولا ذكر فى
كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله
أانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وابو عمرو
هانتم حيث وقع بالمد من غير همز وقنبل بالهمزة من غير الف بعد الهاء والباقون بالمد
والهمزة والبزى بقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون
وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرر

من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقايد الزايغة مسلما منقادا لله
وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من
المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء
المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به و
اقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين
امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ وهذا النبي بالنصب
عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم
ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت
في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون
الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما
يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب
لم تكفرون بايات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم وانتم تشهدون انها ايات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين
او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف
وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد و
تلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور
وتكتمون الحق نبوة محمد عليه السلام ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت
طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اي اظهروا
الايمان بالقران اول النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون واكفروا به اخره لعلهم
(اي المؤمنون)
يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف
ومالك بن صيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة
وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا
فيرجعون وقيل اثنى عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار

ويقولوا

ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية
لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب
الا لاهل دينكم ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم
ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى
احد لا لشيء اخر والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا
ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا
يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى
الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل عن
الهدى وقراءة ابن كثير اان يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه الاول اي الان
يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند
ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه يحاجوكم عند ربكم حتى
فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده
اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان
تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي اخر دينارا
فجحده وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في
القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرا حمزة وابو بكر وابو عمرو يؤده
اليك ولا يؤده باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روي عن هشام
والباقون باشباع الكسرة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على راسه
مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء

قولهم المدلول عليه بقوله ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل
اى ليس علينا في شان من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون
على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم
استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود
رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم
وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب
اعداء الله تعالى ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة
الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده
واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير
المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب عن الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى
ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان
الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسل والوفاء
بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا
متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء
اصلا وان الملائكة يسئلونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى واياته والظ
انه كناية عن غضب الله تعالى عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط
على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من
اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب
اليم على ما فعلوا قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وحكم الامانات وغيرها واخذوا على ذلك رشوة و
قيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل
في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على
اليهودي وان منهم لفريقا يعنى المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم

بالكتاب

بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب
وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على
الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول
عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو
من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم
وبيان لكذبهم لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اى ليس هو نازلا من
عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله تعالى ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه ما كان
لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا
لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وقيل ان ابا رافع القرظي
والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك او نتخذك ربا فقال معاذ الله ان
نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت و
قيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما نسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك
قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله
ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الا
الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب
كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل
وقرء ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون
من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان تكون
القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب
عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اى ما كان لبشر

ان يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة و
والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ
اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف
ويحتمل الحال وقرأ ابو عمرو على اصله برواية الدوري باختلاس الضم أيأمركم
بالكفر انكار والضمير فيه لبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان
الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له وإذ أخذ الله ميثاق النبيين
لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و
لتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء عليهم السلام كان الامم به اولى
وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم
وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق
الذي وثقه الانبياء عليهم السلام على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف
وهم بنو اسرائيل او سمى اهل الكتاب نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى
بالنبوة من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانا اهل كتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما
موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن
ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما
مصدرية اى لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول صلى صلى الله تعالى عليه وسلم
عليه وسلم مصدق له اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه
للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل
ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احد الميمات الثلاث استثقالا وقرأ
نافع آتيناكم بالنون والالف قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري اى عهدي
سمي به لانه يؤصر اى يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار
وهو ما يشد به قالوا أقررنا قال فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار
وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم

شاهد

شاهد وهو تاكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار
والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة أفغير دين الله يبغون
عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او على محذوف تقديره ايتولون
فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند
ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقيل لهم
وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اى طائعين بالنظر واتباع الحجة و
كارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف
على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا
عما قضي عليهم واليه يرجعون وقرأ حفص ويعقوب بالياء على ان الضمير لمن
قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى
وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بان يخبر
عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط
تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن
نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى
الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه
المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له اى الله
مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اى غير
التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين
من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد
للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به
على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين
يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما
كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد

لانهم لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك فى الضلال بعيد
اى المائل عن الحق منهمك فى الضلال بعيد عن الرشاد غايم
عن الرشاد وقيل نفى وانكار له وذلك يقتضى ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا
ان تبث
عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من
لان معناه بعد ان امنوا مرادا
كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان
والله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع
الكفر موضع ايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم و
بمفهومه ينفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن
الهدى مايوسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان
من سائر الكفرة لم
الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها فى
اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اى بعد الارتداد و
اصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى دخلوا فى الصلاح فان
الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت فى الحارث بن سويد
حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس
بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود
كفروا بعيسى عليه الصلوة والسلام والانجيل بعد الايمان بموسى عليه الصلوة والسلام
والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه الصلوة والسلام والقرآن او كفروا بمحمد عليه الصلوة
والسلام بعد ما امنوا قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه
والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا
بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم
حوادث الدهر
لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم
بعدم قبولها تغليظا فى شانهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة او

لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء
فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا تغليظا فى شانهم وابرازا لحالهم فى صورة
حال الآيسين من الرحمة لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء
ههنا للاشعار به وملء الشئ ما يملاه وذهبا نصب على التميز وقرئ بالرفع على
البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من
احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل
من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى
الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه
والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شئ واحد اولئك لهم عذاب اليم
مبالغة فى التحذير والاقناط لان من لم يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين فى دفع
العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير
او لن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضاء والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اى من المال او ما يعمه و
غيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله تعالى والمهجة فى سبيل الله روى انها لما
نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالى الى بيرحا فضعها حيث اراك الله فقال بخ
بخ ذاك مال رابح او رايح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين وجاء زيد ابن حارثة بفرس كان يحبها
فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسامة بن
زيد فقال زيد اردت ان اتصدق بها فقال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى قد
قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل
وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على
ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شئ اى من اى شئ محبوب
او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام الطعام
اى المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبنى اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر

الجزء الرابع

انما

١٢٢

نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا احل لهم
الا ما حرم اسرائيل يعقوب عليه السلام على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به
عرق النساء فنذر ان شفى لم ياكل احب الطعام اليه وكان احبه اليه وقيل فعل
ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبى ان يجتهد وللمانع ان يقول
ذلك باذن من الله تعالى فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اى من قبل انزالها
مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على
اليهود فى دعوى البراءة عما نعى عليهم فى قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الايتان
بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى
انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى منع النسخ والطعن فى دعوى
الرسول موافقة ابراهيم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم
صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم
ما لم يكن محرما روى انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه
دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل
نزول التورية على بنى اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمهم الحجة فاولئك
هم الظالمون الذين تعريض بكذبهم اى ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته
حتى تتخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض
الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابراهيم عليه السلام ومن تبعه وما كان
من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى
الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع
للناس اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ
على البناء للفاعل للذى ببكة للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة كالنبيط والنميط وامر

راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او
من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى انه عليه الصلوة والسلام سئل عن
اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال
اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم عليه الصلوة والسلام ثم هدم فبناه قوم من جرهم
ثم العمالقة ثم القريش وقيل هو اول بيت بناه آدم عليه الصلوة والسلام فانطمس فى الطوفان
ثم بناه ابراهيم عليه الصلوة والسلام وقيل كان فى موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح
يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع فى الطوفان الى السماء
الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلايم ظاهر الاية وقيل المراد انه اول بالشرف
لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من
المستكن فى الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة
كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان
ضوارى السباع تخالط الصيود فى الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء
قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم مبتداء
محذوف خبره اى منها مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان
على ان المراد بالآيات اثر القدم فى الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها
بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه
الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان
الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان
امنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه فى معنى امن
من دخله اى ومنها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر
بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه الصلوة والسلام حبب الى من دنياكم
ثلث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما فى الذكر من
بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه الصلوة والسلام من مات

في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابو حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص
او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج **ولله على الناس حج البيت** قصده للزيارة
على الوجه المخصوص وقرأ حمزة في رواية حفص بالكسر وهي لغة نجد **من استطاع
اليه سبيلا** بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة
على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي
والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى عليهم اجمعين انها بمجموع الامرين والضمير في اليه
للبيت او الحج وكل ما أتى الى الشيء فهو سبيله **ومن كفر فان الله غني عن العالمين**
وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه
الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق
واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه فانه كايضاح بعد ابهام
وتنبيه وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه
في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة
التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف
شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والا
قبال على الله تعالى روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارباب
الملل فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به
خمس ملل فنزل ومن كفر **قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله** اي بآياته السمعية
والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله تعالى عليه السلام فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره
وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح فانهم وان زعموا انهم مؤمنون
بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما **والله شهيد على ما تعملون** والحال انه شهيد
مطلع على اعمالكم فمجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار **قل يا اهل الكتاب**

لم

لم تكفرون بآيات الله اي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل
على ان كفرهم اقبح فانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما
والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فمجازيكم عليها لا
ينفعكم التحريف والاستسرار **قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من
آمن** كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان
كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور
بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس
والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون
لصدهم عنه **تبغونها عوجا** حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا
على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم **وانتم
شهداء** انها سبيل الله تعالى والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل
دينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا **وما الله بغافل عما تعملون**
وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله
والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام و
كانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون **يا ايها الذين آمنوا ان
تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين** نزلت في نفر من
الاوس والخزرج وكانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه
تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث و
ينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم و
تفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه
اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد

إذا كرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة
من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا
مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وانما خاطبهم الله تعالى بنفسه بعد ما امر الرسول بان
يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخا
طبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله
انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر
ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي
الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق
تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب
عن المحارم لقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هو ان يطاع
فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها
وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة
وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم
مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان
النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى و
قد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام
او بكتابه لقوله عليه الصلوة والسلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث
ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن
التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين
عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا
تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة
واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى
التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم

بالاسلام

بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل
كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب
مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله تعالى بالاسلام والف بينهم برسوله صلى الله
تعالى عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم
لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحالة لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام
والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة
فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر
وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم
تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير
ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك
فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام
بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا
اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا
امة تامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر و
الدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون
بكمال الفلاح روي انه عليه الصلوة والسلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا
على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر
ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك
احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا
في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات

١٥١

والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق
في الاصول دون الفروع لقوله عليه الصلوة والسلام اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد
فاصاب فله اجران ومن اخطاء فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد
للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب
بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور
بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق
البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة
للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بعد ايمانهم قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا حين اشهدهم على
انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والايات فذوقوا العذاب امر اهانة بما
كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان
المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله
وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية
المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتأكيد كانه قيل
كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده
نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين
اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شئ فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شئ فيظلم
بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله
ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم
فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم
في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم

تامرون

تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان
لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما
يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم
لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا
به واظهارا لدينه واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين
بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم
على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان
الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم
الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد
لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
ينهزموا ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم
او يدفع بأسكم عنهم نفي اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى
القتال كانت الدائرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا
عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصرة مقيدا بقتالهم وهذه
الاية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع
ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك
بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وهو
استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين
او ملتبسين بذمة الله تعالى او بكتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام
واتباع سبيل المؤمنين وباؤوا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت
عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب
الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق

١٢٧

بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اى القتل والكفر بما عصوا و
كانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى فان الاصرار على
الصغاير يفضى الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب
الذلة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب
عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء
فى المساوى والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان
نفى الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم
يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن فى تهجدهم
عبّر عنه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ فى المدح وقيل
المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه عليه الصلوة والسلام
اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان
احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات صفات اخر لامة
وصفهم بخصايص ما كانت فى اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل
مشركون بالله تعالى ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون
فى الاحتساب متباطؤن عن الخيرات واولئك من الصالحين اى الموصوفون
بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله تعالى واستحقوا رضاءه وثناءه
وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك
كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى المفعولين لتضمنه معنى الحرمان
وقرأ حمزة والكسائى وحفص فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم
بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل فان الفائز
عند الله تعالى هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك

اصحاب

اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة
قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا فى هذه الحيوة الدنيا كمثل
ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح البارده كالصرصر فهو فى الاصل
مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا
انفسهم بالكفر والمعاصى فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد
تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه
منفعة ما فى الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه
الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله و
لكن انفسهم يظلمون اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم
لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم
بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز
ان يقدر ضمير الشأن لانه لا يحذف الا فى الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذى يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه
ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال صلى الله تعالى عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار من دونكم
من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وهو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم
لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم فى الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم
عدى الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما
عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء
من افواههم اى فى كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفى صدورهم
اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب
الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل
الاربع جاءت مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة
ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفار و

١٤٧

وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم او هو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحيرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون داخلا من المقول اي وقل لهم ان الله عليم لما هو اخفى مما يخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله تعالى عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله تعالى وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرء ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عايشة تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان

على

على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه الصلوة والسلام رايت في منامي بقرا مذبوحة في حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم فقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب من احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي فجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه الصلوة والسلام خرج في زهاء الف رجل الى احد ووعد لهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان

لرجل يسمى بدرا فسمي به وأنتم أذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل
على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم
تشكرون ما أنعم به عليكم بتقواكم من نصرة او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع
الشكر موضع الانعام لانه سببه إذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من
إذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا
عن الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم ينزل الملائكة ألن يكفيكم أن يمدكم
ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا
بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل أمدهم الله
الله تعالى يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن
عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اى بلى يكفيكم ثم وعد لهم
الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم
اى المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر
اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم
في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتأخير
مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء لقوله عليه الصلوة والسلام
لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم
بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه
من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة
في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث
ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحثا الى ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا
يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة
ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى
لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين
من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب وا و

للتنويع

للتنويع لا للترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر
شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله تعالى
مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا
وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون
معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم
شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان
اى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم
روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم
عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم
ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد
استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله
الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد
بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها
الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص
بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق
بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله
فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي أعدت للكافرين
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار
وبالعرض للعصاة وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد
ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل
الى ما جعل خبرا له وسارعوا الى بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق
به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو
وجنة عرضها السموات والارض اى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة
في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
كسبع السموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض أعدت للمتقين هيئت لهم وفيه

دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة
للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حال الرخاء والشدة
او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو من مسرة او مضرة اى لا يخلون في حال ما بانفاق
ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن
امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا
والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته وعن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت
والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة
اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم
بان اذنبوا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل
الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه
او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله
استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة و
عموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم
يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه الصلوة والسلام ما اصر من استغفر وان عاد
في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اى لم يصروا على قبيح فعلهم
عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته
على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان
لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم
وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون من ما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات
المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلتين انه فصل آيتهم بان بين انهم
محسنون مستوجبون محبة الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا
الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله تعالى ونعم اجر العاملين لان

المتدارك

المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن و
المتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص
بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت
من قبلكم سنن وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله
في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال [illegible] ما عاين الناس من فضل كفضلكم [illegible] ولا ارى
مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اى انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة
وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث
على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم
احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون
وحالكم انكم اعلا منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل
وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا
منكم اليوم او انتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين
متعلق بالنهي اى ولا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله تعالى
او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وقرأ حمزة والكسائي
وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم
منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم
ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم
قبل ان يخالفوا امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها
بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما
نسر والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر
ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين امنوا
عطف على علة محذوفة اى نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة

١٥١

وانّ ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يُعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره
وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه
ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان
وقيل معناه ليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجوداً ويتخذ منكم شهداء
ويكرم ناساً منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهوداً معدّلين بما صودف
منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف
ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة
وانما يغلبهم احياناً استدراجاً لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهر
هم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم
ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلاً قليلاً ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل
احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا والفرق بين
لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلمَ بفتح الميم على ان اصله يعلمن
فحذف النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان
الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها
من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدراً وتمنوا ان يشهدوا
مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشهداً لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحّوا
يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد
رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه معاينين له حين قُتل دونكم من قُتل
من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها
او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من
قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افإن مات او قتل انقلبتم على
اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوّه بموت او قتل
بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به وقيل الفاء للسببية
والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لانقلابهم على اعقابهم بعد
وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله تعالى

عليه

عليه السلام بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذبّ عنه مصعب بن عمير
رضي الله تعالى عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه
قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قد قتلت محمداً وصرخ صارخ الا ان
محمداً قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الي عباد الله فانحاز اليه
ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال
بعضهم ليت ابن ابيّ يأخذ لنا اماناً من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان
نبياً لما قُتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن
مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة
بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه
وشدّ بسيفه فقاتل حتى قُتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً
بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات
عليه كأنس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيته تعالى
او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلاً مسمى في علمه تعالى
وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه
وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتاخير الاجل كتاباً
مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتاباً مؤجلاً صفة له اي موقتاً لا يتقدم ولا
يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم
احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى
الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم
من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي
الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء من الجهاد وكأين اصله

اى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت فى الخط على
غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم
رعملى فى لعمرى فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى
الفا كما ابدلت من طائى من نبى بيان له قاتل معه ربيون كثير
ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربى منسوب الى
الربة وهى الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل و
اسناده الى ربيون او ضمير النبى ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه
قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات
النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر
جدهم لما اصابهم من قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او بعضهم وما ضعفوا عن
العدو او فى الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة
او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض
بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلوة والسلام والله يحب الصابرين
فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا
اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم فى الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول
وهو اضافة الذنوب والاسراف الى نفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء
اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب والنصر على
العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم
خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله

ثواب

ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب
الاستغفار واللجاء الى الله النصر والغنيمة وحسن الذكر فى الدنيا والجنة والنعيم
فى الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين
آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم
ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابى سفيان واشياعه وتستأمنوهم
يردوكم الى دينهم وقيل عام فى مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه
يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير
بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره
سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف فى قلوبهم من الخوف
يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا
موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلوة والسلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا
وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله تعالى
الرعب فى قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائى ويعقوب بالضم على الاصل فى كل
القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اى
آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وهو كقوله ولا ترى
الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة
لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اى مثواهم فوضع الظاهر
موضع الضمير للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اى وعده اياهم بالنصر
بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل
الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم

إذ تحسّونهم بإذنه تقتلونهم من أحسّه إذا أبطل حسّه حتى إذا
فشلتم جبنتم وضعف رأيكم أو ملتم إلى الغنيمة فإن الحرص من ضعف العقل
وتنازعتم في الأمر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم
فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف أمر الرسول فثبت مكانه أميرهم في نفر
دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنيّ بقوله وعصيتم من بعد
ما أراكم ما تحبّون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب إذا محذوف (قدره في الكشاف وغيره يمتحنكم)
وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم
من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على أمر الرسول ثم صرفكم
عنهم ثم كفّكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب
ويمتحن ثباتكم على الإيمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلاً ولما علم من
ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو
أو في الأحوال كلها سواء أديل لهم أو عليهم إذ الابتلاء أيضاً رحمة إذ تصعدون
متعلق بصرفكم أو ليبتليكم أو بمقدر كاذكروا والإصعاد الذهاب والإبعاد في
الأرض يقال أصعدنا من مكة إلى المدينة ولا تلوون على أحد لا يقف أحد لأحد
ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول إليّ عباد الله أنا رسول الله من
يكرّ فله الجنة في أخراكم في ساقتكم وجماعتكم الأخرى فأثابكم غماً بغم
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم عطف على صرفكم والمعنى
فجازاكم الله تعالى عن فشلكم وعصيانكم غماً متصلاً بغم من الاغتمام بالقتل
والجرح وظفر المشركين والإرجاف بقتل الرسول أو فجازاكم غماً بسبب غم
أذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرّنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا
على ما فاتكم فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضرّ لاحق وقيل لا مزيدة و

المعنى

والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما أصابكم من الجرح والهزيمة
عقوبة لكم وقيل الضمير في فأثابكم للرسول أي فآساكم في الاغتمام فاغتم
بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثرّبكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا
على ما فاتكم من النصر ولا على ما أصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون
عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً
أنزل الله تعالى عليكم الأمن حتى أخذكم النعاس وعن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه غشينا
النعاس في المصافّ حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه
والأمنة الأمن نصب على المفعول ونعاساً بدل منها أو هو المفعول وأمنة حال
منه متقدمة أو مفعول له أو حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع
آمن كبارّ وبررة وقرئ أمْنة بسكون الميم كأنها المرّة من الأمن يغشى طائفة
منكم أي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء رداً على الأمنة والطائفة المؤمنون
حقاً وطائفة هم المنافقون قد أهمّتهم أنفسهم أوقعتهم أنفسهم
في الهموم أو ما يهمّهم إلا همّ أنفسهم وطلب خلاصها يظنّون بالله
غير الحق ظنّ الجاهلية صفة أخرى لطائفة أو حال أو استئناف على
وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر أي يظنون بالله غير الظن
الحق الذي يحق أن يظن به وظنّ الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية
وأهلها يقولون أي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون هل لنا من
الأمر من شيء هل لنا من الأمر مما أمر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط
وقيل أخبر ابن أبيّ بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى أنا منعنا تدبير أنفسنا و
تصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الأمر شيء أو هل يزول عنا هذا القهر
فيكون لنا من الأمر شيء قل إن الأمر كله لله أي الغلبة الحقيقية لله ولأوليائه

فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في
ولله خبره
انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم
مسترشدون طالبون للنصرة مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي
في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استيناف
على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد وزعم ان الامر كله
لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن ابي
وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل
لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي
لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم
ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في
سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن
ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف
اي فعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة او كثيرة
وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او
يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها و
فيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين
واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم
الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم
ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص
على الغنيمة لمخالفة النبي فمنعوا التاييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان

توليهم

توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة
وقيل استزلال الشيطان بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة
والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور
للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم
اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا
للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا
غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل
على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق
بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم
في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة وذلك اشارة الى
ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله
اشارة
انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله
يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه
تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير
تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه
وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة
والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون
جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب
الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالونه من المغفرة والرحمة
بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء

ولئن متم او قتلتم على اى جهة وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذى توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفى جزاكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائى متم بالكسر

فبما رحمة من الله لنت لهم اى فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق لهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله تعالى وشاورهم في الامر اى في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم و تطييبا لنفوسهم وتمهيد السنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اى فاذا عزمت لك على شيء اى عينته لك فتوكل علىّ ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الاصلاح ان ينصركم الله كما نصركم الله تعالى يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذى ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله تعالى وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وامنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا

اخذه

اخذه في خفية والمراد منه اما براءة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما اتهم به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روى انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة يات بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت يعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد عذاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصى ومأويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم اياته اى القران بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى ويزكيهم يطهرهم من دنس الطبايع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة اى القران والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا

قد اصبتم مثليها صفة لمصيبة وقلتم جواب لما والهمزة للتقريع

الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل
أفعلتم كذا وقلتم ولمّا ظرف المضاف الى ما اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل
سبعين منكم يوم احد والحال انكم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من
اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اى مما اقترفته انفسكم
من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار
الخروج من المدينة وعن على رضى الله تعالى عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شىء
قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى
الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه او
تخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا و
وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا
داخل فى الصلة او كلام مبتدا تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر
عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة
او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم
فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم
وانما قالوه دغلا او استهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخذالهم
وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل لاهل الكفر اقرب نصرة
منهم لاهل الايمان اذ كان انخذالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون
بافواههم ما ليس فى قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئ قلوبهم
السنتهم بالايمان واضافة القول للافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون
من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمون
مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا
او جر بدلا من الضمير فى بافواههم او قلوبهم كقوله * على جوده لضن بالماء حاتم
لاخوانهم اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال
مقدر بقد اى قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا فى القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقرا

هشام

هشام ما قتّلوا بتشديد التاء قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين
اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم
الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن عن القتل فان اسباب الموت
كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس
ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا نزلت فى شهداء احد وقيل فى شهداء
بدر والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او لكل احد وقرأ هشام بالياء على اسناده
الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه فى الاصل مبتدا
جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتّلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء
اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون
من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو
شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة
ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم المؤمنين
الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف
عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين
لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء
حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان
غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه
ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها الاية
وما روى ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء فى اجواف طير خضر ترد انهار
الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش ومن انكر ذلك ولم
ير الروح الا ريحا او عرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه
ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب فى الشهادة وبعث
على ازدياد الطاعة واحماد لمن تمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين
يستبشرون كرره للتاكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون
الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل

زيادة عليه كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله
لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي
بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من
لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد
ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا
منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل
لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا
فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فندب
اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله تعالى
عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه
القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله تعالى الرعب في قلوب المشركين
فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد
القيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان
يركب الخيل وماله الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه
من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلوة والسلام ان شاء الله
فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله تعالى الرعب في قلبه
وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة وشرط لهم حمل بعير
من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك
والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم
فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلوة والسلام
والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون
حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم
وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله
تعالى وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان

يزيد

يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص
قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان
جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر
الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه
لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو
فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل
ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء
من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم
وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة
الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم واصابة
النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه
حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان و
الشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون
الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه
القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم
الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع
رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس
ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من
المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك
لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون
بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاء حيث
وقع ما خلا قوله في الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاء فيه والباقون
كذلك في الكل يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة نصيبا من الثواب في الاخرة
وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ
الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر

المخلفين

لانّه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتأكيد او
تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتدّ من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم
خير لانفسهم خطاب للرسول او لكل من يحسب والذين مفعوله وانما نملي لهم بدل
منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين
كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن
الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير
لانفسهم وما مصدرية فكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام
فاتبع وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء
على ان الذين فاعل وانّ مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر
وعاصم وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه
اذا ارخى له الطول ليرعى كيف يشاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة
للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وبكسر
الاول ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل
للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا و
تداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا
اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين
لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم
او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال
والانفس في سبيل الله ليختبر النبي به بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وقرأ حمزة
والكسائي حتى يميز ههنا وفي الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها
والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء وما كان الله ليطلعكم على الغيب و
لكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع
على ما في القلوب من كفر وايمان لكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره

ببعض

ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان
تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا
يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا
ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي
ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا
فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن
الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراآت فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء
قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من
قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول
الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو
اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان
لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا
يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات
والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله
او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة
والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا روي انه عليه الصلوة والسلام كتب مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى يهود بني قينقاع
يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص
ابن عازورا ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا ما بيننا من
العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى
انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه
الانبياء

هو فصل وخيرا لهم مفعول ثان مدارك

في صحايف الكتبة او سنحفظه في علمنا ولا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او استهزاء
بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه
وان من اجترا على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرا حمزة سيكتب بالياء
وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء **ونقول ذوقوا عذاب الحريق** اى وننتقم
منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم
وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره هٰهنا لان العذاب
مرتب على قولهم الناشى عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل
المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال **ذلك** اشارة
الى العذاب **بما قدمت ايديكم** من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبّر
بالايدى عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن **وان الله ليس بظلام للعبيد** عطف
على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة
المحسن ومعاقبة المسئ **الذين قالوا** هم كعب بن الاشرف ومالك وحيى وفنحاص
ووهب بن يهود **ان الله عهد الينا** امرنا في التورية واوصانا **ان لا نؤمن لرسول حتى
ياتينا بقربان تاكله النار** بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التى كانت
لانبياء بنى اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله
اى تحيل الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم
يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك **قل قد جاءكم رسل
من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين** تكذيب والزام بان
رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم
فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم
لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا على قتله **فان كذبوك فقد كذب رسل من
قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير** تسلية للرسول عليه الصلوة والسلام من
تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصود على الحكم من زبرت الشئ اذا

احسنه



احسنه والكتاب في عرف القران ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرا ابن عامر وبالزبر
وهشام وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات **كل نفس ذائقة
الموت** وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه
كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا **وانما توفون اجوركم** تعطون اجور جزاء اعمالكم خيرا
كان او شرا تاما وافيا **يوم القيمة** يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون
قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر
النيران **فمن زحزح عن النار** بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة
وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتى
الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه **وما الحيوة الدنيا** اى لذاتها وزخارفها **الا متاع الغرور** شبهها
بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب
بها الاخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار **لتبلون** اى والله لتختبرن **في
اموالكم** بتكليف الانفاق وبما يصيبها من الافات **وانفسكم** بالجهاد والقتل والاسر والجراح
وما يرد عليها من انواع المخاوف والامراض والمتاعب **ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا** من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على
المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها
حتى لا يرهقهم نزولها **وان تصبروا** على ذلك **وتتقوا** مخالفة امر الله **فان ذلك** يعنى الصبر و
التقوى **من عزم الامور** من معزومات الامور التى يجب العزم عليها او مما عزم الله عليها اى
امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الراى على الشئ نحو امضائه **واذ اخذ الله** اى اذكر وقت ١٦
اخذه **ميثاق الذين اوتوا الكتاب** يريد به العلماء **لتبيننه للناس ولا تكتمونه** حكاية لمخاطبتهم
وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذى ناب
عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب **فنبذوه** اى الميثاق **وراء ظهورهم**

اقلم برأسه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه
جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا
واغراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من كتم علما عن
اهله الجم بلجام من نار وعن علي رضي الله تعالى عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ
على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن ضم الباء جعل
الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد
والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم
يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة من العذاب اي فائزين بالنجاة
منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا
مفعولا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون
بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد
للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سأل
اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا
بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف
واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين
بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم
والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع
ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم
كما سبق تفسيره في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الاية
لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون
في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج

عنها

عنها كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويل لمن قرأها
ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما
على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم من
احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث
حسب طاقتهم لقوله عليه الصلوة والسلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع
فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء وهو حجة للشافعي في ان المريض يصلي
مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات
والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلوة والسلام لا عبادة
كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق
على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا
اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول و فضل
اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا
اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما
لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته باطلا عبثا ضائعا من غير حكمة بل
خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه
ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة
السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو
اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء
هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ١٦١
ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم و
طلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار
اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم

النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة
لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل
على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على
نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به
الرسول وقيل القران والنداء والدعاء ونحوهما تعدى بالى واللام لتضمنهما معنى
الانتهاء والاختصاص ان امنوا بربكم فامنا اي بان امنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغايرنا فانها
مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم
معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله تعالى ومن احب لقاء الله احب
الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به
سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين
بسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف
تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك
ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة
باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الميعاد البعث بعد
الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها
وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم
ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل
عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان
عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد
او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها
شركة النساء مع الرجال فيما للعمال روي ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت يا رسول الله

انى

اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى آخره
تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا
الشرك او الاوطان والعشاير للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب
ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة والكسائي بالعكس
لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون
ولم يضعفوا وشدد ابن عامر وابن كثير وابو عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم
لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي لاثيبنهم
بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب
على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد والخطاب للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله تعالى فلا تطع المكذبين او لكل احد
والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة
والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم
في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في
رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد
فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته
وفي جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه الصلوة والسلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل
احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا
لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا
من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ونصبه على الحال
١٦٢ من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند
الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان
من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين

من نجران اثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة
النجاشي لما مات نعاه جبرئيل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون
انظروا يصلي على علج نصراني ولم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه
وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين
لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله
المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعدوه في قوله
تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه
كل عامل من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول
فان سرعة الحساب يستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات
وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله تعالى في الصبر على شدائد الحرب
واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر مطلقا لشدته ورابطوا
ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام
من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل
صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم
تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم
تفلحون بنيل المقامات الثلث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة
النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر
عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة آل
عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي
يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس او ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة

هي ادم

هي ادم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم
حوا من ضلع من اضلاعها او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو
تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم
منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف
الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكون اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع و
ترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من
حقها ان يخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها اولان المراد به تمهيد الامر بالتقوى
فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق
وباث على حذف مبتداء تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل
بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ
عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك
مررت بزيد وعمروا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة
بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتداء محذوف
الخبر تقديره والارحام كذلك مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرنها باسمه
على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلوة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني
وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى
اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه
الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب
وقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى
واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ
وروده في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان
يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد
ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد

طلب صح

الاول ما روى ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله ونعوذ بالله من الحوب الكبير

ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذى هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اى لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اى ان خفتم ان لا تعدلوا فى يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدار ما يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغى ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روى انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا فى امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اى ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة هى ثنتين ثنتين وثلث ثلث واربع اربع غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف فى العدد فان خفتم ان

بينهم

لا

لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجميع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السرارى لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اى التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسرى ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عيالهم ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسرى مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع واتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة فى ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها فى معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اى اتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات اى دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شىء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجرى مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة فى قوله كانه فى الجلد توليع البهق اردت كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافى والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنىء والمرىء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنىء ما يلذه الانسان والمرىء ما يحمد عاقبته روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين

لارشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف الاموال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت
ولايتهم وهو الملايم للايات المتقدمة والمتاخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله
الله من المال فيعطي امراته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا
بعقلهم واستهجانا بجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله تعالى التي جعل الله
لكم قياما اي تقومون وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله
لكم قياما وسمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ
قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم
بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة
تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما
لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين و
التهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي
حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ
بان يحتلم او يستكمل خمس عشر سنة عندنا لقوله عليه الصلوة والسلام اذا استكمل المولود
خمس عشر سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة
وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا
فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم
من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الاية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى
الشرط والجملة غاية الابتلاء وكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انهم لا يدفع اليهم
ما لم يونس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين
وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يتميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه
المال وان لم يونس منه الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين
ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان من اكلها غنيا فليستعفف

من اكلها ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظا الاستعفاف
والاكل بالمعروف مشعران بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه الصلوة والسلام
ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا و
لا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان
ياخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا
عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره
يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلاف
لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تتجاوزوا ما حد لكم
للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما
ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر موكد كقوله تعالى فريضة
من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني
نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط
حقه روي ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى
ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنن الجاهلية فانهم ما
كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة
فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال
ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا
فان الله تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى
ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان
عن الخطاب واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين
فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم
وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك

او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما
اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا
عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون
ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا
ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه
ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء
الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا
مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية
ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا
ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود
منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد
للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى
التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون
الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن
الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة
وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او يقولوا في الوصية ما لا
يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما
ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى
النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه عليه الصلوة والسلام قال يبعث الله قوما
من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
سيدخلون نارا واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا
وقرئ به مشددا تقول صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته

القيته

القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها
يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم في شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله
للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان
فيضعف على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة
والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا
ليس معهن ذكر فأنث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل المولودات فوق اثنتين
خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك
المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان
كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في البنتين فقال
ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما
حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى
وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب
بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة
لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين
امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك
ولابويه اي لابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته
التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيد السدس
مما ترك ان كان له للميت ولد ذكرا كان او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى
بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه
فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث
ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكأنه قال فلهما ما ترك اثلاثا
وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله
الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي

نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه

السدس

لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فإن كان له إخوة فلأمه السدس
باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام
والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان
من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا يحجب الام من الثلث
ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلإمه
بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق
بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من
وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في
الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي
متأخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين
انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد آباؤكم وأبناؤكم
لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم
من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا
الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع من الآخر درجة
في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى
منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض
مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم
الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم إن الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما
فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان
لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني
بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين
ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من

بعد

بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب
وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام و
المعتق والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وإن كان رجل
اي الميت يورث اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث
خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له
والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث
ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فا
لرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له
وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت
لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى الاقي محمدا فاستعيرت لقرابة ليست
بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة
كقولك فلان من قرابتي أو امرأة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم
المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه أخ أو أخت من الام ويدل عليه قراءة أبي
وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة
الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل
واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث في القسمة
لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون
مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير
مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون
القربة او الاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة
والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن
عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه
قرئ غير مضار وصية بالاضافة اي لا تضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة

مسوى بين الذكور والاناث صح

٦٧

او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بالمضار وغيره
حَلِيمٌ لا يعاجل بعقوبته تِلْكَ اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا
والمواريث حُدُودُ اللّٰهِ شرايعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها
وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا
وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع
وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صايدا
به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا
على غير من هما له وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ اي يفعلنها يقال اتى
الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها
وشناعتها فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فاطلبوا ممن قذفهن اربعة
من رجال المؤمنين تشهد عليهن فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ
فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حَتّٰى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ
يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن
في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن
بعد ان تجلدن كيلا يجرى عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم
يذكر الحد استغناء بقوله الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي أَوْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لَهُنَّ سَبِيلًا كتعيين
الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ
يعني الزاني والزانية وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف
والباقون بالتخفيف من غير تمكين فَآذُوهُمَا بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير
والجلد فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا
عنهما بالاغماض والستر إِنَّ اللّٰهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا علة الامر بالاعراض وترك
المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم

الحبس

الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في
الزناة إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّٰهِ اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب
عليه اذا قبل توبته لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ متلبسين بها سفهاء فان ارتكاب
الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته ثُمَّ
يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حَتّٰى إِذَا حَضَرَ
أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا
لان مدة الحيوة قريب كقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه
فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان
القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او تزين السوء فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ
اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وَكَانَ
اللّٰهُ عَلِيمًا فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حَكِيمًا والحكيم لا يعاقب التائب وَلَيْسَتِ
التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتّٰى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ
وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة
والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة
وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء
عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء
اعمالهم وبالذين يموتون الكفار أُولٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا تاكيد لعدم
قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعدت لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد
التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا كان الرجل اذا مات وله
عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول
وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من
زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن

كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان
وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما
آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل
العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا
يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن و
قيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين
بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام
الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا
تعضلوهن لعلة الا ان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة هنا و
وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف
بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو
اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين
وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة للجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج تطليق امراة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن اي احدى
الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا
منه شيئا اي من القنطار أتأخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار
وتوبيخ اي اتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك
قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم قيل كان
الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء
منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي
يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم
ظل

وكيف

وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه
وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر وأخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا
وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف
او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم اي ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم
وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر
من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي
وكأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة
في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء (اي الجيش)
منقطع ومعناه ولكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لانه مقرر انه كان فاحشة ومقتا
علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند
ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا اي سبيل من (اي مبغوض اشد البغض)
يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ
وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن
ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما
بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدتك وان علت وبناتكم تتناول
من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك
الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك
قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي
ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى
المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي
در عليه اللبن قال عليه الصلوة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء

واخت ابن الرجل وام اخته من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتها في النسب بالمصاهرة
دون النسب **وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ
بِهِنَّ** ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة
فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من
آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء
لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم
بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية
فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على
معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله «فاني اذا حاولت في أسد فجورا
فاني لست منك ولست مني» على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن
لكن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان
يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء
غير انه روي عن علي رضي الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني
صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى
ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم
فصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي
عن علي رضي الله تعالى عنه جعله شرطا والامهات والربائب تتناولان القريبة والبعيدة وقوله
دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بزنا كالوطي
بشبهة او ملك يمين وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى عليه المنكوحة ونحوه كالدخول **فَإِنْ
لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ** تصريح بعد اشعار دفعا للقياس **وَحَلَائِلُ
أَبْنَائِكُمُ** زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج **الَّذِينَ مِنْ أَصْلَا
بِكُمْ** احترازا عن المتبنين لا عن ابناء الولد **وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ** في موضع الرفع عطفا
على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي

محرمة

محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما
حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي رضي الله عنه
التحريم وعثمان رضي الله تعالى عنه التحليل وقول علي رضي الله تعالى عنه اظهر لان آية التحليل مخصوصة
في غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام **إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ**
استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه ولكن ما قد سلف مغفور لقوله **إِنَّ اللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَحِيمًا وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ** ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج
وقرأ الكسائي بكسر الصاد في جميع القرآن غير هذا الحرف لانهن احصن فروجهن
إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن
حلائل للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد رضي الله تعالى عنه اصبنا سبايا يوم
اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت
الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله «وذات حليل انكحتها رماحنا
حلال لمن يبني بها لم تطلق» وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى عليه لو سبي الزوجان
لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الاية والحديث حجة عليه **كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**
مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع
اي هذه فرائض الله تعالى عليكم وكتب الله بلفظ الفعل **وَأُحِلَّ لَكُمْ** عطف على الفعل المضمر
الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا
على حرمت **مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ** ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في
معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها **أَنْ
تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ** مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة
ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير
مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين
غير مسافحين او بدل من وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان
يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا

الجزء الخامس

١٧

من السفح وهو صب المني فانّ الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من
المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن
مهورهن فانّ المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة
او صفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم
به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به
من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الاية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت
مكة ثم نسخت كما روى انه عليه الصلوة والسلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس
انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرّم ذلك الى يوم القيمة
وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمّى به اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها
بما يعطى وجوّزها ابن عباس رضى الله عنهما ثم رجع ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما
شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة
ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن
لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات
يعنى الحرائر لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعنى الاماء المؤمنات
وظاهر الاية حجة للشافعي رحمه الله تعالى في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعل صداق
حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واوّل ابو حنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات
بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطئ وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل
كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوّز
نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم
والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم
بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان
فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب
والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم
من

من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من بني آدم ودينكم الاسلام
فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على
ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن
اى ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف
المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر
للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان محصنات
عفايف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء
في السر فاذا احصن بالتزويج وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة و
الباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما
على المحصنات يعنى الحرائر من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم
لا يتنصف ذلك اى نكاح الاماء لمن خشى العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا و
هو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر
اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح
الاماء وان تصبروا خير لكم اى وصبركم على نكاح الاماء متعففين خير لكم قال
عليه الصلوة والسلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر
رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفى
عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وان يبين لكم مفعول يريد واللام زيدت
لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد ﴿اردت لكيما
يعلم الناس انه ﴾ ﴿سراويل قيس والوفود شهود﴾ وقيل المفعول محذوف و
ليبين مفعول له اى يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من
تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن
المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها

وَاللّٰهُ يُرِيدُ اَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ كرّره للتأكيد والمقابلة وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ
يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الايتمار لها واما المتعاطى لما سوّغه الشرع منها دون
غيره فهو متبع له فى الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات
من الاب وبنات الاخ والاخت اَنْ تَمِيلُوا عن الحق مَيْلًا بموافقتهم على اتباع الشهوات
واستحلال المحرمات عَظِيمًا بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل
لها يُرِيدُ اللّٰهُ اَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص
لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيفًا لا يصبر عن الشهوات ولا
يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثمان ايات فى سورة النساء
هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل
سوءا ما يفعل الله بعذابكم يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ بما لم يبحه
الشرع كالغصب والربوا والقمار اِلَّا اَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ استثناء منقطع
اى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اى
تجارة صادرة عن تراض المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التى بها تحل تناول مال الغير
لانها اغلب واوفق لذوى المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهى
المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله تعالى وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون بالنصب
تجارةً بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اى الا ان يكون التجارة او الجهة تجارة وَلَا تَقْتُلُوا
اَنْفُسَكُمْ بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روى ان
عمرو بن العاص تأوّله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او بارتكاب ما
يؤدى الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالنفس
من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية بين حفظ النفس والمال
الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفى
فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا

اى

اى امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما
لما امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهيكم عنه وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ اشارة الى القتل او ما
سبق من المحرمات عُدْوَانًا وَظُلْمًا افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه و
قيل اراد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فَسَوْفَ
نُصْلِيهِ نَارًا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه
ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلى وَكَانَ
ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرًا لا عسر فيه ولا صارف عنه اِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ
كبائر الذنوب التى نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نُكَفِّرْ
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ نغفر لكم صغايركم ونمحها عنكم واختلف فى الكباير والاقرب ان
الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته
بقاطع وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله و
قذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار عن الزحف وعقوق الوالدين وعن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به
ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر
الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكباير الشرك واصغر الصغاير
حديث النفس وبينهما وسايط يصدق عليها الامران فمن عنّ له امران منها ودعت
نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فيكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب
على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى
انه تعالى عاتب نبيه فى كثير من خطراته التى لم تعد على غيره خطيئة فضلا
عن ان يؤاخذه عليها وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع
كرامة وقرأ نافع هنا وفى الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر وَلَا
تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل
عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادى معربة عن عدم الرضا

١٧٢

لما قسم الله له وانه يشتهى لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمنى ما لم
يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمنى ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمنى ما قدر له
بغير كسب ضائع للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن
بيان لذلك اى لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا
الفضل بالعمل لا بالحسد والتمنى كما قال عليه الصلوة والسلام ليس الايمان بالتمنى وقيل
المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم
على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب واسئلوا الله من
فضله اى لا تتمنوا ما للناس واسئلوا الله مثله من خزائنه التى لا تنفد وهو يدل
على ان المنهى عنه هو الحسد اولا تتمنوا واسئلوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه
اليكم وقرأ ابن كثير والكسائى وسلوا الله من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه
اذا كان امرا مواجها به وقبل السين واو او فاء بغير همز وحمزة فى الوقف على
اصله والباقون بالهمز ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل
انسان فيفضل عن علم وتبيان روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو
الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالى
مما ترك الوالدان والاقربون اى لكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك
بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالى
لانه فى معنى الوارث وفى ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالى
وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلنا
هم موالى حظ هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالى الموالاة كان
الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
وعن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا
ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى
الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا

فاضربه

فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم نصيبهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة
المؤكدة لها او الضمير كالموالى وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم
فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف فى القراءة الاخرى
ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على
النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبى وكسبى
فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال
العقل وحسن التدبير ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة و
الامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد و
الجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا
من اموالهم فى نكاحهن كالمهر والنفقة روى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار
نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فشكى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لتقتص منه فنزلت
فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات
لله قائمات لحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اى يحفظن فى
غيبة الازواج ما يجب حفظه فى النفس والمال وعنه عليه الصلوة والسلام خير النساء
امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى ما
لها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر
على حفظ الغيب والحث عليه بالوعيد والتوفيق له او بالذى حفظه الله لهن عليهم
من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب
على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم تكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذى حفظ
حق الله تعالى او طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتى تخافون نشوزهن
عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن فى
المضاجع فى المراقد ولا تدخلوهن تحت اللحاف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع

وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن
والامور الثلثة مترتبة ينبغي ان يدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن
سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن
كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه
فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم
ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او
ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما
وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه
مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهاره صائم فابعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام رجلا وسيطا يصلح للحكومة والاصلاح
متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسيطا يصلح للحكومة
والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب
للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج
والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين
او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان
يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول
للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله تعالى بحسن سعيهما الموافقة
بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما
ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع بينهما
الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان
الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا
وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى

واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب
واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد
او الذي لا قرابة له وعنه عليه الصلوة والسلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار
وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد
حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن
كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن
السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب
من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا
يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من قوله من
كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين
يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الحديد
بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم
احقاء بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع
المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمته تعالى ومن كان كافرا لنعمته فله
عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود
كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل
في الذين كتموا صفة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس
عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف
الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح
واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم
مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين

اى ما الذى عليهم ... [illegible]
كلمة ما وحدها استفهام للانكار ... [illegible]
[illegible]

كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون
وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان فى النار وماذا عليهم لو امنوا بالله
واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اى وما الذى عليهم او اى تبعة يحيق
بهم بالايمان والانفاق فى سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة
والاعتقاد فى الشئ على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله
يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان
المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع
وانما قدم الايمان ههنا واخره فى الاية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا
والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال
ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب اصغر شئ كالذرة وهى النملة الصغيرة
ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفى ذكره ايماء
الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك مثقال ذرة حسنة وانث
الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس
تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة
يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما
بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا
على ما وعد فى مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه
تابع للاجر مزيد عليه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء
الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعنى نبيهم
يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل فى الظرف مضمون المبتدأ
والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء
شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقايدهم واستجماع
شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم

وقيل

وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم
حينئذ اى يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة فى ذلك
الوقت ان يدفنوا فيسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض
سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد
عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون
من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا
ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون
ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء
فى السين وحمزة والكسائى تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى
يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
اى لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون
فى صلوتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعى نفرا من الصحابة حين كانت
الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلى
بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهى المساجد و
ليس المراد منه نهى السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهى عن الافراط
فى الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع
كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة ولا
جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة موضع النصب على الحال والجنب الذى
اصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر
الا عابرى سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اى ولا تقربوا الصلوة
جنبا فى عامة الاحوال الا فى السفر وذلك اذا لم يجد الماء ويتيمم ويشهد له تعقيبه
بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا غير عابرى سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع
عطف على استثناء الجنابة

لا يرفع الحدث ومن فسّر الصلوة بمواضعها فسّر عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوّز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله تعالى عليه وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء والطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه عن استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه بما يحدث له بالذات او بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل احوال الجنب وبيان العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذا قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزأه وقال اصحابنا لا بد ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف انه لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روي انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا

فلذلك

فلذلك يسّر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل يأخذون الرشا ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي ومن الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونها عن مواضعها التي وضعها الله تعالى فيها بازالتها عنها واثبات غيرها فيها او يؤولونها على ما يشتهون فيميلونها عما انزل الله تعالى فيه والكلم بكسر الكاف وسكون اللام كلمة بتخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به في موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يظهرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا

واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيراً لهم واقوم
لكان قولهم ذلك خيراً لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك
لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم
وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ايماناً قليلاً لا يعبؤ به
وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل
التشكي للمهم يصيبه او الا قليلاً منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا
الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها
على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء
او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة
وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك
قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار
والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني
النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس
وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع
ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم
بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نمسخهم مسخا مثل مسخهم او نلعنهم
على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على
طريقة الالتفات او الوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول
يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير
الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم
وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه
مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر
ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي اثره عنه

فلا

فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان
او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا والمعتزلة علقوه بالفعلين احتجوا على
ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب
وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم
فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما
هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه
خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر
دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء
كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم
يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفا
لهم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله
ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار
وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان
تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من
حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي
ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم والعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير
حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في
الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء
عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت
في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله تعالى مما اليه يدعو محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود
خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انتم

لايخفى مآل

٧٧

اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت فى الاصل اسم صنم فاستعمل فى كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذى لاخير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازى نقيرا وهو النقرة فى ظهر النواة وهذا هو الاغراق فى بيان شحهم فانهم اذا بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو او الفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل فكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعنى النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبى الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله تعالى مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن فى ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك

وكفى

وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل للتأكيد كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح فى عثمان ابن طلحة ابن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم امنعه فلوى على يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامر الله تعالى ان يرده اليه فامر عليا رضى الله تعالى عنه بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بان السدانة فى اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اى نعم شيئا يعظكم به او نعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات ان الله كان سميعا

١٧٨

بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم وبعده يندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر
الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق
وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين وهو
يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤسين الا ان
يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه اي فراجعوا فيه الى الله الى
كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا
القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان
رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك
الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت با
لكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك خير اي الرد خير لكم واحسن تاويلا
اي عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا
بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي
لعمر قضى لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال
عمر للمنافق أكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه
ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء
الله تعالى ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل

فسمي

فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل
ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه
تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد
الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى
الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو
الضمير رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر
الذي هو الصد بينه والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس
ويصدون في موقع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل
عمر المنافق او النقمة من الله تعالى بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك و
عدم الرضاء بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم
وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا
احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين
ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم
الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم
الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب
فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم
بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم
او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ المراد منهم ويؤثر فيهم
امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك
مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في
انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ
في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع

بإذن الله بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكأنه
احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل
وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه
لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
بالنفاق والتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق
به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا
اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها
على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له
ومن منصبه ان يشفع فى كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا
لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما
بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اى فوربك ولا مزيدة لتأكيد
القسم لا لتظاهر لا فى قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا فى الاثبات كقوله تعالى
لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط و
منه الشجر لتداخل اغصانه لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به
او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك فى ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا
لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا
بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا بمعنى
امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ
ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو
للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو ولا تنسوا الفضل وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما
على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه
الا قليل منهم الا ناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم
الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير

اى فى فعلوه

للمكتوب

للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدرى الفعلين وقرأ ابو عمرو بالنصب على الاستثناء او
على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول عليه الصلوة
والسلام ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم فى عاجلهم وآجلهم واشد
تثبيتا فى دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفى الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم
ونصبه على التمييز والاية ايضا مما نزلت فى شأن المنافق واليهودى وقيل انها
والتى قبلها نزلتا فى حاطب بن ابى بلتعة خاصم زبيرا فى شراج من الحرة كانا يسقيان
بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك
فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك
ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر
كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب
وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم
ابواب الغيب قال عليه الصلوة والسلام من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم
ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد
ترغيب فى الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين حال منه او من ضميره قسمهم
اربعة اقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا
عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة
التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات واخرى
بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا
عنها على ما هى عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق
حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم
فى طاعته واموالهم فى مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله تعالى
وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين فى مقام الاستدلال والبرهان والاولون

اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء عليهم
السلام اولا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون
عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله تعالى في
ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون
وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع
لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى
ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل
جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك
واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك
هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون
منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين
من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم
ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل
فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق
اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر
والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى
الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبية اذا ذكرت
متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا
مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها و
جوب المبادرة الى الخيرات كلها ما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن
الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين و
المبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو
لازم او يبطئوا غيرهم كما يبطئ ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل

من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف
والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن
اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال
المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم
ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها
على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كان لم تكن
بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت
معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مودة
صلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في
ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن ثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين
تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم
فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل متصل انه متصل بالجملة الاولى وهو
ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من
الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس
عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم
وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ
بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل
الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى
ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة
او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي
عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما
وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي
اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في

فى المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده
بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتداء وخبر لا تقاتلون
فى سبيل الله حال والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الفعل والمستضعفين
عطف على اسم الله اى وفى سبيل المستضعفين تخليصهم من الاسر وصونهم عن
العدو او على السبيل بحذف المضاف اى وفى خلاص المستضعفين ويجوز
نصبه على الاختصاص فان سبيل الله تعالى يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة
المسلمين من ايدى الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان
بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن
الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيها على تناهى
ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الى الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم
فى الدعاء حتى تشاركوا فى استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد بهم العبيد
والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم
اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله تعالى
دعاءهم بان يسر لهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خير ولى وناصر بفتح
مكة على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب
ابن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره
لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان
كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله
فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت
فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين
امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان
كان ضعيفا اى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله تعالى للكافرين ضعيف
لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شئ واوهنه الم تر

الى

الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون
الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتداء منهم صفة
يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال
من فاعل يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه
ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل
هو معطوف على اسم الله اى كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل
الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد
خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب
استزادة فى مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه فى انفسهم
فحكى الله تعالى عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضى والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون
فتيلا ولا تنقصون ادنى شئ من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائى ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء
كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتداء واينما متصل بلا تظلمون
ولو كنتم فى بروج مشيدة فى قصور او حصون مرتفعة والبروج فى الاصل بيوت على اطراف
القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة
شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند
الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة
والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد فى الاية اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى
الله تعالى وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هى الا بشومك كما قالت اليهود
منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله اى يبسط
ويقبض حسب ارادته فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون

١٨٢

به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله تعالى او حدثنا ما ه
كبهايم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيه فيعلموا ان القابض والباسط
هو الله تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله اى تفضلا منه فان
كل ما يفعله الانسان من الطاعات لا يكافي نعمة الوجود فكيف يقضي غيره ولذلك قال عليه الصلوة
والسلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من
بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاجتلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله تعالى قل كل من عند
الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام
كما قالت عايشة رضي الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى
انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والاياتان كما ترى لا حجة فيهما لنا ولا
للمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم
ان علق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر
كقوله ولا خارجا من فى زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع
الرسول فقد اطاع الله لانه فى الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى روى انه عليه الصلوة والسلام
قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو
ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت فيها ارسلناه ومن تولى
عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك
البلاغ وعلينا الحساب وهو حال عن الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اى امرنا طاعة
او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا
بيت طائفة منهم غير الذى تقول اى زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من
القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت
الشعر او البيت المبنى لانه يسوى ويدبر وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما
فى المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته فى صحايفهم للمجازاة او جملة ما يوحى اليك لتطلع على
اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله فى الامور كلها سيما

فى

فى شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن
يتاملون فى معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشئ ولو كان من
عند غير الله اى ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض
المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا او بعضه يصعب معارضته وبعضه
يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض
احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه
على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف الاحوال فى الحكم والمصالح
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله
قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او اخبرهم
الرسول بما اوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم فكانت
اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه اى لو ردوا ذلك
الخبر الى الرسول والى اولى الامر منهم الى رايه والى راى كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء
لعلمه على اى وجه يذكره الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم
وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى
الرسول والى اولى الامر منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء
الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط
اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال
الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل
الله تعالى عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن
عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل فى سبيل الله ان تثبطوا
وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم
الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روى انه عليه الصلوة والسلام دعا الناس
فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد

اى لم يمل رسول الله على احد ممن خرج معه

وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اى لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا
الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين اى على القتال اذ ما عليك فى شانهم الا التحريض عسى الله ان
يكف باس الذين كفروا يعنى قريشا وقد فعل بان القى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا
من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة
راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه
الصلوة والسلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن
له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة
يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها فى القدر وكان الله على كل شئ
مقيتا مقتدرا من اقات على الشئ اذا قدر قال وذى ضغن كففت الضغن عنه
وكنت على مساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه فى السلام ويدل على وجوب
الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قالها المسلم زاد وبركاته وهى النهاية واما
برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك
السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ما قال
الله تعالى وتلا الآية فقال انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه
اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين
ان يحيى المسلم ببعض التحية وبين ان يحيى بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث
السلام مشروع فلا يرد فى الخطبة وقراءة القرآن وفى الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها
والتحية فى الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل
لكل دعاء فغلب فى السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب و
هو قول قديم للشافعى رحمه الله تعالى ان الله كان على كل شئ حسيبا يحاسبكم على التحية
وغيرها الله لا اله الا هو مبتداء وخبر او الله مبتداء والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اى

الله

الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او فى يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض
والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه فى اليوم
او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد
اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره لانه نقص وهو على الله تعالى محال فما لكم فى
المنافقين فما لكم تفرقتم فى امر المنافقين فئتين اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان
ناسا منهم استاذنوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا
لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقيل نزلت
فى المتخلفين يوم احد او فى قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم
اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما وفى المنافقين
حال من فئتين اى متفرقين فيهم او من الضمير اى فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد
من فئتين وقرا حمزة والكسائى باشمام الصاد الزاء والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة
او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشئ مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله
ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا
تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء فى الضلال وهو عطف على تكفرون ولو
نصب على جواب التمنى لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فلا توالوهم
حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هى لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه
فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة
الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى
الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل هم
الاسلميون فانه صلى الله تعالى عليه وسلم وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى
على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجا اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة
او جاؤكم عطف على الصلة اى او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور

فئتين

باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين
او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين وقوم كافين عن القتال لكم وعليكم
والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او
استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات
او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم اى عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم
وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم
يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم
ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا
المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا
فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا
اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم
منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا
حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او
تسليطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل
مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اى لا يقتله في شيء
من الاحوال الا حال الخطاء او لا يقتله لعلة الا للخطاء او على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا
خطاء وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطاء فجزاؤه
ما يذكر والخطاء ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا
او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف
وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي

جهل

جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل
مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق
للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها
عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى
اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة
فان لم يكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا عليه يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو
عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق
بعليه او بمسلمة اى تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل
النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة
مؤمنة اى ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله
الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة
فحكمه حكم المسلمين في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث
مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين
فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اى شرع ذلك توبة من تاب الله عليه
اذا قبل توبته او على المصدر اى وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين
ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد
العظيم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ
روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه و
هو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة
وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود
المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان العصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين
آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر
وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين هنا وفي الحجرات من
التثبت ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن
عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا
وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة
الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر
بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله
كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماء
كم واموالكم من غير ان يعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان
والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله تعالى بكم ولا تبادروا الى
قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله تعالى من قتل امرئ مسلم
وتكريره تاكيدا لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا
عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتال واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ
غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله
السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد
قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره
وان المجتهد قد يخطئ فان خطاءه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين
في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي هو فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين
لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال
او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها

غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مجلسه
الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة
بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب
القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم
وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد
السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة
منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة
الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد
الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى آجر
او المفعول الثاني لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات
منه ومغفرة ورحمة كل واحدة منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك
ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار
فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل
الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل
الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله تعالى والدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول
هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون
الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلوة والسلام رجعنا
من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم
ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت
بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي
انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة
اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم اي في اي

قطربا

شيء من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبّخوا به بضعفهم
وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملئكة تكذيبا لهم وتبكيتا الم
تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة
فاولئك مأويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء
فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملئكة باضمار قد او الخبر قالوا و
العائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا
مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة
دينه وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من فرّ بدينه من ارض الى ارض وان كانت شبرا استوجبت
له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضمير
والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة
في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا
محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او المستكن
فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق
بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا
بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق
بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا
متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم
انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ثم هو يدركه
وبالنصب على اضمار ان كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره
على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله تعالى

اي في قوله تعالى قالوا فيم كنتم

وهو قوله تعالى الذين توفيهم الآية

ثبوت

ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما
بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه
الصلوة والسلام اتم في السفر وان عائشة رضي الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه
ابو حنيفة رحمه الله تعالى لقول عمر صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول
عائشة رضي الله تعالى عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر
وظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام في الفضيلة والاجر والثاني لا ينفي جواز
الزيادة فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم الفوا الاربعة فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي
السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل
سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وست عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر
ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند
الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شريطة
باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله فان خفتم ان لا يقيما
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن
وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما
يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة
بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين
فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون
حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاخرى يدل عليه فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا
اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن يصلي معه فغلب المخاطب على

على الغالب وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا لاشتغالهم بالحراسة فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ظاهره يدل
على ان الامام يُصَلِّي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه الصلوة والسلام ببطن نخل وان اريد به ان
يُصَلِّي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يُصَلِّي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى
يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي الاخرى ويتم بها الركعة الثانية ثم ينتظرهم
قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذات الرقاع وقال
ابو حنيفة رحمه الله تعالى يُصَلِّي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتاتي الاخرى فتصلي
معه ركعة وتتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة
وتتم صلوتها ثم تعود وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ
وَأَسْلِحَتَهُمْ جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ
ونظيره قوله تعالى وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ
أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم
شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ
أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر
او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وَخُذُوا حِذْرَكُمْ امرهم مع
ذلك باخذ الحذر لئلا يهجم عليهم العدو إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وعد للمؤمنين
بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر ليس لضعفهم وغلبة عدوهم
بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فَإِذَا قَضَيْتُمُ
الصَّلَاةَ اديتم وفرغتم منها فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فدوموا على الذكر
في جميع الاحوال او اذا اردتم الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف امكنكم قياما مسايفين ومقارعين
وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ سكنت قلوبكم من الخوف فَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا فرضا محدود الاوقات لا يجوز لهم اخراجها عن اوقاتها في شيء
من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب

في المعركة




في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيف ما امكن قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا يصلي المحارب حتى يطمئن
وَلَا تَهِنُوا ولا تضعفوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ في طلب الكفار بالقتال إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ
كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ الزام لهم وتقريع لهم على التواني فيه بان ضرر القتال
دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب
ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى
ولا تهنوا لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم يالمون علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر
الصغرى وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا باعمالكم وضمائركم حَكِيمًا بما يامر وينهى إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة
ابن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي
فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق
حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها وقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت
بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم
تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفعل بِمَا أَرَاكَ
اللَّهُ بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل
وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ اي لاجلهم والذب عنهم خَصِيمًا للبراء وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مما هممت به إِنَّ
اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا لمن يستغفره وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ يخونونها فان
وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له
ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ
كَانَ خَوَّانًا مبالغا في الخيانة مصرا عليها أَثِيمًا منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب
حائطا بها ليسرق اهله فسقط عليه الحائط فقتله يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ اي يستترون منهم
حياء وخوفا وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وهو احق بان يستحيى منه ويخاف وَهُوَ مَعَهُمْ لا يخفى عليه
سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليها إِذْ يُبَيِّتُونَ يدبرون ويزورون
مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ

مُحِيطًا لا يفوت عنه شيء هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ مبتدء وخبر جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
جملة مبيّنة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا محاميا يحميهم من عذاب الله تعالى وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا
قبيحا يسوء به غيره أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ بما يختص به ولا يتعدّاه وقيل المراد بالسوء ما دون
الشرك وبالظلم الشرك ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ بالتوبة يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا لذنوبه رَّحِيمًا
متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ
عَلَىٰ نَفْسِهِ فلا يتعدّاه وباله لقوله وان اسأتم فلها وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا فهو عالم بفعله
حكيم في مجازاته وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً صغيرة او ما لا عمد فيه أَوْ إِثْمًا كبيرة او ما كان عن
عمد ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا كما رمى طعمة زيدا ووحّد الضمير لمكان او فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا
بسبب رمي البري وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوّى بينهما وان كان مقترف احدهما دون
مقترف الاخر وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول
عليه الصلوة والسلام لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ اى من بنى ظفر أَن يُضِلُّوكَ عن القضاء بالحق مع
علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همّهم بل الى نفي تاثيره فيه وَمَا
يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ لانه ما ازلّك عن الحق وعاد وباله عليهم وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ
فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء
في موضع النصب على المصدر اى شيئا من الضرر وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَ
عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ من خفيّات الامور او من امور الدين والاحكام وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
عَظِيمًا اذ لا فضل اعظم من النبوة لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ من متناجيهم كقوله واذ هم
نجوى او من تناجيهم إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ على حذف مضاف اى الا نجوى من
امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه
الشرع ولا ينكره العقل وفسر هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما
فسر به أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ او اصلاح ذات البين وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ
اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على

انه

الدخل

انه لما دخل الآمر في زمرة الخيّرين كان الفاعل فيهم فان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر
من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل
خيرا رياء وسمعة لم يستحق من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات
في جنبه من اغراض الدنيا وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين
في شق غير شق الآخر مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات
وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ نجعله واليا
لما تولى من الضلال او نخلي بينه وبين ما اختاره وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وندخله فيها وقرئ بفتح
النون من صلاه وَسَاءَتْ مَصِيرًا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى
رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما
او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر او اكل الخبز استوجب
الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم
محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم
وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ
بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ منهم الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا
منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين
اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما حالي عند ربي فنزلت وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ
ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب
والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب
ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله تعالى إِن يَدْعُونَ مِن
دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا يعني اللات والعزى ومنات ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه
ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر فان يسمن فانثى
شديد الازم ليس له ضروس فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا يسمى قرادا فاذا كبر

يسمى حلية اولانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث
لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا
لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا
على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله
وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث
وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا واثنا على
قلب الواو لضمها همزة **وان يدعون** وان يعبدون بعبادتها اي الاصنام **الا شيطانا مريدا** لانه
الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد
الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة
مرداء التي تناثر ورقها **لعنه الله** صفة ثانية للشيطان **وقال لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا** عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا
القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه وتعالى اولا على ان الشرك ضلال
في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك
ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه
بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال
لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون
لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي
في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي
نصيبا قدر له وفرض من قولهم فرض له في العطاء **ولاضلنهم** عن الحق **ولامنينهم**
الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب **ولامرنهم فليبتكن اذان
الانعام** يشقونها لتحريم ما احله الله تعالى وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر
والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل والقوة **ولامرنهم
فليغيرن خلق الله** عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقاء عين الحامي

وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر
وتغيير فطرة الله هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب
لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة
والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا **ومن يتخذ الشيطان
وليا من دون الله** بايثاره ما يدعوا اليه على ما امر الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته
فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار
يعدهم ما لا ينجز **ويمنيهم** ما لا ينالون **وما يعدهم الشيطان الا غرورا** وهو اظهار
النفع فيما فيه الضر وهذا الوعد اما الخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه **اولئك مأويهم جهنم
ولا يجدون عنها محيصا** معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة
له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله **والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا** اي وعده
وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني
مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم
لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر **ومن اصدق من الله قيلا** جملة مؤكدة
بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لعرفائه بوعد الله الصادق
لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله **ليس بامانيكم ولا اماني اهل
الكتاب** اي ليس ما وعد الله تعالى من الثواب ينال باما نيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل
الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب و
صدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم و
كتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا
يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر
باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار او قولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا
منهم واحسن حالا او لا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى

وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به
عاجلا واجلا لما روى انه لما نزل قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال صلى الله تعالى
عليه وسلم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له
من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه
وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها فان كل احد
لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان
او من الصالحات اى كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل
بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فيه فاولئك يدخلون الجنة ولا
يظلمون نقيرا بنقص شئ من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب
العاصى لان المجازى ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابو
عمرو وابو بكر يدخلون الجنة هنا وفي غافر ومريم بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء
وضم الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا
سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما يبلغه القوة
البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة
لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او
ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة الخليل عند خليله وانما اعاد [تشبه كرامة]
ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها
وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما
يتوافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استيناف جيء
بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روى ان ابراهيم عليه
السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد
لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا
منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة

منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم عليه السلام واشتم رائحة الخبز فقال من اين
هذا لكم فقالت من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا
ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو
متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم
على الاعمال وكان الله بكل شئ محيطا احاطة علم وقدرة وكان عالما باعمالهم فيجازيهم على
خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين
اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانما
كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك امرت قل الله
يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب
عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيه فيكون الافتاء مسندا
الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغنانى
زيد وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ و
في الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى
عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه
على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول
على ما قبله اى يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى
الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة
بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء
اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اى فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن
في ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن
والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل
على جواز تزوج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها
والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم

كما لا يورّثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اى ويفتيكم
او ما يتلى فى ان تقوموا هذا اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه
نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اى ويأمركم
وهو خطاب للائمة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصف فى شأنهم
وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير فى ذلك وان امرأة
خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر
نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صاحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل
مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان
تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا
من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او
حال منه او على المصدر كما فى القرأة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصّلحا
من اصّلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ولا يجوز
ان يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض
وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول فى المصالحة للترغيب
والثانى لتمهيد العذر فى المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة
عليه فلا يكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير فى حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها
ويقوم بحقها على ما ينبغى اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا فى العشرة وتتقوا النشوز
والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به
وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذى هو فى
الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يقسم بين نسائه فيعدل فيقول هذه قسمتى فيما املك فلا تأخذنى فيما تملك ولا املك
ولو حرصتم على تحرى ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور

على المرغوب

على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التى ليست ذات
بعل ولا مطلقة وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء
يوم القيمة واحد شقيه مايل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل
من الزمان فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ
وان يتفارقا اى وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او
سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه
ولله ما فى السموات وما فى الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة
بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا
الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية بمعنى القول وان تكفروا فان
لله ما فى السموات وما فى الارض على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك
الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته
ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا فى ذاته حمد او لم يحمد
ولله ما فى السموات وما فى الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات
تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصايص والكمالات على كونه حميدا
وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله تعالى يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما
تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب
ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين او خلقا آخرين مكان الانسان وكان الله على ذلك من الاعدام
والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به
وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من العرب ومعناه معنى
قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد
للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا

آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله
لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما
يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض
فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على
العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان
او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان
الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي
المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة
او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم يكن الشهادة
عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل
فلا تتبعوا الخ
عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا
تتبعوا الهوى ان تعدلوا (لان تعدلوا) عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم
عن شهادة الحق او حكومة العدل قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي باسكان اللام
وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم
اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه
يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن
سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما
سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان ٢ نزل على رسوله
بذلك وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتاب والكتاب الذي
والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس وقرأ نافع
والكوفيون الذي نزل والذي انزل بفتح النون والهمزة والزاء والباقون بضم النون والهمزة
وكسر الزاء ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء
من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين

آمنوا

آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم
ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم او قوما تكرر منهم
الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان
قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل
منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله
مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين
وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على
النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد
الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة
لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة و
لرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب
يعني القرآن وقرأ عاصم نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي
المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما
لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده
الغاية وهذا تذكار ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية و
الضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم
قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون
الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين في والكافرين صح
جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر
ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع
كما صح

وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون
بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين او الكافرين
او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن
معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من
الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من
قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ
استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت
به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا
وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله
يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في
الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية
على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان
قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام
فيه في اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على
الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين
والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يرى من يرائيه عمله
وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه
وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد
بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين
بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين
او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مترددين بين الايمان والكفر من الذبذبة و
هو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون
قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة

بمعنى

بمعنى اخذ تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين
الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له
سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودينهم ولا
تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم
دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو
من الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء
بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام
وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه
فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة
بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر
والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين
تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق
واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون
بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف
يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم ايتشفى به غيظا او يدفع ضرا او يستجلب به نفعا وهو
الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء
مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من
تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم
يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير
ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه

روى ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم
على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اى ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله تعالى
وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا او تخفوه او ٢ طاعة وبرا صح
تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير
واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اى يكثر العفو
عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على تمهيد
العفو بعد ما رخص له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله
ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله تعالى ويكفروا
برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا
واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله تعالى انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم
فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل فى الضلال كما قال تعالى
فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون فى الكفر لا عبرة بايمانهم
هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اى
يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضى متعددا
لعمومه من حيث انه وقع فى سياق النفى اولئك سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة
وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تاخر وقرأ حفص عن
عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم
رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا ١ احبار اليهود
من السماء نزلت فى احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة
كما اتى به موسى عليه الصلوة والسلام وقيل كتابا محررا بخط سماوى على الواح كما كانت
التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد سألوا

موسى

موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اى ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا
موسى اكبر من ذلك وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم
تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ فى ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول
جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اى ارناه نره جهرة او مجاهرين
معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب
ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى
امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية
الثانية التى اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية
اذ لم تاتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا
عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان
موسى عليه السلام والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت على
لسان داود عليه السلام ويحتمل ان يراد على لسان موسى وحين ظلل الجبل عليهم
فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به فى زمن داود عليه السلام وقرأ ورش
عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء فى الدال وقرأ قالون باخفاء حركة
العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك
وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اى فخالفوا ونقضوا ففعلنا
بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان
يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه اى قوله
فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف
فتكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل فى جاره وكفرهم بآيات الله
بالقرآن او بما فى كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية
للعلوم او فى اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم

اواخذ لها ومنعها التوفيق للتدبر في الايات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا
قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى
وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان
بعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذلك الكفر ايذانا (باعادة ابناء فيه / عطف)
بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم عيسى ثم محمد عليهم الصلوة والسلام وقولهم
على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى
ابن مريم رسول الله اى بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم
الذى ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان
ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روى ان رهطا من اليهود
سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره
الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب
ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينا
فقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودى فلما خرج ظن انه عيسى
بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب
وامثال ذلك من الخوارق التى لا تستبعد فى زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه تبجحهم
الكلام من جراتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به اى مجاهتهم
لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن
وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او فى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف
بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا وان
الذين اختلفوا فيه فى شان عيسى فانه لما وقعت تلك الوقعة اختلف الناس فقال
بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا
عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم الوجه وجه
عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعنى الى السماء رفع الى السماء

وقال

وقال بعضهم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفى شك منه لفى تردد والشك
كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك (اى الانسانية / اى الالوهية)
اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اى ولكنهم يتبعون
الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما
كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا كذا كلها
قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذلك تخبر عنها العالمات
بها وقد قتلت بعلمى ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشئ علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك
فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب
على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل
موته اى وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به قبل موته فقوله ليؤمنن جملة قسمية
وقعت صفة لاحد ويعود الضمير الثانى والاول بعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى
احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه
ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا
فى معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معالجة الايمان به قبل ان يضطر واليه
ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى اذا نزل من السماء امن به اهل
الملل جميعا روى انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد
من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى يكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام ويقع الامنة
حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان
بالحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه
ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم
دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اى فباى ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم يعنى ما ذكره فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله
كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما

عليهم كما هو محرّم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بالرشوة وساير الوجوه المحرمة وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا دون من تاب وآمن لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ كعبد
الله بن سلام واصحابه وَالْمُؤْمِنُونَ اى منهم او من المهاجرين والانصار يُؤْمِنُونَ
بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ خبر المبتدأ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ
نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد
بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون
او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم وَالْمُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ رفعه لاحد الاوجه المذكورة وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قدّم عليه
الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود بالآية
أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح
وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ
مِنْ بَعْدِهِ جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء
واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كساير الانبياء وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ
اى اولاد يعقوب
وَسُلَيْمَانَ خصّهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم
اوّل اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقون اشراف الانبياء ومشاهيرهم
وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا وقرأ حمزة زُبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور وَرُسُلًا نصب
بمضمر دلّ عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
اى من قبل هذه السورة او اليوم وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ
مُوسَى تَكْلِيمًا وهو منتهى مراتب الوحي خصّ به موسى من بينهم وقد فضّل
الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رُسُلًا
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا

موطئا

موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ
الرُّسُلِ فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان
بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك
كلياتها واللام متعلق بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس
او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا لا يغلب فيما يريده حَكِيمًا فيما دبّر من امر النبوة وخصّ كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز
لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل
عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله
يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ من القرآن المعجز الدال
على نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ
انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من
يستعد للنبوة ويتأهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم
ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثاني حال من المفعول والجملة
كالتفسير لما قبلها وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودّون ان
يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص
الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى
بفتح اللام اى الملائكة
هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة واشهدوا
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا اى وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد
بغيره إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا لانهم
جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اغرق في الضلال وابعد من
الانقلاع عنه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا محمدا صلى الله تعالى وسلم بانكار نبوته
او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والآية يدل على
ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لَمْ يَكُنِ

لقصور

١٩٧

الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها
ابدا لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار
وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه شيء ولا يستعظم
يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة و
وبين الطريق الموصل الى العلم لها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة و
الزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او
ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون
لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه وان
تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا
يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض
وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر
لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود
في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه
الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق
يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول
الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو
روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا
لانه كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة
اي الالهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم
الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس
الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله اله واحد اي
واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد سبحانه تسبيحا

من ان

من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات
وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا
تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم
بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح
لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون
عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف
في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم تعيب
صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله
قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف
على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل
الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية و
ذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم
كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه
ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون
التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته
تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم
من كرب اذا قرب والياء للمبالغة لا للنسبة كما جرى في احمر
رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين
على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها
والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق
بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم
فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام

وكانه قال فيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان
اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا
عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القران اى قد جاءكم دلائل العقل وشواهد
النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم او القرآن فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة
منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل
احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما
هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك اى في
الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روى ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مالى فنزلت وهي
آخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اوائل
السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك (فهى من لا ولد له ولا والد)
ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر ليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك
والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب
لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان
ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضي الله تعالى عنه لكنها لا ترث
النصف وهو يرثها اى والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها
ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت
لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم
به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في
الكلالة ان فسر بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير
لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه

على

على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا
ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة و
اخوات فغلب الذكر يبين الله لكم ان تضلوا اى يبين لكم ضلالكم الذى
من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم
الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين (متعلق بقوله ويبين)
والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث
ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله
تعالى من الذين يتجاوز عنهم سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك (الوفاء بها)
الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج
وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد
بالعقود ما يعم العقود التى عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما
يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن
ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل
للعقود والبهيمة كل حى لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك
ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر
الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب
واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم
كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال
من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل
المصدر والمفعول وانتم حرم حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو

وهو محرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا ايها الذين امنوا لا
تحلوا شعائر الله يعنى مناسك الحج جمع شعيرة وهى اسم ما اشعر اى جعل شعارا
سمى به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام المناسك (النسك نسخة) وقيل
دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل فرائضه التى حدها لعباده
ولا الشهر الحرام بالقتال فيه وبالسبى ولا الهدى ما اهدى الى الكعبة جمع
هدية كجدى فى جمع جدية السرج ولا القلائد اى ذوات القلائد من الهدى
وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى او القلائد انفسها و
النهى عن احلالها مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى ونظيره قوله تع ولا يبدين
زينتهن والقلائد جمع قلادة وهى ما قلد به الهدى من نعل او لحاء شجر او غيرهما
ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له ولا امين البيت الحرام قاصدين لزيارته
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة فى موضع الحال
من المستكن فى امين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف
لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه
يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الاية نزلت فى عام
القضية فى حج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم
ابن شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالاية منسوخ وقرئ
تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن فى الاصطياد بعد
زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الاتى بعد الحظر على
الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف
جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم
شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل
وقرأ ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو
ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان فى النعت اكثر ان صدوكم

عن

فى حجاج يا

عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة
على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثانى مفعولى
يجرمنكم فانه تعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله
منقولا من المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى
على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
للتشفى والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت
عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارق الروح من غير تذكية والدم اى
الدم المسفوح لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء و
يشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اى رفع الصوت لغير الله به كقولهم
باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التى ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة
بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التى تردت من
علو او فى بئر فماتت والنطيحة التى نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل
السبع وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت اصطادته لم
يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء
مخصوص بما اكل السبع والذكوة فى الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بالمحدد وما ذبح
على النصب النصب واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون
عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير
وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام
اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح
مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الاخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الامر مضوا
على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام
طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور
بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق

يقسم

اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك
طريق اليه وافتراء على الله تعالى ان اريد بربى الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او
الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر
وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة
عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل
هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان تظهروا عليكم واخشون
واخلصوا الخشية لى اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او
بالتنصيص على قواعد العقائد والتوفيق الى اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد
واتممت عليكم نعمتى بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة او هدم منار
الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين
عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب
التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة
والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات فى مخمصة
مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد
الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسألو
نك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام
فى ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين
شايع فى امثاله والمسؤل ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلى عليهم ما حرم عليهم
سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم يستخبثه الطباع السليمة
ولم يتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على
حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير
وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب
الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب

مودب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واثر
اولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه
على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف
مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب
بالعقل الذى هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه و
ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن
عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه السلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل
انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك فى سباع
الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال اخرون لا يشترط مطلقا واذكروا
اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى
سموا عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله فى محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذ
بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول
الذبايح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رضى الله تعالى عنه
نصارى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق
بهم المجوس فى ذلك وان الحق بهم فى التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة
اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبايحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان
تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات
اى الحراير العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه لا يحل الحربيات
اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث
على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين
مجاهرين بالزناء ولا متخذى اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر
والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين

يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا
اذا قمتم الى الصلوة اى اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله عبّر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة
ينبغى ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان
التوجه الى الشئ والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قايم الى
الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء
واحد يوم الفتح فقال عمر رضى الله تعالى عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته
فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب
وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة من اخر القرآن
نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا
حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين
فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف
تقديره وايديكم مضافة الى مرافقكم ولو كان كذلك لم يبق لمعنى التحديد ولا لذكره مزيد
فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها فى الحكم
اوخروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن فى الآية وكان الايدى
متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضى خروجها
والا لم يكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم يتميز
الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة
وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان
يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم
وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا
وجوهكم واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب الشافعى رضى الله تعالى عنه اقل ما يقع عليه
الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رضى الله عنه مسح ربع الرأس لانه عليه السلام مسح على
ناصية

ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رضى الله تعالى عنه مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم
الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب عطفا على وجوهكم و
يؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره
الباقون على الجوار ونظيره كثير فى القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين
بالجر فى قراءة حمزة والكسائى وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب فى ذلك وفائدته
التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفى
الفصل بينه وبين اخوته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على ارجلكم مغسولة
وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد
منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام فى
بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اى ما يريد الامر بالطهارة
للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن
الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول
يريد فى الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم
من حرج حتى لا يرخص لكم فى التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا يقدر
بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته
عليكم فى الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزايمه لعلكم تشكرون نعمته والآية مشتملة
على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب
وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وان آلتهما مايع و
او غير محدود صح
جامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود
عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم
وترغبكم فى شكره وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعنى الميثاق
الذى اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على السمع والطاعة

فى العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا
الله فى انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اى
بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا
قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا
تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين
على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية
ونقض عهد تشفيا مما فى قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اى العدل اقرب
للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور
وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المومنين
واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما
لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود او لمزيد الاهتمام
بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثانى مفعولى وعد استغناء بقوله لهم مغفرة
واجر عظيم فانه استيناف يبينه وقيل الجملة فى موقع المفعول فان الوعد ضرب من
القول وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب
الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه
مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
روى ان المشركين رأوا رسول الله واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما
صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيد
هم بان انزل صلوة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روى انه عليه السلام
اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمرى
خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك
فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها فامسك الله تعالى

(بين السطور: اسم موضع — ومعنى يستقرضهم يطلب منهم مال الاقراض — اى بغض اعتبر الحذف)

يده

يده فنزل جبريل عليه السلام فاخبر فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه السلام منزلا
وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابى فسل سيفه فقال من
يمنعك منى فقال الله فاسقطه جبريل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك منى فقال
لا احد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان
يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به
وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها
عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافى لايصال الخير
ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى
عشر نقيبا اى شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او
كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روى ان بنى اسرائيل لما فرغوا من فرعون
واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون
وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فانى ناصركم وامر موسى
ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم
النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم
ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم فنكثوا
العهد الا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف
وقال الله انى معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى
وعزرتموهم اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم
الله قرضا حسنا بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن
عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام فى لئن ساد مسد جواب الشرط
ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك
الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا
شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له

(بين السطور: رواه الشيخان — النقب الطريق فى الجبل والنقيب من الوريد سمى نقيبا لانه يعرف مناقب القوم وهو الطريق الى معرفة امورهم)

معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم
اوضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الايات والنذر وقرأ
حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم
قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة
وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان
قسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون
حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا
مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا
التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت
بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال ينسى المرء بعض
العلم بالمعصية وتلا هذه الاية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة
خائنة او خاين والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم
لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم وقيل
الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا و
امنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب
المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر
الخاين احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى
اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم و
قيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل
على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا
فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم
القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين
اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب

يعني

يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
واية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفوا عن كثير مما تخفونه
لا يخبر به اذا لم يضطر اليه في امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يعني القران فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال
والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يهدي به
الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع
رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبيل الله
ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتو
فيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد
اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد
منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم
ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لعقيدتهم
قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان
يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد
قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن
كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق
ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى
انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق
ما بينهما وينشئ من اصل ليس من جنسه كادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه
اما من ذكر وحده كما خلق حوا او من انثى وحدها كعيسى عليه السلام او منهما كسائر الناس
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير
والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم

وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم
اى فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل
ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه
سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله تعالى يغفر
لمن يشاء وهم من آمن به وبرسوله ويعذب من يشاء وهم من كفروا والمعنى انه
يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض
وما بينهما كلها سواء في كونها خلقا وملكا له واليه المصير فيجازى المحسن باحسانه
والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اى الدين وحذف لظهوره
او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى ويبذل لكم البيان والجملة
في موضع الحال اى جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اى جاءكم على حين
فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بيبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من
بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف
اى لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل
بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال
على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام اذ كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع وستون
(او على تعاقبه بمهلة) او على التوالي بغير مهلة
سنة واربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية
امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونوا اليه واذ قال موسى
لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث
في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اى جعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك
تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط
فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا
من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل
المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت

بذلك

بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين
وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ انها
تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على
ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا
متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم
الوثوق على الله تعالى فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على
العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى مقاومتهم
والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان
كالب ويوشع من الذين يخافون اى يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة
اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اى من الذين يخافهم
بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اى المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا
من الاخافة اى من الذين يخوفون من الله بالتذكر او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان
والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اى
باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون
اى من الدخول في الصحراء — اى غلبتموهم بغتة
لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان
متعلق بتعسر لا بالكر
يكون علمهما بذلك من اخبار موسى عليه السلام وهو قوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة
رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اى مؤمنين به
ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ما داموا
فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك
استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا
املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق
معه موافق يثق به غير هارون عليهما السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما

لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلون فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها اولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روى ان موسى عليه السلام سار بعده بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روى انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجاتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده عليهما السلام بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع عليهما السلام فلا تاس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما تحازن ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبا ابني ادم قابيل وهابيل اوحى الله تعالى الى ادم ان يزوج كل واحد منهما توام الاخر فسخط منه قابيل لان توامته كانت اجمل فقال لهما ادم عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني ادم عليه السلام لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر

كتبنا صح

محذوف

محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبا اي متلبسا بالصدق وموافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبا او حال منه او بدل منه على حذف مضاف اي اتل عليهم نبا

صح

هما نبا ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردا قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر لانه سخط حكم الله تعالى ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي قال انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي نحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين

دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل ابن عشرين سنة لعقبة حراء وقيل
بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سوءة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني ادم
فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفيرة و
الضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد
بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر
والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة
اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي الاستفهام ههنا للانكار
وهو في معنى النفي اي لا اعجز عن كوني في مثل هذا الغراب لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري
عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى او عجزت لواريت وقرئ بالسكون
على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه
من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه
وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله ادم عليه السلام عن اخيه فقال ما كنت
عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك
وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل
في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان
جررته بمعنى جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب
وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد
في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك
حرمة الدماء وسن القتل وجرى الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سواء في
استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي ومن
تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل واستنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل
ذلك بالناس جميعا والمطلوب منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها

وترغيبا

وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك لمسرفون في الارض
اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات
الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون
به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما
واصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر
ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا
فكانه قيل يفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا
اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك
او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى
ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض اي ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في
موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الآية على هذا للتفصيل وقيل
انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة
ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص
بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء وهو
يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا يسقط
الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل
القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما يتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه
من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة
وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز
بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به
ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير
لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة

في نحو قوله تعالى عوانٌ بين ذلك اولان الواو في ومثله معه بمعنى مع ما تُقُبِّلَ مِنْهُمْ جواب لو

ولو بما في حيزه خبر انّ والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ

مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ وقرئ يُخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون

للمبالغة وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم

السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى

الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشا

لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما يوجب القطع اذا كانت من حرز

والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف

في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي

الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله

فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى

ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه من الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه

منه جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا

وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَمَنْ تَابَ من السراق مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ اي سرقته وَأَصْلَحَ امره بالتفصي عن

التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقبل توبته فلا يعذبه

في الاخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ الخطاب للنبي او لكل احد يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

قدم التعذيب على المغفرة اتباعا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد

به القطع وهو في الدنيا يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ اي صنيع الذين

يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ

تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف

وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا عطف على من الذين قالوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ خبر محذوف اي هم سماعون والضمير

للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام

في للكذب اما للتأكيد مزيدة للتاكيد او لتضمن السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار او

للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ

اي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى

على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق

اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ

مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى

بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير

فيه او استئناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا

فَخُذُوهُ اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ بل افتاكم محمد بخلافه فَاحْذَرُوا

اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما

مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا

وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي

لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور فانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله

وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل الله علينا العذاب

فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ ضلالته او

فضيحته فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ

أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ من الكفر وهو كما ترى نص على قول المعتزلة لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ هوان بالجزية والخوف من

المؤمنين وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله من الذين

والا فللفريقين سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ كرره للتاكيد أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ اي الحرام كالرشا من سحته اذا استاصله لانه

مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ

بفتح السين على لفظ المصدر فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي

والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم
والآية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك
شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم
بالقسط بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف
يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان
الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق
واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله
حال من التورية ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها
نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن
حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب
من بعد ذلك ثم يعرضون وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا
او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما اشتبه من الاحكام
يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم
ينسخ وبهذه الآية تمسك القائلون به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها
وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء عليهم السلام واقتفاء
هديهم للذين هادوا متعلق بانزلنا او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين
انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على
النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع
والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا للتبيين
او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام
ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتي ولا
تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا وهو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله
مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك

وصفهم

وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج
عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة
لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون
في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التورية ان النفس بالنفس اي
النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن
رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل وكتبنا عليهم
النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة يقعان على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها و
كذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة
بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفعول
مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص
وقراءة الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق
من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفى عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله بالنصب
به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها
بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون
وقفينا على آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير
للنبيون بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدى الفعل اليه بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية
وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب على الحال ومصدقا
لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول
لهما عطفا على محذوف او تعلقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة
حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر
كقولك امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتملة على الاحكام وان
اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله

انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اى
القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية
للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات
وقرئ على بنية المفعول اى هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى والحفاظ
فى كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك
من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة للا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال عن
فاعله اى لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة
وهى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين
ومنهاجا وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين
بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد فى جميع
الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله
اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل
عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون
عن الحق وتفرطون فى العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق
والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين
والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل
والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق
اى انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواء
هم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اى ان يضلوك ويصرفوك عنه
وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اى احذرهم فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة
ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لعلنا نفتنه عن
دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان
بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك

رسول

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد
الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعنى ذنب التولى عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان
لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمته واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى التنكير
ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون
لمتمردون فى الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم
والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع
الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله اهذا الذى بعث الله رسولا
واستضعف ذلك فى غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب
شهوتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله
حكما لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما فى قوله هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم
يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن
حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا
تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهى فانهم متفقون على
خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم
فانه منهم اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا تشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام
لا تتراءى ناراهما اولان الموالى لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى الذين
ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين فى قلوبهم مرض يعنى
ابن ابى واحزابه يسارعون فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة
ويعتذرون بانهم يخافون ان يصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار
روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثير عددهم
وانى ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ
من ولاية موالى فنزلت فعسى الله ان يأتى بالفتح لرسول الله ع م على اعدائه واظهار المسلمين او امر

مِنْ عِنْدِهِ يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم
فَيُصْبِحُوا اى هولاء المنافقون عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ على ما يستبطنون من الكفر
والشك فى امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا بالرفع قراءة عاصم
وحمزة والكسائى على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه
جواب قايل يقول فماذا يقول المؤمنون ح وبالنصب قراءة ابى عمرو ويعقوب عطفا على ان ياتى
باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان ياتى الله بالفتح ويقول الذين امنوا او بجعله بدلا من اسم الله تعالى
داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان ياتى
بالفتح ويقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ
جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما
منّ الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله
الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال
على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ
كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى واقسموا حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ
اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط
اعمالهم وما اخسرهم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قراءه على الاصل نافع وابن
عامر وهو كذلك فى الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى اخبر الله عنها قبل وقوعها
قد ارتد من العرب فى اواخر عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم
ذو الخمار الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض
رسول الله عن غدها واخبر الرسول فى تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر فى آخر ربيع الاول
وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مسيلمة رسول الله
الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى
مسيلمة الكذاب اما بعد فالارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر
بجند المسلمين وقتله الوحشى قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه

مطلب مسيلمة الكذاب

رسول

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم فحسن اسلامه وفى
عهد ابى بكر رضى الله تعالى عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن
سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم
قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر
بن وايل بالبحرين وقوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفى امرة عمر غسان قوم جبلة بن
الايهم تنصر وسار الى الشام فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ قيل هم اهل
اليمن لما روى انه عليه السلام اشار الى ابى موسى الاشعرى وقال قوم هذا وقيل الفرس
لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين
جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس
والراجع الى من محذوف تقديره فسوف ياتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى لعباده ارادة
الهدى والتوفيق لهم فى الدنيا وحسن الثواب فى الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز
عن معاصيه أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه
ذلل واستعماله مع على اما لتضمنه معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم و
فضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ شداد متغلبين عليهم
من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صفة اخرى لقوم او
حال من الضمير فى اعزة وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون
بين المجاهدة فى سبيل الله والتصلب فى دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال
المنافقين فانهم يخرجون فى جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون
شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير لائم مبالغتان ذَلِكَ
اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ يمنحه ويوفق له وَاللَّهُ وَاسِعٌ
كثير الفضل عَلِيمٌ بمن هو اهله إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا لما نهى عن
موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه
على ان الولاية لله تعالى على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ

ويؤتون الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه
على المدح وهم راكعون متخشعون فى صلاتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اى
يؤتون الزكوة فى حال ركوعهم فى الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت فى
على رضى الله تعالى عنه حين سأله سائل وهو راكع فى صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة
على امامته زاعمين ان المراد بالولى المتولى للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه
مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جئ بلفظ الجمع لترغيب
الناس فى مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل فى الصلوة لا يبطلها
وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء
فان حزب الله هم الغالبون اى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها
على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها
بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالى غير هؤلاء بانه حزب
الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء
نزلت فى رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين
يوادونهما وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها
على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار
على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائى ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين
خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهى عن موالاة من ليس على الحق
راسا سواء كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا
الله بترك المناهى ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضى ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين
بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اى اتخذوا الصلوة
او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روى ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال قد احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله

ينام

بنام فتطاير شررة فى البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدى
الى الجهل بالحق والهزؤ به والعقل يمنع عنه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون
منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو
لغة الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان
اكثركم فاسقون عطف على ان امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اى ما تنكرون منا
الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون
فحذف المضاف او على ما اى وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وان اكثركم او على علة محذوفة
والتقدير هل تنقمون منا الا ان امنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه تنقمون ولا تنقمون
ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الدنيا
والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمن يؤمن
به فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا
شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اى من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا
عند الله تعالى والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل
منهم القردة والخنازير بدل من شر على حذف مضاف اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله
او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله تعالى
من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم
اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه الصلوة والسلام وقيل كلا المسخين
فى اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من
وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا
اى فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ وعبدة او عبد
الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد
الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله تعالى

الله أولئك اى الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرا
رتهم وقيل مكانا منصرفا وأضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين
غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة
الى المؤمنين في الشرارة والضلالة وإذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول
الله عليه السلام او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون
من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر
وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وإن دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع
حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول
يظنه ولذلك قال والله أعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد لهم وترى
كثيرا منهم اى من اليهود او المنافقين يسارعون في الإثم اى الحرام وقيل
الكذب كقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل
الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم وأكلهم السحت اى الحرام
وخصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم
الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت تحضيض لعلمائهم
على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد
التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان
الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم
ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا
كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اى
هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات
يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله م جاد الحمى بسط اليدين
بوابل م شكرت نداه تلاعه ووهاده م ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل
وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء

غلت

والمسكنة صح

غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر او بغل الايدي حقيقة
يغلون اسارى في الدنيا ومسحبين الى النار في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة
الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد و
نفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي في ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها
على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء
تأكيد لذلك اى هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى
حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر
ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في
فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم
تكذيبهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا
منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا
وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء وألقينا
بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة فلا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم
كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله
بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم
التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فسطوس الرومي ثم
افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا
او صفة نارا ويسعون في الأرض فسادا اى للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة
الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو
أن أهل الكتاب آمنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم
سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولأدخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم داخلين
فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان
الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل باذاعة ما فيهما والقيام

باحكامها وما انزل اليهم من ربهم يعنى سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان
بها كالمنزل اليهم او القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان
يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم
الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجرة ويلتقطون ما تساقط على الارض بين
بذلك ان ما كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا
به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة
وهم الذين امنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة فى عداوته وكثير منهم
ساء ما يعملون اى بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اى ما اسوء عملهم وهو المعاندة
وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم
تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها
يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك
ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل
سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك من الناس عدة وضمان
من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادى وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدى القوم
الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعثنى الله تعالى برسالته
فضقت بها ذرعا فاوحى الله الى ان لم تبلغ رسالاتى عذبتك وضمن لى العصمة
فقويت وعن انس كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه
من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمنى الله من الناس وظاهر الآية يوجب
تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم
عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شىء
اى دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل وما
انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد عليه السلام والاذعان لحكمه فان الكتب

و قرأ نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم رسالاته ع

الالهية

الالهية باسرها امرة بالايمان لمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد
اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه
اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره فى سورة البقرة و
الصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما فى حيز ان والتقدير
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فانى وقيار بها
لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق وهو كاعتراض دل على انه
لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان
والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما
وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف
ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله
كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التاكيد
والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها فى موضع الرفع
بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من امن بالله واليوم
الاخر وعمل صالحا فى محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اى من امن منهم او النصب على البدل
من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء
والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات
ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا رسلا ليذكروهم
وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من
الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة
رسلا والراجع محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف

اليهم صح

وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا
للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآي
وحسبوا الا تكون فتنة اى وحسب بنوا اسرائل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب
بقتل الانبياء عليهم السلام او تكذيبهم وقرا حمزة وابو عمرو والكسائي ويعقوب
لا تكون بالرفع على ان ان هى المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان
عليها وهى للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم وان او ان بما فى حيزها ساد
مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلايل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا
حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اى ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا
كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم
وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو
علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث او خبر مبتداء محذوف اى العمى والصمم كثير
وقيل مبتداء والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع والله
بصير بما يعملون فيجازيهم على وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائل اعبدوا الله ربى وربكم
اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم انه من يشرك بالله فى
عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع
من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأويه النار فانها
المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اى وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع
الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو
يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى عليه السلام وان يكون من كلام الله تنبيها على انهم قالوا
ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اى احد ثلاثة وهو حكاية عما قال النسطورية
والملكائية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما

بتكذيب

مخففة ان وحذف ضمير الشان

ذو وقت مع

من

من اله الا اله واحد وما فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات
الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم
ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اى ليمسن الذين
بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة
على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا
يتوبون الى الله ويستغفرونه اى الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال
الزايغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد
والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجيب من
اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول كالرسل
قبله خصه الله بايات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى
على يدى موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق ادم من غير اب وام وهو اغرب
وامه صديقة كساير النساء اللاتى يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا يأكلان الطعام
ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب
لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافى الربوبية
ويقتضى ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم تعجب ممن يدعى الربوبية لهما مع
امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون
كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للايات
عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا
يعنى عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به
من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته
توطئة لنفى القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة
والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع والله
هو السميع العليم بالاقوال والعقايد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل

٢١٥

الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا
له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا
تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعنى اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث
محمد عليه السلام فى شريعتهم واضلوا كثيرا اشياعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا
عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا
عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم من مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما
جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم
اى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم
داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا
خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك اللعن
الشنيع المفضى الى المسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم الله عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل
منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيئوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى
عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد
بالقسم ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله
والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة
ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب
سخط الله والخلود فى العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا ذلك لان
كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى يعنى نبيهم وان كانت الاية
فى المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن
كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون فى النفاق لتجدن اشد
الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم
وانهماكهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب

الانبيا

الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم
ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه
او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل و
الاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت فى كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى

الجزء السابع

اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم
ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع
الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من
الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى
انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد عليه
السلام فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء
على الامم يوم القيامة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع
القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعى وهو الطمع فى
الانخراط مع الصالحين والدخول مداخلهم او جواب سائل قال لم امنتم ولا نؤمن
حال من الضمير والعامل ما فى اللام من معنى الفعل اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين
بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة
وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اى ونحن
نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اى عن اعتقاد
من قولك هذا قول فلان اى معتقده جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان فى الامور والايات
الاربع روى انها نزلت فى النجاشى واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكتابه
فقرأه ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر
جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وامنوا بالقرآن وقيل نزلت فى

ثلثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله عليه السلام فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وامنوا **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم** عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب **يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم** اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه بالنهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال **ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان ابن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول والعائد محذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة **واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم** هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان** بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم

او

او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل **فكفارته** فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت بالذي هو خير **اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم** من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة **او كسوتهم** عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهي ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او طعام كاسوتهم **او تحرير رقبة** او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين **فمن لم يجد** اي واحدا منها **فصيام ثلاثة ايام** فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم يرو سنة **ذلك** اي المذكور **كفارة ايمانكم اذا حلفتم** وحنثتم **واحفظوا ايمانكم** بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم **كذلك** مثل ذلك البيان **يبين الله لكم آياته** اعلام شرايعه **لعلكم تشكرون** نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه **يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب** اي الاصنام التي نصبت للعبادة **والازلام** سبق تفسيرها في اوائل السورة **رجس** قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف او المضاف المحذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر **من عمل الشيطان**

؟ برواية ابن ذكوان صح

لانه مسبب عن تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم
تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان
صدر الجملة بانما وقرنهما بالانصاب والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان
تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى
منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم
فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال
تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة
والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم
والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين
الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف
وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد
انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا عما نهيا عنه او مخا
لفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول
بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين امنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات
اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا بتحريمه
ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها
روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون
الخمر وياكلون مال الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار
الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس
وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه السلام
في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي

ان

ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا
للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء
وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم
الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى
بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم
وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من
العظايم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند
ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب
منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم
وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم
فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف
به فيما يكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم
حرم اى محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم
واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام خمس
يقتلن في الحل والحرم الحداءة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور
وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف
في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا
فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه
عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء
فان اتلاف المتعمد والمخطي واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله
منه والاية نزلت فيمن تعمد اذ روى انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش
وطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء
والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من

من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فانّ متعلق المصدر
كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر
الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل
وقرئ فجزاءً مثلَ ما قتل بنصبهما على فليجز جزاءً او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وقرئ
فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة
عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وقال يقوّم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي يخيّر بين ان يهدي
ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من برّ او صاعا من
غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخيّر بين الاطعام والصوم واللفظ
للاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره
او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى
نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا
وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان
نوّن لتخصيصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة
وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق
به ثمة وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث يشاء او كفارة عطف على جزاء
ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر
محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك
خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي
من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من
الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ
بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما
تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم
ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبته هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة

امر الله

امر الله تعالى واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد
محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله
منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنه وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه
مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه و
الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر
وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم
تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم
عليكم صيد البر اي ما صيد فيها او الصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده
الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لحم صيد حلال
لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام
يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت
كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس
انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه
الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنيا
هم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل فعله ونصب
على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر
الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب بقرانه وقيل الجنس ذلك اشارة
الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في
السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع
المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص
ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد
لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ

تشديد في ايجاب القيام بما امر اى الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر
في التفريط وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ من تصديق وتكذيب وفعل
وعزيمة قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى
بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل
وحلال المال وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة
والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك
قال فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب
وان قل لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ راجين ان يبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة
لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ
تُبْدَ لَكُمْ الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله
عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما
كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه و
اشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه
جمع لشيء على ان اصله شيّء كهيّن او شيء كصديق فخفف وقيل افعال جمع لم من
غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عَفَا اللَّهُ عَنْهَا صفة اخرى اى عن
اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ قال
سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اعاد ثلثا فقال
لا ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استيناف اى
عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ لا يعاجلكم
بعقوبة ما يفرط منكم ويعفوا عن كثير وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخطب
ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسئلون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسئل عن شيء الا
واجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال اخر من ابي فقال حذيفة وكان يدعى لغيره فنزلت
قد

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ الضمير للمسئلة التي دل عليها تسئلوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء
بحذف الجار مِنْ قَبْلِكُمْ متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة
للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ اى بسببها حيث لم يأتمروا
بما سئلوا وجحدوا مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ردع وانكار لما
ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها
اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي
سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت
ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت
من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى اى ظهره صح
ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن زائدة
وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بتحريم ذلك ونسبته اليه وَأَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه
ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الاباء ان يعترفوا به
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا بيان
لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه
الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء
انما يصح بمن علم انه مهتد وكان ذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ اى احفظوها والزموا اصلاحها والجار والمجرور جعل
اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر عليكم لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ
ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر
المنكر حسب طاقته كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم من راى منكم منكرا واستطاع ان يغيره
بيده فليغيره وان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كانت

المؤمنون يحشرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت
اباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستانف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم
والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من
الراء المدغمة وينصره قراءة من قرا لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها
من ضاره يضيره ويضوره اي الجزم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون
وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين امنوا
شهادة بينكم مبتداء اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية
واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادةً بالنصب والتنوين على ليقم
اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت فيه اماراته وهو ظرف للشهادة حين
الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف
حضر ذوا عدل منكم اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف
ذوا عدل منكم اى من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او اخران من
غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على
المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة
الموت اى قاربكم الاجل تحبسونهما تقفونهما صفة وتصبرونهما صفة لاخران
والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او اخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على
ما ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف
نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لانه
وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلوة فيقسمان
بالله ان ارتبتم اى ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم
اعتراض يفيد اي شككم اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله
عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبا ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا نطمع صح
وجوابه ايضا محذوف اى لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اى شهادة [illegible] التي امرنا

باقامتها

باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا الله بالمد على حذف حرف
القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغيره كقولهم الله لافعلن انا اذا
لمن الاثمين اى ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام
النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف
فاخران فشاهدان اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين
جني عليهم وهم الورثة وقرا حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان
الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان
او مبتداء خبره اخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان قرا حمزة ويعقوب
وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اى من الاولين الذين استحق عليهم
وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان
بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منهما واولى بان يقبل وما اعتدينا
وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين
انفسهم ان اعتدينا ومعنى الايتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين
من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان
كان في سفر فاخران من غيرهم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان
بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف اخران من اولياء
الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض
يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا صح وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة
الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما
الداري وعدي بن بداء خرجا الى الشام للتجارة وكانا ح نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو
ابن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه
ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة
فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء

محمد فترافعوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين امنوا الآية فحلفهما
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في
ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا
ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن
العاص والمطلب بن ابي رفاعة السهميان فحلفا ولعل تخصيص العدد لتخصيص
الواقعة ذلك اى الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة
على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان
بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين
الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون
به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اى وان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم
قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اى لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة
يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول
واسمعوا على حذف المضاف اى اسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر فيقول
اى للرسل ماذا اجبتم اى اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باى شئ
اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ
الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اى لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام
الغيوب فتعلم ما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه
التشكي عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب
علمك ولا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان
الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب
على الاختصاص او النداء اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى
والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة قوله ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه
تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجاباتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات

فكذبتهم

فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب باضمار
اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس
بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية ويطهر
من الاثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اى كائنا في المهد وكهلا والمعنى
يكلمهم في الطفولية والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية
في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك
الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني صح
باذني سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع
كالباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات
ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اى ما هذا الذي جئت به
الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر والاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى
الحواريين اى امرتهم على السنة رسلي ان امنوا بي وبرسولي يجوز ان يكون ان مصدرية
وان يكون مفسرة قالوا امنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون
يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم للاخلاص
مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق
واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه
القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب
واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسئله ذلك من
غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده
اذا اعطاه كانها تميد من يقرب اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من
امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء
الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا

بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانظمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته
ونعلم ان قد صدقتنا فى ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من
الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال
عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك او انهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم
الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اى تكون يوم
نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا وقرئ
تكن على جواب الامر لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى عيد المتقدمينا
ومتاخرينا روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل
منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولينا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا
منك صفة لها اى آية كائنة منك على كمال قدرتك وصحة نبوتى وارزقنا المائدة او
الشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض
قال الله انى منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا
اى تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب
ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اى من عالمى زمانهم او
العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى انها
نزلت فى سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت
بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها
رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك
تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الالوان البقول ما خلا
الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى العسل وعلى الثالث سمن وعلى
الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا ام طعام
الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا ما شئتم واشكروا يمددكم

الله

الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال
يا سمكة احيى باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين
يوما وغبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء
الفيء طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم ياكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض
الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتى فى الفقراء
والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة و
ثمانون رجلا وقيل لما وعد الله تعالى انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد
فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله تعالى مثلا لمقترحى المعجزات وعن
بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقايق المعارف فانها غذاء الروح كما ان
الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف
عليها وقال لهم عيسى عليه السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا
من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين
الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف
له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال
الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون
الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذونى
ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة
فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما
مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى
وكانه قيل اتخذونى وامى الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اى انزهك
تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ما ينبغى ان
اقول قولا لا يحق لى ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم

ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك
وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب
تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح
بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف
بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه
بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعول له مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما
امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان ان مفسرة لان الامر مسند الى الله
وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة يحكى بعده الا ان يأول القول
بالامر وكان مثل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا
ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا
لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك
ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم
فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل
وانزال الايات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم
فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك
المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا
غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك
القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا تثيب ولا تعاقب الا عن حكمة وصواب فان
المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران
الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا
يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر
هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع

وقيل

وقيل انه خبر ولكن مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب
والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز
العظيم بيان النفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير
تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا
للعقلاء وقال ما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول
عن رتبة المعبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا
متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله تعالى عليه الصلوة والسلام
من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد
كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلاث آيات من قوله قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على
انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمدا ولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون
وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار
والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشاهما
والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى
التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها ولان المراد
بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام
على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى
ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله
الحمد لله على معنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون

فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم و
وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا
يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد
عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اى
يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان
الكفار يعدلون بربهم الاوثان اى يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اى ابتداء
خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم
فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل
الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق
لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني
لمن بقي ولمن ياتي واجل نكرة خصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر و
الاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اى مثبت معين لا يقبل
التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود
بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم و
محييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء
كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل
البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الظمير
لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة
فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم
والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت
الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال
علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان
صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون من خير وشر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد

بالسر

بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تاتيهم
من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى ما يظهر لهم دليل
قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من الآيات القرآن الا كانوا عنها معرضين
تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم
مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه بمعنى انهم
لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه
بالفاء فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اى سيظهر لهم ما كانوا به
يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا او الآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اى من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار
الناس وهو سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت
المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم
او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم
نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار
بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدا
المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم ~~اى لم يغن عنهم ذلك شيئا~~ متتابعا
~~وانشانا واحدثنا من بعدهم قرنا~~ فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار
فاهلكناهم بذنوبهم اى لم يغن عنهم ذلك شيئا وانشانا واحدثنا من بعدهم
قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ
مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قادر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع
فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده
بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل

معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا
لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوا والخلل فيه والمعنى ان
الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله تعالى جرت
بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل
للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون
لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول
ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى
على روية الملك في صورته وانما راهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية
وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون
على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحد وللبسنا بالتشديد
للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذي كانوا
يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او نزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض
ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله تعالى بعذاب الاستيصال كي تعتبروا
والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا
ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها في الارض وايجاب النظر في اثار الهالكين
قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه
على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه
الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته
والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة
استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين
الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة

بدل

بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا
انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم
او رفع على الخبر اي وانتم الذين او رفع على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان
عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال
النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار
من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون
اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الاخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل
معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ
وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود
لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه
ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها
وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح
وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم
بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو
نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى
انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن من
المشركين ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى
في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل
وبين المفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب
عنه وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقرئ باظهاره
والمفعول محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين
اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له الا هو فلا قادر

على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان
قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق
عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد
وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزل حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك
اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك انك رسول
الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اي الله
اكبر شهادة ثم ابتداء شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد
هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن
لانذركم به اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير
المخاطبين اي لانذركم يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او
عرب عجم
لانذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم
الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون
ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل
من الاصنام
انما هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون يعني الاصنام
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التورية والانجيل
كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين
فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
كقولهم الملائكة بنات وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب بآياته كان كذبوا بالقرآن
والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما
بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشأن لا يفلح الظالمون فضلا عمن
لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول
للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب
يحشرهم ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي تزعمونها انهم شركاء فحذف

المفعولان

المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها
في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم
غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم
التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه
فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص ثم لم تكن
بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر بالتاء والنصب على ان
الاسم ان قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله
ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة
والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين
عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها
وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله
جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح
وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو
اي غاب
القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا
امثالهم اي الكعبة
فسمعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته
ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا
على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان
يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة وان
يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا
جاؤك يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي
اذا
التي بعدها الجمل لا عمل لها والجملة وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان
اي القرآن
هذا الا اساطير الاولين فان جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية
التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك

حال ويقول تفسير له وكلا ساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار
جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اى ينهون الناس
نزلت في شان ابي طالب واصحابه من اهل مكة
عن القرآن او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب وان يهلكون وما
يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو
ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى
يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا و
قرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع
الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين استيناف كلام منهم على
وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال
من الضمير فيه فيكون في حكم المتمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني
من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو اجراء
لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من
التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفونه من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك
ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا الى الدنيا بعد الوقوف والظهور
لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم
وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه في الدنيا
ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم
عرضوا
مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوا
حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة
للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى
وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم

تكفرون

تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم و
استوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة
غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجأة ونصبها على الحال او المصدر
فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اى تعالى فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها
قصرنا في العمل
في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان
بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام
الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب اى
وما اعمالها الا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة
حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الاخرة خير للذين
يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس
من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الاخرة افلا تعقلون اى الامرين
خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب
الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل
لفظ
وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن
فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده
كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولكنهم يجحدون
ايات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او
جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روى ان ابا جهل كان
يقول ما نكذبك وانك عندنا الصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل
من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس لنفي
تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم
واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات
الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات ولقد جاءك

من نبأ المرسلين اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك
عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغى
نفقا فى الارض او سلما فى السماء فتاتيهم باية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض
فتطلع لهم اية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها اية وفى الارض صفة لنفقا وفى
السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغى او حالين من المستكن وجواب
الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه
البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء
لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اى ولو شاء الله جمعهم على
الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيته فلا تتهالك عليه
والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكن لم يفعل
لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن
الصبر فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب
الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى
الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان
ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اى اية مما اقترحوه
او اية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان
الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية تضطرهم الى الايمان كنتق
الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها
وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ
ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة فى الارض تدب على وجهها
ولا طائر يطير بجناحيه فى الهوى وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها
وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة
ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة

تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل اية وجمع الامم للحمل على المعنى ما
فرطنا فى الكتاب من شئ يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجرى فى العالم
من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون
ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشئ فى موضع المصدر لا المفعول
فان فرط لا يعدى بنفسه وقد عدى بفى الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى
ربهم يحشرون يعنى الامم كلها فينصف بعضها عن بعض كما روى انه ياخذ للجماء
من القرناء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حشرها موتها والذين كذبوا باياتنا صم
لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا
تتاثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق فى الظلمات خبر ثالث اى خابطون
فى ظلمات الكفر او فى ظلمة الجهل او ظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من
المستكن فى الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا
على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه
قل ارايتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب
لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت
الفعل الى ثلاث مفاعيل ولزم فى الآية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول
محذوف تقديره ارايتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتى من
قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم
ان كنتم صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه بل اياه تدعون
بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف
ما تدعون اليه اى ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء فى الآخرة
وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم فى ذلك الوقت لما ركز فى العقول على
انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك اى قبلك ومن زائدة فاخذناهم اى فكفروا وكذبوا المرسلين

فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والافات وهما صيغتا تأنيث
لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام مايدعوهم ولكن
قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى
وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به زينها صح
فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء
والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما
روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا
بالتشديد في جميع القران ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا
فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم
والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون
فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا
ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة
من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان
يحمد عليها قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم
على قلوبكم بان يغطي عليها مايزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله يأتيكم
به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف
الايات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية ثم هم يصدفون الترغيب العقلية صح وتارة من جهة
والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون
عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب
الله بغتة من غير مقدمة او جهرة يتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا
وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون

ولذلك

ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين
الا ونكون الاستفهام بمعنى النفي
المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم
فمن امن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب
ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل
العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا
يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب
عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر
على ما يقدر عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى
النبوة التي هي من كمالات البشر رد الاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه
قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم
او مدعي المستحيل كالالوهية او الملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون
فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص
عنه وانذر به الضمير لما يوحى الي الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون
المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان
الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا
شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون
لكي يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعد ما امره بانذار
غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي
انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب
وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا
جئناك قال نعم وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون
فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام

وقيل صلوة الصبح والعصر وقراء ابن عامر بالغدوة **يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** حال من
يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر
ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم **مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ**
مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ اى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم
عند الله تعالى اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لو امنوا وليس عليك
اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضى
كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك
عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اى من فقرهم وقيل الضمير
للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولاهم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث
تطرد المؤمنين طمعا فيه **فَتَطْرُدَهُمْ** فتبعدهم وهو جواب النفى **فَتَكُونَ**
مِنَ الظَّالِمِينَ جواب النهى وجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب
وفيه نظر **وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ** ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس
فى امور الدنيا فتنا اى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على
اشراف قريش بالسبق الى الايمان **لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا**
اى اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر
والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة
الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل
على ان فتنا متضمن معنى خذلنا **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** بمن يقع
منهم الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله **وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ**
بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ الذين يؤمنون هم
الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقران واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على
العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله تعالى
وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان

كذلك

كذلك ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله تعالى بالسلامة فى الدنيا والرحمة
فى الاخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما
فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت **أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا** استيناف بتفسير
الرحمة وقراه نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها **بِجَهَالَةٍ** فى موضع
الحال اى من عمل ذنبا بفعل الجهلة فان ارتكاب جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار
والمفاسد كعمر رضى الله تعالى عنه فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهلة فان ارتكاب ما يؤدى
الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل **ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ** بعد العمل او السوء **وَ**
أَصْلَحَ بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه **فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** فتحه من فتح الاول
غير نافع على اضمار مبتداء او خبر اى فامره او فله غفرانه **وَكَذَلِكَ** ومثل ذلك التفصيل
الواضح **نُفَصِّلُ الْآيَاتِ** ايات القران فى صفة المطيعين والمجرمين المصرين
منهم والاوابين **وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ** قراء نافع بالتاء ونصب السبيل
على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل
وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين
سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف
على مقدر اى نفصل الايات ليظهر الحق وليستبين **قُلْ إِنِّي نُهِيتُ** صرفت وزجرت
بما نصب لى من الادلة وانزل على من الايات فى امر التوحيد **أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ**
مِنْ دُونِ اللَّهِ عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها الهة اى تسمونها
قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع
عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى
وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد **قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا** اى ان اتبعت
اهواءكم فقد ضللت **وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** اى فى شىء من الهدى حتى اكون من
عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك **قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ** تنبيه على ما يجب اتباعه بعد
ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التى تفصل الحق من الباطل وقيل

المراد بها القران والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود
سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث
اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب
الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم
الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقض الحق اي القضاء الحق او يضع الحق ويدبره
من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل
بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من
قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي اي في
قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك
كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل وعنده
مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات
مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى
انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها و
تاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء
قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار
عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة
علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات
على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان
الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على
محل من ورقة او رفعا للابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل
ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال
الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم

فيه

فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق
البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر اجله
المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون
بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل
وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور
في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى
الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب
عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف
سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين
عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة
توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى
لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم
الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح
الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق
في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات
البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال
الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر
والغرق في البحر وقرا يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا
وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي تقولون لئن انجيتنا وقرا
الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه الا ان حمزة والكسائي اماله وهذه اشارة

الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن
كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد
وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله تعالى
فكانه لم يعبده رأسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم
كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق
فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم
سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء
شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت
لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف
الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب
او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل
بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ
لكل نبأ خبر يريد انباء العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع
وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا والآخرة واذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن
واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن
عامر ينسّينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين
اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء
موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين الذين
يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم
ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من
القبائح ويظهروا كراهتها يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى

ولا يجوز

ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من
لا يزاد بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم
ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا
ينثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم
نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا و
آجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا
ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب
والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم
كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف
عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقرآن
ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل
الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل
الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي
ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية
لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند
الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين
ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقايدهم الزايغة
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم
بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم قل اندعو انعبد من
دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا
ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي
استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى

يهوى هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين الذى استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته **فى الارض حيران** متحيرا ضالا عن الطريق **له اصحاب** لهذا المستهوى رفقة **يدعونه الى الهدى** الى ان يهدوه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر **ائتنا** يقولون له ائتنا **قل ان هدى الله** الذى هو الاسلام **هو الهدى** وحده وما عداه ضلال **وامرنا لنسلم لرب العالمين** من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة **وان اقيموا الصلوة واتقوه** عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان عبد الرحمن بن ابو بكر رضى الله تعالى عنهما دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق رضى الله تعالى عنه تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما **وهو الذى اليه تحشرون** يوم القيمة **وهو الذى خلق السموات والارض بالحق** قائما بالحق والحكمة **ويوم يقول كن فيكون قوله الحق** جملة اسمية قدم الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين قوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها **وله الملك يوم ينفخ فى الصور** كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **عالم الغيب والشهادة** اى هو عالم الغيب **وهو الحكيم الخبير** كالفذلكة للاية **واذ قال ابرهيم لابيه آزر** هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارح وقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه

او

او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه اعجمى فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر ثم قال **اتتخذ اصناما الهة** تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ ءازرا تتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم **انى اريك وقومك فى ضلال** عن الحق **مبين** ظاهر الضلالة **وكذلك نرى ابرهيم** ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية **ملكوت السموات والارض** ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم من الملك والتاء فيه للمبالغة **وليكون من الموقنين** اى ليستدل وليكون او فعلنا ذلك ليكون **فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى** تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه **فلما افل** اى غاب **قال لا احب الافلين** فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية **فلما راى القمر بازغا** مبتدأ فى الطلوع **قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين** استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال **فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى** ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث **هذا اكبر** كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم **فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون** من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها

ومخصص يخصصها بما يختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى
دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد
دلالته ولانه راى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه
قومه وخاصموه فى التوحيد قال اتحاجوني في الله فى وحدانيته وقرا نافع
وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون
به اى لا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي
شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن الهتهم وتهديد
لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد
ان يكون فى علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح
والفساد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون
انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع
بالصانع وتسوية بين المقدور والعاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم
سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق با
لامن اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه
ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
اولئك لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه
والمراد بالظلم ههنا الشرك روى ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا
لم يظلم على نفسه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه
يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان تصدق بوجود الصانع
الحكيم وتخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به
ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه
حجتنا اتيناها ابراهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل
خبر

خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اى اتيناها ابراهيم حجة على قومه نرفع درجات من
نشاء فى العلم والحكمة وقرا الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه
وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا
هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم
من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم اذ الكلام
فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم
اختص البيان بالمعدودين فى تلك الاية والتى بعدها والمذكورون فى الاية الثالثة
عطف على نوحا داود وسليمان وايوب ايوب بن اموص من اسباط عيصا بن
اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين اى ونجزى المحسنين
جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى
وعيسى هو ابن مريم وفى ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس
قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن فى الاية الاولى وقيل من
اسباط هرون اخى موسى كل من الصالحين الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان
بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرا حمزة
والكسائى والليسع وعلى القراءتين علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد
فى قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس
وهو يونس بن متى ولوطا وهو ابن هاران بن اخى ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين
بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم
عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم
فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم
الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا
به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اى ولو
اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم
عنهم

في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس
والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها
اي بهذه الثلثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا
بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب
النبي او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء
المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم
ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها
ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل على
انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج
ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف ويحذف
الهاء في الوصل خاصة حمزة والكسائي واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها
كناية المصدر وبكسر الهاء بغير اشباع برواية هشام قل لا اسألكم عليه اي
على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسئل من قبلي من النبيين
وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او القرآن او الغرض
الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه
حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء
حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط
او على الكفار وشدة البطش لهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم
اليهود وقالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم
بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور
تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو
عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتوراة وذمهم
على تجزيتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه

روى

روى ان مالك بن الصيف قال لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التورية
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم يبغض الحبر السمين
قال فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان
من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسانه ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما في التورية
وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص
على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن امن من قريش قل الله
اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره
على موسى لاغير
وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في
اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف
صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف
متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي
بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه
مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل القرى انزلناه وانما سميت
مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان
الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم
بالياء اي ولينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالاخرة
يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة
ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير
يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود
العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه
شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا

آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم اى يقولون لهم اخرجوا الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اى الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى اى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اى على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال عن الضمير في فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتموه منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للفصل والوصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي

وحفص

مفعول يقولون او وصف لمصدر محذوف اى قولا غير الحق مدارك

وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اى ذلكم المحيي والمميت هو الذي يحق له العبادة فأنى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدر وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى مجعولان حسبانا اى على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز العليم الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة بهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها

والمعنى جعلهما بحساب لا يجاوزانه

اليهما الملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو
افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا
فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة هي
آدم فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام
او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على
انه اسم فاعل والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون
الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها
ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين
احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل
من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب
به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات
الانواع المفتنة بماء واحد كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور
وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل
ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل
شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه
والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ
بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية
قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها
لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ
بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثمة جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان
اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب
على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان

اومن

اومن الجميع اي بعض ذلك غير متشابه وبعضه متشابه في الهيئة واللون والقدر و
الطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء
والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج
ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضجه
كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع
كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون
اي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع
المفتنة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم
تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه
ولا ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا
لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا
لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا
الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشياطين خالق
الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء
او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ بالرفع كانه قيل من هم
فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد
علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا
على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك
حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير
وقرئ وحرفوا اي وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير
ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر
اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع

السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم
ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام
فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد
اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء
للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء
عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفى الآية
استدلال على نفى الولد من وجوه الاول ان مبدعات السموات والارضين وهى مع
انها من جنس ما يوصف بالولادة مبراة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو
اولى بان يتعالى عنها والثانى ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين
والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو للوالد ولا كفو له لوجهين
الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك
غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله
ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا
او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع
هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اى وهو مع تلك
الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب
على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهى حاسة
النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع
الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الآية عاما فى
الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا فى الاشخاص فانه فى قوة قولنا لا كل
بصر تدركه مع ان النفى لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه
بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان
يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير

فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم
بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى
لها الحق وتبصرها فمن ابصر اى فمن ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها
ومن عمى عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو
الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم عليكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول وكذلك نصرف
الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة من الصرف
وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اى وليقولوا درست صرفنا واللام
لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل الكتاب
وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الآية وعفت كقولهم
اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة فى درست ودرست على البناء للمفعول
بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اى عفون ودرس اى درس محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ودارسات اى قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين
مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحى اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض
اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى متفردا فى الالوهية واعرض عن المشركين
ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما
يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد
ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم
بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى ولا تذكروا آلهتهم التى
يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على
جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا
وعداء وعدوانا روى انه عليه الصلوة والسلام كان يطعن فى آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب

الهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا
لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان مايؤدى
الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم
عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه
تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه
واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه
التحكم على الرسول في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم
ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها
بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها ان الآيات المقترحة اذا جاءت
لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه
على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل
اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم
ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في
ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها
اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم يكن مطبوعة
كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم
عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم
فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم في
طغيانهم يعمهون ندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم
على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا ~~فقالوا فقالوا~~
فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل
بمعنى كفيل اي كفلا بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر

اي قبيلا قبيلا بمعنى فوجا فوجا

الجزء ٨

بمعنى

بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وجه انما
جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء
من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال من الاحوال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة
واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله
جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل
يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في
ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك
عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن
مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل
متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة
من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه
اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او
الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى
اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون
ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت
لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه ظاهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه
وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما
على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا
من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف
به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل
بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر
الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تاييد لدلالة الاعجاز

على ان القران حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام
لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم
فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل
بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به
فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول لخطاب الامة
وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري
فيه وتمت كلمات ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار و
المواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل
لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شايعا ذايعا كما
فعل بالتورية على ان المراد بها القران فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او
لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم
او القران وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في
الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك
عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال
ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم واراءهم الفاسدة فان
الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه
كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون
انهم على شيء وحقيقة الخرص ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل
دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر
يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر
او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته
ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات

لا بالغير

لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال
ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه
ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله واجتناب ما حرمه وما لكم الا
تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل
لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل
على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه
مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال
قراه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل
يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر
الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان
ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد
مثله وقال مالك والشافعي رح بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله
عليه وفرق ابو حنيفة رح بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله
وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه
لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم
تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم
في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد
اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات
يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرا نافع ويعقوب ميتا على
الاصل كمن مثله صفة وهو مبتدا خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن
في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين

من ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل
وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا
فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على
تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل
بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص
الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم
وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله
يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال تزاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا ككرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل
رسالته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية
يخص الله تعالى بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان
الذي فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل
وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا
يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه
للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة
للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام حين سئل عنه فقال
نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم
الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف
ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح بالمصدر كانما يصعد
في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما
يبعد عن الاستطاعة ونبه على ان الايمان يمتنع عنه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كانما
يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقرئ به

وقراء

وقراء ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد
قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع
الظاهر موضع الضمير للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام او الى
ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي
اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر
هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد
حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة
من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها
غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها
فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن
يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني
الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم
فحشروا معكم كقوله استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم
ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به
اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا
يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون
على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة
الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم
او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان
جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي تنقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما
شاء الله قبل الدخول كانه قيل مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم
باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل

بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا
يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة
لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يخرج من
الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من الجن رسل الرسل
اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر
واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رايهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا
عن الاخرة بالكلية كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام
للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتداء
محذوف اى الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان
مصدرية او مخففة من الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك
القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل
من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها
وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقراء
ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة
يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من
الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله ان يشا يذهبكم
اى ما به اليكم حاجة ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق
كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم انما توعدون
من البعث واحواله لات لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم
وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقراء ابو بكر عن عاصم مكاناتكم
بالجمع

بالجمع في كل القران وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل على ما كنت عليه
من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في التوعد كان المهدد
يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد لا ياتي
منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان يتقصى عنه فسوف تعلمون من تكون
له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله
لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون
اى فسوف تعرفون الذي تكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب
وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرء حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة
غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة
وجعلوا اى مشركوا العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا
لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله
فهو يصل الى شركائهم روى انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه
الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لالهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها
ثم ان راوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لالهتهم وان راوا ما لالهتهم ازكى تركوه لها
حبا لالهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه
جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الازكى له وفي قوله بزعمهم تنبيه
على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقراء الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة
فيه وقد جاء بالكسر ايضا كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل
ذلك التزيين في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد
ونحرهم لالهتهم شركاؤهم من الجن او السدنة وهو فاعل زين وقراء ابن عامر زين
على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه
مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها
بمزجة زج القلوص ابي مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم

القلوص من النوق الشابة وهي بمنزلة الجارية من النساء

ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا
عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان
يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة
ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان
جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه
اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح ويستوى
فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى مضيق لا يطعمها الا
من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام
حرمت ظهورها يعنى البحاير والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله
عليها فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها
افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف
هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما
كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما فى بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحاير
السوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث
ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتأ
تانيث الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر ابن عامر
فى تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة
كما فى راوية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر
مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى ذكورنا ولا من الذكور
لانها لا تتقدم على العامل المعنوى وعلى صاحبه المجرور وقرئ خالصا بالرفع والنصب و
خالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتداء ثان والمراد به ما كان حيا
والتذكير فى فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب سيجزيهم اى جزاء
وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم

الكذب

الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا
يقتلون بناتهم مخافة السبى والفقر وقرا ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد لمعنى التكثير
بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال
او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحاير ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه
المذكورة فى مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذى انشا جنات
من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض
وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت فى البرارى والجبال
والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع و
الباقى مقيس عليه او للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للمجموع على تقدير
اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون
والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادها فى اللون والطعم ولا يتشابه
بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل
فائدته رخصة المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده يريد
به ما كان يتصدق يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية
وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر
عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرا ابن كثير ونافع وحمزة
والكسائى حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا فى التصدق كقوله ولا تبسطها
كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضى فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف
على جنات اى وانشاء من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من
شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش
المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان
فى التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة و
فرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة

او متعددة والزوج ما معه اٰخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاوّل
من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان
على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ
بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب او حارس وحرس وقرئ معزى
قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين
والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا
كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك ان كنتم
صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم
ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله
حرم الاجناس الاربعة ذكرا وانثى او ما يحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون
ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها
ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا
التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون
لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما
يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان
يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء
ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي
الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم
خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث
او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له

موضحة

موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له
من اهل وهو عطف على ان يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون
فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد
قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد
فيما اوحي اليه الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء اخر
فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع
الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع
والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن
الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب
وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما
او الحوايا او ما اشتملت على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية
كسفينة وسفاين وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط
بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم
ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك
فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه يمهل ولا
يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة على
المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه
على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين
اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا
ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهديكم اجمعين
لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار
عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة
ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب في ان الله منع

من الشرك ولم يحرّم ما حرّموه كذب من قبلهم الرسل وعطف اباؤنا على الضمير
فى اشركنا من غير تاكيد للفصل بلا حتّى ذاقوا بأسنا الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم قل
هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج على ما زعمتم به فتخرجوه لنا فتظهروه
لنا ان تتبعون الا الظنّ ما تتبعون فى ذلك الا الظنّ وان انتم الا تخرصون تكذبون
على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظنّ سيّما فى الاصول ولعلّ ذلك حيث يعارضه
قاطع اذ الاية فيه قل فلله الحجّة البالغة البيّنة الواضحة التى بلغت غاية المتانة
والقوّة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحّة دعواه وهى من الحجّ بمعنى القصد كانّها
تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن
شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلمّ شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرّف
عند اهل الحجاز وقيل يؤنّث ويجمع عند بنى تميم واصله عند البصريّين ها لمّ من لمّ اذا قصد
حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانّه الاصل وعند الكوفيّين هل امّ فحذفت الهمزة
بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لانّ هل لا يدخل الامر ويكون متعدّيا كما فى الاية ولازما
كقوله هلمّ الينا الذين يشهدون انّ الله حرّم هذا يعنى قدوتهم فيه استحضرهم
ليلزمهم الحجّة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانّه لا متمسّك لهم كمن يقلّدهم ولذلك قيّد
الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد معهم
فلا تصدّقهم فيه وبيّن لهم فساده فانّ تسليمهم موافقة لهم فى الشهادة الباطلة
ولا تتّبع اهواء الذين كذّبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انّ مكذّب
الايات متّبع الهوى لا غير وانّ متّبع الحجّة لا يكون الا مصدّقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة
كعبدة الاوثان وهم بربّهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالى واصله
ان يقوله من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتّسع فيه بالتعميم اتل اقرأ ما حرّم ربّكم
منصوب باتل وما تحتمل الخبريّة والمصدريّة ويجوز ان يكون استفهاميّة منصوبة بحرّم
والجملة مفعول اتل لانّه بمعنى اقل اى شئ حرّم ربّكم عليكم متعلّقة بحرّم او اتل
ان لا تشركوا به اى لا تشركوا ليصحّ عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسّر بما حرّم

فانّ التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلّها النصب بعليكم
على انّه للاغراء او البدل من ما او من عائده المحذوف على انّ لا زائدة او الجرّ بتقدير اللام او الرفع
على تقدير المتلوّ ان لا تشركوا او المحرّم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر او المفعول وبالوالدين
احسانا اى واحسنوا بهم احسانا ووضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة
على انّ ترك الاساءة فى شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل
فقر ومن خشيته لقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون
لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن
بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التى حرّم الله الا بالحقّ
كالقود وقتل المرتدّ ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصّلا وصّاكم به بحفظه لعلّكم
تعقلون ترشدون فانّ كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن
الا بالفعلة التى هى احسن بماله كحفظه وتثميره حتّى يبلغ اشدّه حتّى يصير بالغا وهو
جمع شدّة كنعمة وانعم او شدّ كصرّ واصرّ وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان
بالقسط بالعدل والسويّة لا نكلّف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره
عقيب الامر بالايفاء معناه انّ ايفاء الحقّ عسر فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه معفوّ عنكم
واذا قلتم فى حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوى
قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم
وصّاكم به لعلّكم تذكّرون تتّعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائى تذكرون بتخفيف الذال حيث
وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وانّ هذا صراطى مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر
فى السورة فانّها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوّة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائى انّ
بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون مشدّدة بتقدير اللام
على انّه علّة لقوله فاتّبعوه وقرأ ابن عامر بفتح الياء وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربّكم وهذا صراط
ربّك ولا تتّبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فانّ مقتضى الحجّة واحد
ومقتضى الهوى متعدّد لاختلاف الطبايع والعادات فتفرّق بكم فتفرّقكم وتزيلكم عن سبيله

الذي هو اتباع الوحي واقتضاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال و
التفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او
للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى
الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على كل من احسن القيام به ويؤيده
ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي
اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا
لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما للعلة
والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه
الجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون
باتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على
طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور ح
من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة
خبر كان اي انه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او
تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة
افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد
جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل
به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض
او صد عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته
بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة
وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين
الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي
ربك اي امره بالعذاب او كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله او يأتي بعض

آيات

آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف
علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما تتذاكرون فقلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم
حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب
وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول
عيسى ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار
الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن
آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع
الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر
الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على
اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم
تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون
وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان
الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه السلام افترقت
اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة والنصارى على ثنتين وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها
في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل ذي
فرقة اماما لست منهم في شيء من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء
منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم
ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات
امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل
ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد
بالعشرة الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل
وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم

حذفت الحسنات واقيمت الامثال التي هي صفتها مقامها

بالوحي والارشاد الى مانصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا
لقوله ويهديك صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من
قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه
قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا
حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي
كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان
والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات
انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين
لا شريك له خالصة له لا شريك فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا
اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا
فاشركه في عبادته وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء
حال في موقع العلة للانكار ودليل له اي وكل ماسواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية
ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك
ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي
وتبيين الحق من الباطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء
الله في ارضه يتصرفون فيها على الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب
للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما اتاكم
من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو ات قريب او لانه يسرع اذا اراده
وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم
اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات
معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله تعالى

عليه

لاشريك فيها غيره خ

عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح
والتهليل والتحميد فمن قرأ الانعام صلى الله عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك
بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة الاعراف مكية الا ثمان ايات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا الجبل وقيل الا قوله واعرض
عن الجاهلين بسم الله الرحمن الرحيم واياتها مائتان وخمس او ست اية

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد
به السورة او القران انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان
الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام
بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب
وكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك ولتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن
لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام
بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى
فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر لمحذوف
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القران والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه
لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا
قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة
وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن
عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على الخطاب بعد مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها
فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم
قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا
لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي
فصيح

وفى التعبيرين مبالغة فى غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين
ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجئ العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم
اى دعاؤهم واستغاثتهم او ماكانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان
قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه
فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن
المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى
فى قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون هو سؤال الاستعلام او الاول فى موقف الحساب
وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا
انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين
بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شئ
من احوالهم والوزن اى القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على
ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا
للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم ويشهد بها
جوارحهم ويؤيده ماروى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون
سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى
كفة والبطاقة فى كفة وطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص
لما روى انه عليه السلام ليأتى العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة
يومئذ خبر مبتدأ الذى هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه هو
العدل السوى فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه
باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك
هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين
خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ما عرضها
للعذاب فيكذبون بدل التصديق بما كانوا باياتنا يظلمون ولقد مكناكم فى الارض
فيكذبون بدل التصديق
اى مكنا

اى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون
بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون
فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور
ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم
بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم قلنا لتاخير الاخبار
فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد
اى ان تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على
ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مضطر الى خلافه وكانه قيل ما اضطرك
الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه
جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه
قال المانع انى خير منه ولا يحسن بالفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به
فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتنى من نار وخلقته
من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل
عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير
واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين
وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بالسجود لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص
ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة
خلق الانسان الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها
من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصى فانها مكان الخاشع المطيع
وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد
عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه
الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرنى الى يوم يبعثون امهلنى الى يوم القيمة فلا تمتنى او لا
تعجل عقوبتى قال انك من المنظرين يقتضى الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على

ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله تعالى انتهاء
اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد و تعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني
اى بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باى طريق يمكنني بسبب اغوائك اياى بواسطتهم
تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف
لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع
للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق
الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من جميع الجهات الاربع
مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اى وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع
ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه
ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة
ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل
ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث
لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة تيسر لهم ان يعلموا
ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف
الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف
عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين
مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر
متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذءوما مذءوما
من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما
مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملان
جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ بكسر اللام على انه
خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف
ومعنى

ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى الشجرة
وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من
الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس
لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة
والخشخشة ومنه وسوس الحلي وسوسة وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي
لهما اى يظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف
عورتهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج
من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما
من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة
همزة في المشهور كما في قلبت في أويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما
بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما
نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على
الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في
ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة
وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما
على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه
بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل
من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء
ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف
بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اى فلما وجدا
طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت عنهما لباسهما
اى تساقط

فظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان
اللباس كان نورا او حلة او ظفرا فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان اخذا يرقعان
ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان
من اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان
وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين
عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي
للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغاير معاقب عليها ان لم يغفر و
قالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة
المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا
الخطاب لادم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر
عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اى متعادين ولكم في الارض
مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى ان تنقضي آجالكم قال فيها
تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا اى
خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله
وانزلنا الحديد يواري سواتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق
روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها
فنزلت ولعله ذكر قصة ادم مقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب
الانسان من الشيطان وانه اغويهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون
به والريش الجمال وقيل مالا ومنه يرش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش
كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل
لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفة كانه قيل ولباس
التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي لباس بالنصب عطفا على لباسا

ذلك

ذلك اى انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون
نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان لا يمتحننكم
بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما
منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيكم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب
انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله
جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا
انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم
عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية
واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض
عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لانه عادته تعالى
جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل
بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم
ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم
فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى
الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون
انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر
المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين
غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه
وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تاخروها حتى تعودوا الى مساجدكم
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم
ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها

والقدرة عليها وقيل بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة تعودون
وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم
الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اى وخذل فريقا
انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق ضلالتهم
ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطى والمعاند سواء فى استحقاق الذم
وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر يا بنى آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم
عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة و
فيه دليل على وجوب ستر العورة للصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روى ان بنى عامر
فى ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم
المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط الطعام
والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف
ومخيلة فقال على بن الحسين بن واقد جمع الله تعالى الطب فى نصف اية فقال كلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اى لا يرتضى فعلهم قل من حرم زينة الله
من الثياب وسائر ما يتجمل به التى اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان
كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب
وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام
فى من للانكار قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها
فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرا نافع بالرفع على انها
خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام
لهم قل انما حرم ربى الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها
وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر
والبغى الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغى مؤكد له معنى وان
تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل

وهو الزنا سرا وعلانية وقيل الطواف عريانا ليلا ونهارا ع

عليه

عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا
بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم
انقضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اى لا يتاخرون
ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التقدم والتاخر لشدة الهول يا بنى آدم اما ياتينكم رسل
منكم يقصون عليكم آياتى شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز
غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون
وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح
عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد
والمسامحة فى الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله
ما لم يقله وكذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال
وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم
وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهى التى يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما كنتم
تدعون من دون الله اى الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين فى خط المصحف وحقها الفصل
لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم
كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اى قال الله لهم يوم القيمة فى امم قد خلت من قبلكم اى
كائنين ~~او احد من الملائكة~~ فى جملة امم مصاحبين لهم يوم القيمة من الجن والانس يعنى كفار الامم
الماضية من النوعين فى النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اى فى النار لعنت اختها التى ضلت
بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا تداركوا وتلاحقوا فى النار قالت اخراهم دخولا او
منزلة وهم الاتباع لاولاهم اى لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا
سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال
لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون
ما لكم او ما لكل فريق وقرا عاصم برواية ابى بكر بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم

الدنيا اعترفوا حين لا ينفع لهم الاعتراف

فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخريهم ورتبوه عليه اى
وقد ثبت ان لافضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا
العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا باياتنا
واستكبروا عنها اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم
كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتانيث الابواب
والتشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التانيث غير
حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للايات
وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى
يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة
الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما يوقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل
كالنصب والجمل كالقفل والجمل كالحبل وهى الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة
وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك
مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش
اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش
على الغاء المحذوف وكذلك نجزى الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى
اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة
والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين امنوا وعملوا الصالحات لا
نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه
وتعالى فى ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره
للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف
نفس ونزعنا ما فى صدورهم من غل اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه
حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن على رضى الله تعالى عنه انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم تجرى من تحتهم الانهار زيادة فى لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله

الذى

الذى هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لولا هداية الله
وتوفيقه واللام لتاكيد النفى وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا بغير
واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون
ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الاخرة ونودوا
ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم
تعملون اى اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر
والجنة صفة تلكم وان فى المواقع الخمسة هى المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعد
كم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث و
الحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرا الكسائى حيث وقع بكسر العين وهما لغتان فاذن
مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
وقرا ابن كثير فى رواية البزى وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد والنصب
وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله
صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه
والعوج بالكسر فى المعانى والاعيان ما لم يكن منتصبة وبالفتح فى المنتصبة كالحائط
والرمح وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب اى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب
بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف
وعلى اعراف الحجاب اى اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف
الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه يكون لظهوره اعرف من غيره رجال طائفة
من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله فيهم ما يشاء
وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون
فى صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التى اعلمهم

الله بها كبياض الوجه وسواده فعلاء من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على
القلب كالجام من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة **ونادوا اصحاب**
الجنة ان سلام عليكم اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم **لم يدخلوها وهم يطمعون**
حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه **واذا صرفت ابصارهم تلقاء**
اصحاب النار قالوا تعوذا بالله **ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** اى في النار **ونادى**
اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة **قالوا ما اغنى عنكم**
جمعكم كثرتكم او جمعكم المال **وما كنتم تستكبرون** عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون
من الكثرة **اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة** من تتمة قولهم للرجال والاشارة
الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم
الجنة **ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون** اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة
وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخر او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل
الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب
النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين
اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف
عليكم **ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء** اى صبوه وهو
دليل على ان الجنة فوق النار **او مما رزقكم الله** من سائر الاشربة ليلايم الافاضة
او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا **قالوا ان الله حرمهما على الكافرين** منعهما
عنهم منع المحرم عن المكلف **الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا** كتحريم البحيرة و
التصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح
بما لا يحسن ان يطلب به **وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم** نفعل بهم فعل الناسين
فنتركهم في النار **كما نسوا لقاء يومهم هذا** فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له
وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله **ولقد جئناهم**
بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة **على علم**

عالمين

عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بالعلم او مشتملا على
علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك
هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء **هل ينظرون** هل ينتظرون **الا تاويله** الا ما
يؤل اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد **يوم يأتي تاويله يقول**
الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي **قد جاءت رسل ربنا بالحق** اى قد تبين انهم
جاؤا بالحق **فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا** اليوم **او نرد** او هل الى الدنيا وقرئ بالنصب
عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين وعلى الثاني ان يكون
لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد **فنعمل غير الذي كنا نعمل** جواب الاستفهام
الثاني وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل **قد خسروا انفسهم** بصرف اعمارهم في الكفر **وضل عنهم**
ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم **ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض**
في ستة ايام اى في ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان
المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن ح وفي خلق السموات والارض الاشياء
مدرجا مع القدرة على ايجاده دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني
في الامور **ثم استوى على العرش** استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش
صفة لله بلا كيف والمعنى ان له استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار
والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير
الملك فان الامور والتدابير ينزل منه وقيل الملك **يغشي الليل النهار** يغطيه به ولم يذكر
عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل
ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة
على التكرير **يطلبه حثيثا** يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث
فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى
محثوثا **والشمس والقمر والنجوم مسخرات** بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف
على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر **الا له الخلق**

والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في
الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين
اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر
فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب
كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى اتخاذ الاجرام السفلية فخلق
جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار
والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين اى ما في جهة السفل في يومين ثم انشا
انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض
في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اى مع اليومين
الاولين لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم
لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر
من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو
فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه
متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل
الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به على ان
الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح
في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء
وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من
النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض
بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوى
خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا
لفرط رحمته ان رحمت الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به
الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اى امر قريب

اوعلى

او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين
القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة
والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر نشرا
بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر
في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان
وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر
بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان
الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت
اى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب
بمعنى السحائب سقناه اى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت اى لاجله او
لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح
وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول و
للظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى
الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النامية فيه
وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها
بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على
هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به
عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث اى كالحرة والسبخة
لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج
نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اى
يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا بالنصب على المصدر اى ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف
كذلك نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها
والاية مثل لمن تدبر الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتاثر لقد ارسلنا نوحا الى

اى مثل اخراج النبات من الارض بالماء نخرج الموتى من القبور يوم نفخة الصور ح

قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع
فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول
نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه
وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرا الكسائي غيره بالكسر على اللفظ حيث وقع اذا كان
قبل اله من التي تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
اي ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيمة او يوم نزول الطوفان
قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال
عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في
الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو
كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله تعالى ابلغكم رسالات
ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين
لبيان كونه رسولا وقرا ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع
معانيها كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث
وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم
به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها اوعجبتم
الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من
ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم
كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في اباءنا
الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون
بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل
وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين
معه وهم من امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام
ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في

معه

معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين
واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف
على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه
هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن
شالخ بن ارفخشد بن سام بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله
وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استانف به ولم يعطف
كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله
وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال الملأ الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم
من امن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث تركت دين
قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين
ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض
عن مقابلتهم بمثله كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي
قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرا ابو عمرو ابلغكم في الموضعين
في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم
او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى بحر عمان
خوفهم من عذاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا آلاء — وهو تعميم بعد تخصيص صحيح
الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا
لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك
به اباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان
اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني
فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال
قد وقع عليكم قد وجب او حق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس

عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام أتجادلونني في أسماء
سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اى فى اشياء سميتموها
الهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت
كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال اية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم
ان الاصنام تسمى الهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من
لا يؤبه بقوله اظهار بغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو
المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة
لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على
العناد نزول العذاب بكم إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين آمنوا
معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اى استأصلناهم
وما كانوا مؤمنين تعريض لمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا وبين من
هلك هو الايمان روى انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا
عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم
اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى بيت الله الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز
ومرثد بن سعد فى سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن
سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا
اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما
رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به
ثقل مقامهم فعلم القينتين ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا الغماما
فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال
مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه
عنا لا يقدم معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا
ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل

اختر

اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له
المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود
والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا وإلى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا
باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء
القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام
الى وادي القرى أخاهم صالحا صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن
ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة
الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على الحال
والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي آية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان
ولكم خبرا عاملا فى آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها او لانها جاءت من عند الله بلا وسائط او
اسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل في أرض الله العشب ولا تمسوها بسوء
نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة فى الامر وازاحة للعذر
فيأخذكم عذاب أليم جواب للنهي واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم
في الأرض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اى تبنون فى سهولها او من سهولة
الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون
بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون
بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين
استكبروا عن الايمان من قومه للذين استضعفوا اى للذين استضعفوهم واستذلوهم
لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان
للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء
قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذى هو نعم تنبيها على ان ارساله
اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال
قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل

ردًّا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم
للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم
صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم
الرجفة الزلزلة فاصبحوا فى دارهم جاثمين خامدين ميتين روى انهم بعد عاد عمروا
بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفى بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال
وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا
من اشرافهم فانذرهم فسألوه اية فقال اى اية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا
فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم
فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال
له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم
صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم
ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين من
الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة
وولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج
فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى
فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق
ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا
لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال لهم صالح ادركوا الفصيل عسى
ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال
لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم
يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين
ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت

قلوبهم

قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم
ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم
به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اى
وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتاتون الفاحشة
توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين
ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض
والجملة استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء
ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ فى
الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له او مصدر فى
موقع الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى
له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن
الانكار الى الاخبار عن حالهم التى ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهو اعتياد الاسراف فى كل
شئ او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل
انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
اى ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصيحته بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين
من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اى من الفواحش فانجيناه
واهله اى من امن به الا امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين
من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من
المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
روى ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسل الله تعالى
الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر عليهم
الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين
اى وارسلنا الى اهل مدين

اى فيكون بدلا من محل من احد اى ما سبقكم بها بعض العالمين اى انتم تفردتم بذلك ح

اخاهم شعيبا اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب ابن ميكيل بن يشجر
بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن
انها ما هى وما روى من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة
وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم على يده فى المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة
يحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اى آلة الكيل على الاضمار او اطلاق
الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال فى سورة هود اوفوا المكيال ووزن الميزان
ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم
وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا
مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد
ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة فى بل مكر
الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية
اما الزيادة مطلقا او فى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون
بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود
واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى فى شىء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن
يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق
وتصدون عن سبيل الله يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط
ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اى بالله او بكل
صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم
وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل
الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم
فكثركم بالبركة فى النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا
بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا

حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد
للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم
فى الكفر وشعيب لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة
على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله قال اولو كنا كارهين
اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا فى حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا
قد اختلقنا عليه ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد
افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل قد عليه لتقريبه من
الحال اى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين
لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما
يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل
على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم فى العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا
كل شىء علما اى احاط علمه بكل شىء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا فى ان يثبتنا
على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضى
والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل
من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من
قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات
ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم
الرجفة الزلزلة وفى سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا فى دارهم
جاثمين اى فى مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كان لم يغنوا فيها اى استؤصلوا كان
لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه و
اتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف
بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم

الجزء ٦

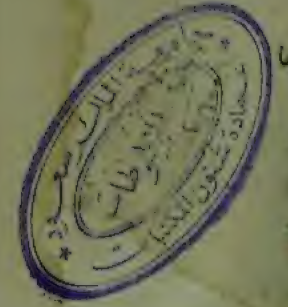
قال تأسفاً بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين
ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم
والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي
فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا
اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم
بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة
والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه
اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله تعالى ونسيانا لذكره واعتقادا
بان عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم
بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب قبله ولو ان اهل القرى المدلول عليها بقوله
وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل
المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا
يكسبون من الكفر والمعاصي أفأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت
بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا أوأمن
اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى
ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط
الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم أفأمنوا مكر الله تقرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله
استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها
اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى تبين ان لو

نشاء

نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو
فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه أولم يهد اي
يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى
وطبعنا لانه في سياقة جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم و
اعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى
خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص
عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما
كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين
على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم
قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان
لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض او
لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى
بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ
لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند
الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم
رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملئه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان
الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر
ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق
على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره
لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرأ نافع فقلب لامن الالباس

كقوله ٭ وتشقى الرماح بالضيا طرة الحرم ٭ او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق فى الوصف
بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلى ناطقا به
او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس
وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابى بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول **قد جئتكم ببينة**
من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسة التى هى
وطن ابائهم فكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال **قال ان كنت جئت باية** من عند
من ارسلك **فات بها** فاحضرها عندى ليثبت بها صدقك **ان كنت من الصادقين** فى الدعوى
فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك فى انه ثعبان وهو الحية العظيمة
روى انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث
وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك
بالذى ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه فصار عصا **ونزع يده**
من جيبه او من تحت ابطه **فاذا هى بيضاء للناظرين** اى بيضاء بياضا خارجا عن العادة
يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء فى جبلتها روى انه كان ادم شديد
الادمة فادخل يده فى جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها
شعاع الشمس **قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم** قيل قاله هو واشراف
قومه على سبيل التشاور فى امره فحكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا **يريد ان
يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون** تشيرون فى ان نفعل **قالوا ارجه واخاه و
ارسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم** كانه اتفقت عليه اراؤهم فا
شاروا به الى فرعون والارجاء التاخير اى اخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر و
يعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على الاصل
فى الضمير او ارجهى من ارجيت كما قرأ نافع فى رواية ورش واسمعيل والكسائى واما
قراءته فى رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وقرأ حمزة وعاصم

وحفص



وحفص اوجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل فى الاسكان وسيطه واما
قراءة ابن عامر برواية ذكوان ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر
الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجريها
وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار فيه وفى يونس ويؤيده اتفاقهم عليه فى الشعراء **وجاء السحرة
فرعون** بعد ما ارسل الشرط فى طلبهم **قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين**
استانف به كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم
ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم **قال نعم
وانكم لمن المقربين** عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم
قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للادب
او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم فى ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما
هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك **قال القوا**
كرما وتسامحا وازدراء بهم ووثوقا على شانه **فلما القوا سحروا اعين الناس** بان خيلوا
اليها ما الحقيقة بخلافه **واسترهبوهم** وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم **وجاؤا
بسحر عظيم** فى فنه روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادى
وركب بعضها بعضا **واوحينا الى موسى ان الق عصاك** فالقاها فصارت حية **فاذا هى تلقف
ما يأفكون** اى ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوز ان يكون
ما مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعها باسرها
اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا
كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم
تلقف هنا وفى طه والشعراء **فوقع الحق** فثبت لظهور امره **وبطل ما كانوا يعملون**
من السحر والمعارضة **فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين** صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا
الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه **والقى السحرة ساجدين** جعلهم
ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق

لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر
موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا امنا برب العالمين
رب موسى وهارون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون
امنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقراء حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم
وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقراء حفص امنتم به على الاخبار
وقراء قنبل قال فرعون وامنتم يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واو مفتوحة ويمد
بعدها مدة في تقدير الفين وقراء في طه على الخبر بهمزة والف وقراء في الشعراء على الاستفهام
بهمزة ومدة مطولة في تقدير الفين وقراء الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية
قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة
في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل
فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل
انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله
ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك
او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى
او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان امنا بايات
ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه
طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله تعالى فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا
كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا
مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم
لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا
او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء

على

على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استيناف
او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن والهتك معبوداتك
قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم
الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا
نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون
والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقراء ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون
غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا
قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم
وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير
لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على
اسم ان واللام في الارض يحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا
بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم
ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع
لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن
داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان
ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار
والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويورخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت
القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان
ذلك بشوم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا
فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها
وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون ما
اصابتنا الا بشومهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب
وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الايات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عتوا

عتوا وانهما كالفى الغى وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التى ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصله ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وما الجزائية للتاكيد ثم قلبت الفها هاء ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اى ايما شئ تحضرنا باتيانه من اية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير فى به وبها لما ذكره قيل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل هو اولاد الجراد قبل اجنحتها والضفادع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعى فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعى وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع فى اطعمتهم وتدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمتصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم

وبعث

وبعث الى قدورهم وهى تغلى وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعى فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناء فيكون ما يليه دما وما يلى الاسرائيلى ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعنى العذاب المفصل او الطاعون الذى ارسل الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذى عهد اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك فى اياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم فى اليم اى البحر الذى لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعنى ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها التى باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك

لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا واخربنا ما كان يصنع فرعون

وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيات

كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم وهذا اخر قصة فرعون وقومه

وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان

من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الايات العظام تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

عما راى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى

ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشورا بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا

عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان

العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرا حمزة والكسائي يعكفون

بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم الهة يعبدونها وما كافة للكاف

قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الايات

الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم

الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان

قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم

فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان

الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا

قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم

لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم

يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من ال فرعون

واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرا ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استيناف لبيان

ما انجاهم او حال من المخاطبين او من ال فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم

بدل منه مبين وقرا نافع يقتلون بفتح الياء واسكان القاف وضم التاء مخففا وفي ذلكم بلاء

من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة

ذا القعدة

ذا القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه

اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك

فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون ويذرون فلما هلك سال ربه فامره بصوم ثلثين فلما اتم

انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره

الله تعالى ان يزيد عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر

وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح

من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك

اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا

وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام

من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب ارني انظر

اليك ارني نفسك بان تمكنني من رويتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته

تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله و

لذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته

لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة

خطاء اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل

لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على

استحالتها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا

فضلا من ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال

لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين

به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن

والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل

اعطى له حياة ورؤية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق

وقرا حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا

جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال تعظيما لما رأى سبحانك
تبت اليك من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين من تغيره وقيل
معناه انا اول من آمن بانك لا ترى فى الدنيا قال يا موسى انى اصطفيتك اخترتك على الناس
اى على الموجودين فى زمانك وهارون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب
شرع برسالاتى يعنى اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتى وبكلامى وبتكليمى اياك
فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روى ان سؤال الرؤية
كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له فى الالواح من كل شئ مما يحتاجون اليه من
امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شئ بدل من الجار والمجرور اى كتبنا كل شئ من المواعظ وتفصيل
الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر
او صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى عليه السلام فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها التورية
او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح او لكل
شئ فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا باحسنها اى
باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب و
الحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من
غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم
الصيف احر من الشتاء ساوريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها
او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم فى الآخرة وهى جهنم وقرئ
ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم ساصرف
عن آياتى المنصوبة فى الآفاق والانفس الذين يتكبرون فى الارض بالطبع على قلوبهم
فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون
فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم
الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال عقلهم
بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه

سبيلا

سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائى بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثتها لغات
كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا
وكانوا عنها غافلين اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب
ذلك على المصدر اى ساصرف ذلك الصرف بسببها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اى
ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله فى الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون
الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده اى من بعد ذهابه للميقات
من حليهم التى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى
ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرأ حمزة والكسائى بالكسر بالاتباع
كدلى ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من ذهب خاليا من الروح
ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ العجل القى فى فمه من تراب
اثر فرس جبرئيل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت وانما
نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار
اى صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم
بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى
حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اى اتخذوه الها وكانوا ظالمين
واضعين الاشياء فى غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط فى ايديهم
كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها و
قرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم فى انفسهم ورأوا
وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التورية لنكونن
من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه
غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتمونى من بعدى
بئسما فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامى فلم تكفوا العبدة و
الخطاب لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن فى بئس والمخصوص

و كلام ولا على صح

ويعزلنا بالتجاوز عن الخطيئة صح

بالزم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي
من بعد انطلاقي او من بعد ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه أعجلتم أمر ربكم اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او
اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم
بعد انبيائهم وألقى الألواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي
ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها
وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام وأخذ برأس أخيه بشعر
راسه يجره إليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا
لينا ولذلك كان احب منه الى بني اسرائيل قال ابن أم ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي
فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في
التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم
التقصير في حقه والمعنى بذلت في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا
تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين
معدودا في اعدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولأخي
ان فرط في كفهم ضمه اليه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وأدخلنا في
رحمتك لمزيد الانعام علينا وأنت أرحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا إن الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة
الدنيا وهو خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله تعالى ولا فرية
اعظم من فريتهم وهي قولهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعد
هم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا
واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة إن ربك من بعدها من بعد التوبة
لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن

وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هارون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من
حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالامر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت
وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى او اخوه او الذين تابوا أخذ الألواح التي القاها
وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى المفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي
من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون
دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون
معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا
لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار
من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر
من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل
موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا
اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا
منها قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما راى
او بسبب اخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم
في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك
أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل
المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى عليه السلام لميقات التوبة عنها فغشيتهم
هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى
وبكى ودعا فكشفها الله تعالى عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في
الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع
المخائل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه أنت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة
ما قارفنا وارحمنا وأنت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه
الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا اليك

من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل
وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه
على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت
كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الاخرة او فاكتبها
كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لانافتها
ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون
الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون
بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة
الى الله تع ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال
علمه مع حاله احد معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسمه وصفته
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم
ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم
والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص
في العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطية وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه
اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه
بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه
اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف
الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع
النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة
الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل
الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل
بينهما بما هو متعلق بالمضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره

لا اله

لا اله الا هو وهو على الوجه الاول بيان للجملة قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي
يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي
يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة
الجنس او القرآن او عيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه
وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفة الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم
تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه
فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني من بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون
الناس محقين او بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على
الايمان العاملون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن
تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل
الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم
هم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه
متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع
او تمييز له على ان كل واحدة اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين
واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا
الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست
اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن
مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم
وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا
لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره
في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس
وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثلها في البقرة معنى غير
ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره

موضع شربهم من العيون

ثم او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب
وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة
عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في
مقابلة ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطياتكم
بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو خطاياكم وقرا ابن عامر خطيئتكم
بالهمزة ورفع التاء من غير الف على التوحيد وقرا نافع كذلك الا انه على الجمع فبدل الذين
ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون
مضى تفسيره فيها واسئلهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو
من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون لك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها
وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور
على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود
الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل
الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدّون واصله
يعتدون ويعدّون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا
فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا
عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه
ويؤيد الاول ويوم اسباتهم وقولم ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت
ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه
ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون
مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل
اتيانهم يوم السبت واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية
يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما
الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان

والباء متعلق بيعدون صوابه بنبلوهم فالباء سببية وما مصدرية اي نبلوهم بسبب فسقهم خ

قالوه

قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم
او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة وقيل من القرية الهالكة اجابوا به
وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر
الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب على المصدر او
العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ الياس لا يحصل
الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا
الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله تعالى بعذاب
بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن
عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ فخفف عينه بنقل حركتها
الى الباء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلب في ذيب او على انه فعل الذم وصف
به فجعل اسما وقرئ بيِّس كريِّس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبَيْس بالتخفيف كهين
وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما
نهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد
فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين
لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق
فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم
قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القردة تعرفهم فجعلت تاتي انسباءهم وتشم ثيابهم
وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن
ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على شيء يوذن
نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو
ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود
من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام

بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي
منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلعم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة
الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم
في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما
مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك
تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات
بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون ويرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين
خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شايع في الشر والخلف بالفتح في الخير
والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها
يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا
يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا
الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب
عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا
على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة
مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ
من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ
هؤلاء افلا تعقلون فيعلمون ذلك ولا يستبدلون الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد
وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا
الصلوة عطف على للذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر
المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع
وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل
فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كأنه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا

وتيقنوا

وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق
الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك لانهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها ورفع الله الطور فوقهم وقيل لهم
ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به
ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبايح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم
من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم
بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم اي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا
بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد
والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اي كراهة ان
تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل قوله او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو
كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل
المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله تعالى آدم اخرج من ظهره ذريته
كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث عمر رواه رضي الله تعالى عنه وقد
حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود
بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية
والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات
ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي
آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم
ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
حسده وكفر به او بلعم بن باعورا من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى فانسلخ
منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه

فكان من الغاوين فصار من الضالين روى ان قومه سألوه ان يدعو على موسى عليه السلام
ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحّوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه
ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها
ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء
قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد
تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب
على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط
معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول
ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله
عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب
كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما
سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوان لضعف فؤاده
واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا
في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة
والبيان وقيل لما دعا على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب
ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص اي القصص المذكورة على اليهود
فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا
القوم اي مثل القوم الذين وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين
كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون
داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم
او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم
المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون
تصريح بان الهدى والضلال من الله تعالى وان هداية الله تختص ببعض دون بعض

وانها

وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان
المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار عن هداه الله بالمهتدي تعظيم
لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه
المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني
المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر
في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها
الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع
للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها
تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا
كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله
الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه
بها فسموه بتلك الصفات وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين
فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه
او لا تبالوا بانكارهم ما يسمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم
فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا
توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ
حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين
عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة
الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزال
من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره
لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى
الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من

حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله تعالى بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى تحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم من جنة من جنون روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظره اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدل على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او خفيفة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فباي حديث بعده اي بعد القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقران وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ونذرهم في طغيانهم يعمهون بالرفع على الاستيناف وقراء ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال منهم يسألونك عن الساعة اي عن القيمة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله تعالى كساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض اوى الى الكل قل انما علمها عند ربي استاثر به لم يطلع عليه

ملكا مقربا

ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها الا هو والمعنى ان اخفاءها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكانه اشار الى الحكمة في اخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجاءة على غفلة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كانك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سال عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هي من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفي بالسؤال عنها تحبه من حفي بالشيء اذا فرح به اي انك تكرهه لانه من الغيب الذي استاثره الله تعالى بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو ادم عليه السلام وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليانس بها ويطمئن اليها اطمينان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشيها اي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى منه الحامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة فمرت به فاستمرت اي قامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف فاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت فصارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها

حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين
لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما
له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
يعني الاصنام وقيل لما حملت حوا اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله
بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لادم فهما منه ثم عاد اليها
وقال اني من الله تعالى بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه
عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدته سمته عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق
(اي اسم ابليس)
بالانبياء عليهم السلام ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان
له زوج من جنسها عربية قريشية وطلبا من الله تعالى الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم
عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين
بهما وقرا نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير
الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم
ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى اي الى الاسلام
لا يتبعوكم وقرا نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم
الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات
على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم
على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة
عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء
عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض
فقال ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم

آذان

آذان يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما
الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم
واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاؤكم
فلا تنظرون ~~يشبهون الناظرين اليك~~ لانهم فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله تعالى
وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى
ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم
ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل من عدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من
ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم
من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل
وجوب الزكوة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا
(تجادلهم)
تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم باستجماعها
واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء
(اي وسوسة)
غضب وفكرة والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء على المعاصي وازعاجا بغرز
السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك
فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة
الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة وهو اسم فاعل من طاف يطوف
(منهم)
كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرا ابن كثير وابو
(جاء وذهب)
عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع
ضميره تذكروا ما امر الله تعالى به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطا ومكايد الشيطان
فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اي واخوان الشياطين
الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرا نافع يمدونهم من امد وقرئ يمادونهم
(اي في الضلالة)
كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون

عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفون عن الغى ولا يقصرون كالمتقين
ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له
وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ من القران او مما اقترحوه قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا هلا جمعتها تقولا من نفسك
كسائر ما تقرأه او هلا طلبتها من الله تعالى قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي لست بمختلق للايات
او لست بمقترح لها هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ هذا القران بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ سبق تفسيره وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ نزلت فى الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ
يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القران مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به
من لا يرى القران على المأموم وهو ضعيف وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ عام فى الاذكار من القراءة
والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعى رحمه الله عليه
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً متضرعا وخائفا وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه
ادخل فى الخشوع والاخلاص بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال
وهو مصدر آصل اذا دخل فى الاصيل مطابق للغدو وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ عن ذكر الله تعالى
إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يعنى ملائكة الرفيق الاعلى لَا يَسْتَكْبِرُونَ اى لا يتعظمون عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيُسَبِّحُونَهُ وينزهونه وَلَهُ يَسْجُدُونَ ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره
وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الاعراف
جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ اى الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية
من الله تعالى وفضل كما سمى به ما شرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه

قل

قل الانفال لله والرسول اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله به وسبب
نزوله اختلاف المسلمين فى غنايم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا
سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردا لكم
وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم
الامام ان يفى بما وعد وهو قول الشافعى رحمه الله عليه وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قال لما كان يوم
بدر قتل اخى عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه واتيت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
واستوهبته منه فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل
اخى واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
سالتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وقرئ يسلونك علنفال بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها وقرئ يسلونك الانفال اى يسئلك الشبان ما شرطتهم
فاتقوا الله فى الاختلاف والمشاجرة **واصلحوا ذات بينكم** الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة
فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول **واطيعوا الله ورسوله** فيه **ان كنتم مؤمنين** فان الايمان
يقتضى ذلك او ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصى
واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان **انما المؤمنون** اى الكاملون فى الايمان **الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم**
فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال
له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرقت اى خافت
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين
بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية
بناء على ان العمل داخل فيه **وعلى ربهم يتوكلون** يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون
الا اياه **الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا** لانهم حققوا
ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح
التى هى العيار عليها الصدقة والصلوة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله

قل

هو عبد الله حقاً لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها
باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي
امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم
اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال
ثبت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها
مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال
اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها
اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل
عليه السلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال
فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول
عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد
المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا
اصابه شيء منها فحدثت بها اخاها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما نرضى رجالهم ان يتنبؤا
حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع
عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بوادي دفران فنزل عليه جبريل عليه السلام
بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما القريش واستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت
لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير مضت على ساحل البحر
وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض
فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك
الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا

حين

حين بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على
عدوهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه وقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا
بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع
والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان نلقى عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل
الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله
وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام
لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك
احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار
الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعدما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد
اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه
ايماء الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار
اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة
النفير لكثرة عددهم وعُددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق
الحق اي يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد بكلمته ويقطع
دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد
اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل
ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني
لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ
تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق على اضمار اذكر واستغاثتهم
انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث

المستغيثين وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه نظر الى المشركين وهم الف واصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك **فاستجاب لكم اني ممدكم** باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول **بالف من الملائكة مردفين** متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اى متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها **وما جعله الله** اى الامداد **الا بشرى** الا بشارة **لكم** بالنصر **ولتطمئن به قلوبكم** فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم **وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم** وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها **اذ يغشيكم النعاس** بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بالجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويغشاكم النعاس بالرفع **امنة منه** امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشيهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله تعالى لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك

فهو

فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة **وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به** من الحدث والجنابة **ويذهب عنكم رجز الشيطان** يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة **وليربط على قلوبكم** بالوثوق على لطف الله بهم **ويثبت به الاقدام** اى بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة **اذ يوحي ربك** بدل ثالث او متعلق بيثبت **الى الملائكة اني معكم** في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه **فثبتوا الذين آمنوا** بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله **سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب** كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولي هذا **فاضربوا فوق الاعناق** اعاليها التي هي المذابح او الرؤس **واضربوا منهم كل بنان** اصابع اى جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم **ذلك** اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد من المخاطبين قبل **بانهم شاقوا الله ورسوله** بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاندين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب **ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب** تقرير للتعليل او وعيد لهم بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا **ذلكم** الخطاب فيه مع الكفرة على طريق الالتفات ومحله الرفع اى الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه **فذوقوه** او غيره مثل باشروا او عليكم ليكون الفاء عاطفة **وان للكافرين عذاب النار** عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستيناف **يا ايها الذين آمنوا**

ای فاضربوا

٢٧٦

ای اعالیها التی هی المذابح او الرؤس
واضربوا منهم کل بنان صح

اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف
الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمّي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا
تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكم مخصوصة
بقوله حرض المؤمنين الاية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول اى اذا لقيتموهم
متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما
سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنى عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا
الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر
رضي الله تعالى عنهما انه كان فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول
الله نحن الفرارون قال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال
والا لغو لا عمل له او للاستثناء من المولين اى الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل
لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم
وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الاية وقيل
الآية مخصوصة باهل بيته والحاضرين معه فى الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم
بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم روى انه لما طلعت قريش من العقنقل قال
عليه الصلوة والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسئلك
ما وعدتنى فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان
تناول كفا من الحصباء فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل
بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر
فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم
بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر
عليه اذ رميت اى اتيت بصورة الرمى ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمى فاوصلها
الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى

وعلى

وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى
بالرعب فى قلوبهم وقيل انه نزل فى طعنة طعن بها ابى بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل
يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب لبابة بن ابى الحقيق على فراشه
والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده فى الموضعين
وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات
فعل ما فعل ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى
البلاء الحسن او القتل والرمى ومحله الرفع اى المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن
كيد الكافرين معطوف عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهّن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا
عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا
لمحاربته نعد لنصرته ولن تغنى ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار
ولو كثرت وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وانّ بالفتح على تقدير
ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم
النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما استأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا
اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغنى ح كثرتكم اذ لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع
الكاملين ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اى ولا تتولوا
عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه
على ان طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر
الذى دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكأنهم
لا يسمعون رأسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق

الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ اياه وعدّهم من البهائم ثم جعلهم شرّها لابطالهم ما ميّزوا به
وفضّلوا لاجله **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا** سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات **لَأَسْمَعَهُمْ**
سماع تفهم **وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ** وقد علم ان لا خير فيهم **لَتَوَلَّوْا** ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق
والقبول **وَهُمْ مُعْرِضُونَ** لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيّا فانه كان شيخا
مباركا حتى نشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا**
لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ بالطاعة **إِذَا دَعَاكُمْ** وحّد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تعالى تسمع من
الرسول وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرّ على ابيّ وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال
ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي اليّ استجيبوا لله وللرسول واختلف
فيه فقيل هذا لان اجابته لا يقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر
لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول **لِمَا يُحْيِيكُمْ**
من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حليته ٥ فذلك
ميت وثوبه كفن ٥ او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقايد والاعمال او
من الجهاد فانه سبب بقائهم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء
عند ربهم **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطّلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل
عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله تعالى
بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزايمه
ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى
شقاوته وقرئ بين المرّ بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل
مقام الوقف على لغة من يشدد فيه **وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** فيجازيكم باعمالكم **وَاتَّقُوا**
فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهر
هم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان
قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم وفيه

ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي
في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جنّ الظلام واختلط ٥ جاؤا بمذق هل
رايت الذيب قط ٥ واما جواب قسم محذوف لقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في
المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب
الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الثاني للتبيين وفائدته
التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ**
قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب
كافة فانهم كانوا اذلاء في يد فارس والروم **تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ** كفار قريش او من
عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم **فَآوَاكُمْ** الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون
به عن اعاديكم **وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ** على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر
وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ من الغنائم **لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** هذه النعم **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**
لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او
بالغلول في الغنائم وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم حاصر بني قريظة احدا وعشرين ليلة فسألوا
الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله
وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح
قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه
على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي
فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك
قال لا والله لا احلها حتى يأتي رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من
تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال صلى الله تعالى
عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفا التمام واستعماله

في ضدّ الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول
او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من
القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة
من الله تعالى ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر
عظيم لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها
الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل
او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات
او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بتّ
وافعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم
بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم
وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم والله ذو الفضل العظيم
تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم
عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر
قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله تعالى في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى
واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه
حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات
وليقيدوك او يقتلوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم
بسيوفهم او يخرجوه
فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ
وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال
ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه
منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال
بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن

غلاما

غلاما وتعطوه سيفا ويضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم
على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه
فاتى جبرائيل عليه السلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيّت عليا رضي الله تعالى عنه على مضجعه
وخرج مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه
او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم
فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يصلح للمزاوجة
ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو
اي المشاكلة صح
نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم
اليهم فانه كان قاصّهم وقيل هو قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عناد
هم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم
بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا
اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام هذا القائل ابلغ
في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويلك
انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب
اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على
ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي
يدعيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا
للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام
لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرهم
خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من
المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى

وماكان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم ان لا يعذبهم الله وما
لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد
الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين الى
الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم
وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء
ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند
اواراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت اى دعاؤهم او ما
يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر
وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية تصفيقا تفعلة من الصداء او من الصد على ابدال
احد حرفى التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام
لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته
روى انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها
ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يصلى يخلطون
عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعنى القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب
الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون
اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت فى
المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر
او فى ابى سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب
وانفق عليهم اربعين اوقية او فى اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر وقيل لهم
اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله تعالى
دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم فى تلك الحال
وهو انفاق بدر والثانى اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد

بهما

بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثانى لبيان عاقبته
وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير
حسرة وهى عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك
والذين كفروا اى الذين كفروا ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون
يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام
متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون فى عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
مما انفقه المسلمون فى نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرا حمزة و
الكسائى ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على
بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم
او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله فى جهنم كله اولئك اشارة
الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون فى الخسران
لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعنى ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم
ان ينتهوا عن معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالدخول فى الاسلام يغفر لهم ما قد سلف
من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر
فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين
كله لله ويضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير
فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما
تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم
ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعى اثابتهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم
للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم
نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم
اى الذى اخذتموه من الكفار قهرا من شىء مما يقع عليه اسم الشىء حتى الخيط فان لله

الجزء العا

خمسه مبتدا خبره محذوف اى فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على
ان ذكر الله للتعظيم كما فى قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة
المعطوفين وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانه قال
فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان
رضى الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمة الله تعالى
سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية وعن
مالك رحمة الله تعالى عليه الامر فيه مفوض الى رأى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية
الى ظاهر الاية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت
المال وقيل مضموم الى سهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب
لما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضى
الله تعالى عنهما هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ارايت
اخواننا من بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا فى اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم
وقيل جميع قريش الغنى والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل
وقيل الخمس كله والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم فالعطف للتخصيص
والاية نزلت ببدر وقيل كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام
لنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم امنتم بالله متعلق
بمحذوف دل عليه واعلموا اى ان كنتم امنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم
واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملى اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه
المقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الايات والملئكة
والنصر وقرئ عُبُدنا بضمتين اى الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين

الحق

لهم

الحق والباطل يوم التقى الجمعان يوم بدر فانه التقى المسلمون والكفار والله على كل شىء قدير
فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان
والعدوة بالحركات الثلث شط الوادى وقرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابى
عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه
قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا
من القصيا والركب اى العير او قوادها اسفل منكم فى مكان اسفل من مكانكم يعنى الساحل
وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة
العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلو مراكز
هم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم
عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا
بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد
اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم
ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة
فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضى الله امرا كان مفعولا
حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حى عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها
ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات
الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة
للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله فى علمه و
قضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيى بفك الادغام
للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل
الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله فى منامك قليلا
مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك

في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا
لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر في امر القتال وتفرقت اراؤكم بين الثبات والفرار
ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور
يعلم ما سيكون فيها وما تغير من احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن
مسعود رضي الله تعالى عنهما لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا
لرؤيا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه
اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم
كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم
ايات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا
الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض
مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به
او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك
وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها
لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا
الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون
تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء
عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان
لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف
الاراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذ
هب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذها
مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها
الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين

بالكلاءة

بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية
العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا
الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى
نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها
ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنون ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين
وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن
سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له على
تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر
اعمالهم في معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من
الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون
ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير
لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته
والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص
على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم
وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس
من حالهم لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت
ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك
الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجير لكم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان
يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون
ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه
ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان
وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اي اخافه ان يصيبني مكروها من الملائكة
او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن

واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا
اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمأنوا الى الايمان بعد وبقي في
قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غرّ هؤلاء
يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرّضوا لما لا قوى ويدى لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة و
بضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل
من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو
ترى ولو رايت فان لو يجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر
واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حالهم ح والملائكة فاعل يتوفى ويدل
عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله وهو مبتدا وخبره يضربون وجوههم
والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من
الملئكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم او استاههم ولعل المراد تعميم
الضرب اى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون
باضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع
من حديد كلما ضربوا التهب النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله
ذلك اى الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو
خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف عليه للدلالة على ان سببيته مقيدة
بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب
من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام
للتكثير لاجل العبيد كداب آل فرعون اى داب هؤلاء مثل داب آل فرعون وهو عملهم
وطريقهم الذي دابوا فيه اى داموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات
الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب
لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا
نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى الحال

اسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعاداة الرسول
ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الى غير ذلك
مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم
بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك يكون
فحذف الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا
وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم
فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم
بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني
لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغيير ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط
وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا
اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين
على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه مستدع تحقق
المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين
كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا
ومالؤا عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمن المعاهدة
معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته
ولا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم
وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم و
النكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد التفريق على اضطراب
وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد
من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما
تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح

اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد فى العداوة ولا تناجزهم فى الحرب فانه يكون
خيانة منك او على سواء فى الخوف او العلم بنقض العهد وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه
الاول اى ثابتا على طريق سوى او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا
يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة
الاستيناف ولا تحسبن خطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه
وقرا ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم
فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا يحذف
او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا
حال بمعنى سابقين اى مفلتين والاظهر انه تعليل للنهى اى لا يحسبنهم سبقوا فافلتوا
لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل
على سبيل الاستيناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت
فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقض العهد او للكفار
ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته صلى
الله تعالى عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمى الا ان القوة الرمى قالها ثلثا ولعله صلى
الله تعالى عليه وسلم خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال
بمعنى مفعول او مصدر سمى به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط
كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف
جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد
والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعنى كفار مكة واخرين من دونهم
من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم
باعيانهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع
العمل او بنقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح
والاستسلام وقرا ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم

على

على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به : والحرب يكفيك من انفاسها جرع : وقرئ
فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم
ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها
بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك
الله وكافيك قال جرير : انى وجدت من المكارم حسبكم : ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو
الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية و
الضغينة فى ادنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى
صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما فى الارض جميعا
ما الفت بين قلوبهم اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم
ما فى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة
فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم
يعلم انه كيف ينبغى ان يفعل ما يريده وقيل الاية فى الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد
لها ووقايع هلك فيها ساداتهم فانساهم الله تعالى ذلك والف بينهم بالاسلام حتى
تصادقوا فصاروا انصارا يا ايها النبى حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين
اما فى محل النصب على المفعول معه كقوله : اذا كانت الهيجاء وانشجر القنا : فحسبك والضحاك
سيف مهند : او الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين او الرفع عطف على اسم الله تعالى اى كفاك الله و
المؤمنون والاية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا
وست نسوة ثم اسلم عمر رضى الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نزلت فى
اسلامه يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال بالغ فى حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه
المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد
بانهم ان صبروا غلبوا بعونه تعالى وتاييده وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء فى الايتين ووافقهم
البصريان فى فان يكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون ثبات

المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب الله تعالى على الواحد مقاومة العشرة
والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا
بذلك ثم لما كثروا خفف وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل
والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح
وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون
ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرا البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل
ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله
الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله
يريد الآخرة يريد بكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة
على اضمار المضاف كقوله: اكل امرئ تحسبين امرا: ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه
على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت
الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه
الصلوة والسلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم
فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية يقوى
بها اصحابك فقال عمر رضي الله تعالى عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء فمكني
من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على

اصحابك

اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية
دليل على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه
لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب
المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية
التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه الصلوة
والسلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار
بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت
والفاء للتسبيب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث
من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا
حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك
وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم
ما اخذتم يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس رضي الله تعالى عنه
كلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن
الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام
الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث لي حدث
فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال ما يدريك قال اخبرني به ربي قال
فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد
دفعته اليها في سواد الليل قال العباس رضي الله تعالى عنه فابدلني الله خيرا من ذلك في الآن عشرون
عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة
وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا
يعني الاسرى خيانتك نقض ما عهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل
من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان عادوا الخيانة فيمكنك منهم
والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا اوطانهم هم المهاجرون هجروا اوطانهم حبا

لله ولرسوله وجاهدوا بأموالهم صرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وأنفسهم
في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم
ونصروهم على اعدائهم أولئك بعضهم أولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار
يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
او بالنصرة والظهارة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا والمظاهرة
اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة
والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب
عليكم ان تنصروهم على المشركين إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض
عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض في
الميراث والموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين
إلا تفعلوه اي لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث
وقطع العلايق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف
الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلثة اقسام بين
ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل
المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه
ثم الحق بهم في الامرين من يلتحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم فأولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وأولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او القران
واستدل به على توريث ذوي المحارم إن الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها
والمظاهرة بنسبة الاسلام او المظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة
الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته

سورة

سورة براءة مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول

وهي آخر ما نزلت ولها اسماء أخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة
والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة
للمؤمنين والمقشقشة من النفاق وهي التبرئة منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر
عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلثون وقيل ويذكر عذابهم
تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل
كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت
قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لأن في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها
وقيل لما اختلف الصحابة في انها سورة واحدة وهي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب
بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره
واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم
من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم
به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود
المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما بريئان منها وذلك انهم
عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وكنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل
المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي
القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر
وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم عليا رضي الله تعالى عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضي الله تعالى عنه
اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي كرم الله وجهه
سمع ابو بكر رضي الله تعالى عنه الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما لحقه قال
امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي
يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم

ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم
يكونوا من عشيرته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة
الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا
انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر
في الدنيا والعذاب في الاخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال
كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام
الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف يوم النحر عند
الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه وسلم الحج عرفة ووصف
الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه
اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل
الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين
اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من
كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى
مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام
بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو
فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم
غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب
اليم في الاخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه
قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا
من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب

المتقين

المتقين تعليل وتنبيه على ان تمام العهد من التقوى فاذا انسلخ فاذا انقضى واصل الانسلاخ خروج
الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب
وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر
الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم
من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد
الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا
عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم
فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى
سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد
سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك
٣٨٧ استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على
حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء
لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه
فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان
يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله
تعالى وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين
ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحل النصب
على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند
المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا
على الوفاء وهو كقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله
يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف
الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما الموت في القرى فكيف وهاتان هضبة وقليب اي فكيف مات

البلد القديم

وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم **لا يرقبوا فيكم** لا يراعوا فيكم **الا**
حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل
ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به
اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم
للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشئ اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه
عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبرئيل **ولا ذمة** عهدا او حقا يعاب على اغفاله
يرضونكم بافواههم استيناف لبيان حالهم المتنافية لثبات عهدهم المؤدية الى عدم
مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون
ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان
الكفر والمعادات بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيهم **وتابى قلوبهم** ما تتفوه افواههم
واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى
بعض الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة السوء **اشتروا بايات**
الله استبدلوا بالقرآن **ثمنا قليلا** عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات **فصدوا**
عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان
اشتراءهم اداهم الى الصد **انهم ساء ما كانوا يعملون** عملهم هذا او ما دل عليه قوله **لا يرقبون**
فى مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام فى المنافقين وهذا خاص بالذين
اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم **واولئك هم المعتدون**
فى الشرارة **فان تابوا** عن الكفر **واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين** فهم اخوانكم
لهم ما لكم وعليهم ما عليكم **ونفصل الايات لقوم يعلمون** اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين
او خصال التائبين **وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم** وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء
بالعهود **وطعنوا فى دينكم** بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام **فقاتلوا ائمة الكفر** اى فقاتلوهم
فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم فى الكفر احقاء بالقتل
وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم

وقرا

وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل
والتصريح بالياء لحن **انهم لا ايمان لهم** على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان
الذمى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس
يمينا وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن
عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لا يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز
ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله **لعلهم**
ينتهون متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم فى المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما
هو طريقة المؤذين **الا تقاتلون قوما** تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفى للانكار فافادت
المبالغة فى الفعل **نكثوا ايمانهم** التى حلفوها مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين على ان لا
يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة **وهموا باخراج الرسول** حين تشاوروا فى امره بدار
الندوة على ما ذكر فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه
من المدينة **وهم بدؤكم اول مرة** بالمعاداة والمقاتلة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بداهم بالدعوة والزام الحجة
بالكتاب والتحدى به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان يعارضوهم وتصادموهم
اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم **فالله احق ان تخشوه** فقاتلوا اعداءه
ولا تتركوا امره **ان كنتم مؤمنين** فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه **قاتلوهم** امر بالقتال بعد
بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه **يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم**
وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم **ويشف صدور قوم مؤمنين**
يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب **ويذهب غيظ قلوبهم** لما لقوا منهم
وقد وفى الله تعالى بما وعدهم والاية من المعجزات **ويتوب الله على من يشاء** ابتداء اخبار بان بعضهم
يتوب على كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به
الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين **والله عليم** لما كان وما سيكون
حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة **ام حسبتم** خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال

وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان أن تتركوا ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ولم تتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد
نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا
عطف على جاهدوا داخل فى الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة
يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما فى لما من معنى التوقع منبه على ان تبيين ذلك متوقع
والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله
ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد
الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة
ابن كثير وابى عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك
وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم
واغلظ له على رضى الله تعالى عنه فى القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد
الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى فنزلت أولئك حبطت اعمالهم التى يفتخرون
بها عما قارنها من الشرك وفى النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن
بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اى انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات
العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر
ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى
ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى
فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله تعالى قرينته
وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اى فى ابواب
الدين فان الخشية عن المحاذير جبلة لا يكاد الرجل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من
المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين فى الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا
لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك

باضدادهم

باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها أجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا
سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن
او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد
والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله
لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدى القوم الظالمين اى
الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون فى الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم
الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين
الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله
اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم اولئك
هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات لهم فيها فى الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به
اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل
للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعيم الدنيا
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا
بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضايعين
وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم
اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان
اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة فى
غير محلها قل ان كان آباؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وابناؤكم
وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم
وقرئ عشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات
وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله الحب

الاختيارى دون الطبيعى فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه فتربصوا حتى يأتى
الله بأمره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدى
القوم الفاسقين لا يرشدهم وفى الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد
نصركم الله فى مواطن كثيرة يعنى مواطن الحرب وهى مواقعها ويوم حنين وموطن
يوم حنين ويجوز ان يقدر فى ايام مواطن او فسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع
ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع فى مواطن فانه لا يقتضى تشاركهما
فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابها اياهم فى جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف
حارب فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثنى عشر الفا العشرة الذين حضروا
فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا
قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او ابو بكر رضى الله تعالى عنه او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم
من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على
كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مركزه ليس معه
الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على
تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة
يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين
فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا حين حمى الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال
انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اى الكثرة شيئا من الاغناء او من
امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اى بسعتها لا تجدون فيها مفرا
تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار
ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله
سكينته رحمته التى سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا
واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حالهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
ولم ينفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعنى الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة

عشر

عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبى وذلك جزاء الكافرين
اى ما فعل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق
للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت
اموالنا وقد سبى يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما اموالكم اما سباياكم
فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين
وانا قد خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبى و
طابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا
فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا
الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه
يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات
فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد فى كبد واكثر ما جاء
تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع
عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة
رحمه الله تعالى عنه وقاس مالك رحمه الله تعالى عليه سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع وفيه دليل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان
خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرام وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب و
الارزاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او بفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان
ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد
والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعاقبة او حال
ان شاء قيده بالمشية لينقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على انه متفضل فى ذلك وان
الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطى

وبمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اى لا يؤمنون بهما على ما ينبغى كما بيناه
فى اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة
وقيل رسوله هو الذى يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا
وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذى هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين
اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق
من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اى عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يد
هم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن
غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من
الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة
وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تؤخذ الجزية من الذمى وتوجأ عنقه
اى تضرب عنقه باليد لغة
ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ
الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلوة والسلام اخذها
من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا
اسم بلد
بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة رحمه الله تؤخذ
منهم الا من مشركى العرب لما روى الزهرى انه صلى الله تعالى عليه وسلم صالح عبدة الاوثان الا
من كان من العرب وعن مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها فى كل سنة دينار
سواء فيه الغنى والفقير وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى على الغنى ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط
نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شئ على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير الله
عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق
فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله تعالى بعد مائة عام املى عليهم التورية
حفظا فتعجبوا [illegible] وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان
الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائى ويعقوب
بالتنوين على انه عربى مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه فى القراءة الاخرى اما لمنع صرفه

للعجمة

للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر
محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدى الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر
وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد
بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك
قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفى التجوز عنها او اشعار بانه
قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذى يوجد فى الافواه ولا يوجد مفهومه
فى الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا اى يضاهى قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اى من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم
فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة
المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعيل للتى شابهت
الرجال فى انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او
تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم فى تحريم ما احل الله ما حرم وتحليل ما حرم
او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اى وما امر المتخذون او المتخذون
اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله واما
طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو فى الحقيقة طاعة الله تعالى لا اله الا هو صفة
ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له
شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه
عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بافواههم بشركهم او تكذيبهم
ويأبى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل
لحالهم فى طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالتكذيب بحال [illegible] يطلب اطفاء نور
عظيم منبث فى الآفاق يريد ان يزيله بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب
لانه فى معنى النفى ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذى ارسل

رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول عليه الصلوة والسلام واللام في الدين للجنس اى على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى في الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقى من اموالكم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ادى زكوته فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله عليه الصلوة والسلام من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلوة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكى بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم اى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال على رضى الله تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان حكم الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن
اعرضوا

السائل

السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسية التى هى الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التى هى مقاديم البدن ومأخره وجنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اى وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اى مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنى عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر مذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القيم دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلوة والسلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذى القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهى مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقويهم انما النسئ اى تأخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسى بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسى بحذفها والنسئ والنساء وكلها مصادر نسأه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائى وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله يحلونه عاما يحلون النسئ من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قبل اول من احدث ذلك

جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى ان الهتكم قد احلت لكم المحرم
فاحلوه ثم ينادى فى القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال
اوحال ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمون
او بما يدل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله لمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت
زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم واضلهم حتى
حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدى القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء
يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم
على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل
فعدى بالى وكان ذلك فى غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف فى وقت عسرة وقيظ
مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة
بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها فى الاخرة فى جنب الاخرة الا قليل
مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع
كقحط او ظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم اخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء
فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم فى نصر دينه شيئا فانه الغنى عن كل شئ وفى كل
امر وقيل الضمير للرسول اى ولا تضروه فان الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على
كل شئ قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالى الا تنصروه فقد
نصره الله اى ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ولم يكن
معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب
الله له النصرة حتى نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله فى غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان
همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله تعالى له بالخروج وقرئ ثانى اثنين بالسكون على لغة
من يجرى المنقوص مجرى المقصور فى الاعراب ونصبه على الحال اذ هما فى الغار بدل من اذ
اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب فى اعلى ثور وهو جبل فى يمين مكة على مسيرة
ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثانى لصاحبه وهو ابو بكر رضى الله تعالى عنه لا تحزن

ان الله معنا بالعصمة والمعونة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضى الله تعالى عنه
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله تعالى
عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا فى اسفله
والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التى تسكن عندها القلوب عليه على النبى
او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعنى الملائكة انزلهم ليحرسوه
فى الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعنى الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هى العليا يعنى التوحيد
او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن ايدى الكفار الى المدينة
فانه المبدا له او بتاييده اياه بالملائكة فى هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا يعقوب كلمة
الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية فى نفسها
وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم فى امره
وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها
او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا
باموالكم وانفسكم فى سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه
ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله تعالى به صدق فبادروا اليه
لو كان عرضا اى لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك
ولكن بعدت عليهم الشقة اى المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين
وسيحلفون بالله اى المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون
لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير
فى قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابى القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار
عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها فى العذاب وهو بدل من سيحلفون لان
الحلف الكاذب ايقاع للنفس فى الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون فى ذلك

م قريبا سهل المأخذ صحيح

والمعنى

لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه
لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه اى لاى شئ اذنت لهم فى القعود حين
استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا فى الاعتذار
وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء
واذنه للمنافقين فعاتبه الله تعالى عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك فى ان يجاهدوا
وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوا فى التخلف عنه
او ان يستاذنوك فى التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى
وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك فى التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص
الايمان بالله واليوم الآخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان
وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج
لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا
وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا
الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم
بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج فى قلوبهم او وسوسة
الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لهم والقاعدين
يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا
الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار
اعم العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك
لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة
والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف
فيما بينكم او الرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة
يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين

فيعلم

فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من
قبل يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد
والحيل ودوروا الآراء فى ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهى وظهر امر الله
وعلا دينه وهم كارهون على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين
على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم
وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول عليه السلام بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من
يقول ائذن لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة اى العصيان والمخالفة بان لا
تاذن لى وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن او فى الفتنة بسبب ضياع المال
والعيال اذ لا كافل لهم بعدى او فى الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد
علمت الانصار انى مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى الا
فى الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف او ظهور النفاق
لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الآن لان احاطة اسبابها
كوجودها ان تصبك فى بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان
تصبك فى بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل
يتحجوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم فى التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم
او عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما
كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة والشهادة او كتب لاجلنا فى اللوح لا يتغير
بموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وقرئ هل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه
من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما
قصد به وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا ومتولى امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون
لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين
الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص

بكم ايضا احد السوئيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او
بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتال على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم
متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى
الخبر اى لن تقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوى الانفاقين
في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول
جد بن قيس واعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم ولا يثابوا عليه
وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اى وما منعهم قبول
نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقى
وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون
الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم
بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون بجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها
من الشدايد والمصايب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين
بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة
ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم
قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية
لو يجدون ملجا حصنا يلجئون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه
مفتعل من الدخول وقرا يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه
انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون
يسرعون اسراعا لا يردهم شئ كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من
يلمزك يعيبك وقرا يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمتها
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابى الجواظ

المنافق

المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل
في ابن ذى الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم غنايم حنين فاستعطف
قلوب اهل مكة بتوفير الغنايم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل و
اذا للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اعطاهم
الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا
حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا
اكثر مما اتينا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب
محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما
الصدقات للفقراء والمساكين اى الزكوة لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان
المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنايم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا
من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان
العجز اسكنه ويدل عليه قوله اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلام يسال المسكنة ويتعوذ
من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها
وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستالف قلوبهم او اشراف يترقب
باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عيينة بن حصين والاقرع
ابن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستالفون على ان يسلموا فانه عليه السلام كان
يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذى كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف
قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانعى الزكوة وقيل كان سهم المؤلف لتكثير سواد الاسلام
فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب
بشئ منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فيعتق وبه قال مالك واحمد رح او بان يفدى
الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان
بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات بين
وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او لرجل

لا

اشترى بها بماله أو رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى أو
لعامل عليها (أى تشترى الزكوة عالم من الفقراء) وفى سبيل الله وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح
وقيل فى بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله
مصدر لما دل عليه الآية اى فرض لهم الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن
فى للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء فى مواضعها
وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف
وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعى رح وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم جواز صرفها الى صنف واحد وبه
قال الائمة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتى شيخى ووالدى رحمهما الله على ان الآية بيان ان الصدقة
لا تخرج منهم لا ايجاب قسمتها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن
يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمى بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع
كما سمى الجاسوس عينا لذلك أو اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روى انهم قالوا
محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق
لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك
بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من
خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اى
وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس
يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة
بفعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير
صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على
معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق
ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام فى ايذاء
الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا

انه

انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا
فيها على حذف الخبر اى فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب
محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزى العظيم يعنى الهلاك
الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما فى قلوبهم وتهتك
عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه
مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على بت فى امر الرسول
عليه السلام بشئ وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا
ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اى ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون
اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روى ان ركب المنافقين
مروا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام
وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا
فى شئ من امرك وامر اصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر
قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما
للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم
فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهار
كم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ
عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء للمفعول
ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى متشابهة
فى النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيب لهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم
وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين
وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون
ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم

بالقران والاسلام والمسلمين

جعل النسيان فى الجانبين مجاز لاستحالة حقيقته على الله وامتناع المؤاخذة على نسيان الشئ لخبر رفع عن امتى الخطاء والنسيان

فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون فى التمرد والفسوق
عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين
الخلود هى حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته
واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين
من قبلكم اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر
اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم
من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من
الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية
تمهيد الذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم فى الباطل كالذى
خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذى خاضوا او كالخوض الذى خاضوه اولئك حبطت
اعمالهم فى الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا فى الدارين واولئك هم الخاسرون
الذين خسروا الدنيا والآخرة الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا
بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض
واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب عليه السلام اهلكوا بالنار يوم الظلة
والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت فصار عاليها سافلها
وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن
من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعنى الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اى لم
يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فى مقابلة
قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله فى سائر الامور اولئك
سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شئ

اى نصيبهم من الدنيا واستغناؤ عن الآخرة

والقضاء

المتمردين

لا يمتنع

لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفى
الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فى جنات عدن اقامة وخلود وعنه
عليه السلام عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون
والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى
تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من
جنس ما هو ابهى الاماكن التى تعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف
اى الموعود
بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لا تخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهى
الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء
ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة
والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه السلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون
وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى
شئ افضل من ذلك قال احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اى الرضوان او جميع ما
تقدم هو الفوز العظيم الذى يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبى جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم فى ذلك ولا تحابهم ومأويهم
جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روى انه عليه السلام اقام فى غزوة تبوك شهرين
ينزل عليه القران ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا
لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت
فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر
بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند
اى قصدوا اشياء لم يصلوا ان يفعلوه
مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن
ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع
اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم اعداء الله فهربوا او اخراجه المؤمنين من المدينة

واخراج

او بان يتوجّهوا عبد الله بن ابيّ وان لم يرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما نقموا وما

انكروا الا ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر

اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اثروا

بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء

مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة

والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة

بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد

الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة ابن حاطب

اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل يؤدى

شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل

ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا

وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه

واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات واستقبلهما

الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه

الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام

ان الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني

فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء الى عمر رضي الله تعالى عنه

في خلافته فلم يقبلها وهلك بها في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه فلما اتاهم من فضله بخلوا به

منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها

فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم

ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه اي

يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب

اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد

متضمن

متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقالة مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي

المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في

انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن

او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع

او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من

المؤمنين في الصدقات روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف

باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت

احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر

وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي

وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله تعالى ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا

ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب

ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم

وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم

جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا

تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر

لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من

المخلصين سال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال

عليه الصلوة والسلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم

لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان

يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال

السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام

العدد فكانه العدد باسرها ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان الياس من المغفرة

٢٩٧

وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصادر الصارف عنها **والله لا يهدي القوم الفاسقين** المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم كقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم **فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله** بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال **وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله** ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج **وقالوا لا تنفروا في الحر** اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا **قل نار جهنم اشد حرا** وقد آثرتموها بهذه المخالفة **لو كانوا يفقهون** ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة **فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون** اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم **فان رجعك الله الى طائفة منهم** فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا **فاستاذنوك للخروج** الى غزوة اخرى بعد تبوك **فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا** اخبار في معنى النهي للمبالغة **انكم رضيتم بالقعود اول مرة** تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك **فاقعدوا مع الخالفين** المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين **ولا تصل على احد منهم مات ابدا** روي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرضه فلما دخل فسأله ان يستغفر له ويكفنه

فى

في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ابنه ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافات لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب لا للتمتع فكانه لم يحي **ولا تقم على قبره** ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة **انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون** تعليل للنهي او لتابيد الموت **ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون** تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه في فريق غير الاول **واذا انزلت سورة** من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها **ان امنوا بالله** بان امنوا بالله ويجوز ان يكون ان المفسرة **وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم** ذوو الفضل والسعة **وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين** الذين قعدوا بعذر **رضوا بان يكونوا مع الخوالف** مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه **وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة **لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم** اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم **واولئك لهم الخيرات** منافع الدارين النصرة والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيّرة **واولئك هم المفلحون** الفائزون بالمطالب **اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم** بيان لما لهم من الخيرات الاخروية **وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم** يعني اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذ امهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل

حركتها الى العين وتجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما
وقرا يعقوب معذرون من اعذر اذا اجتهد فى العذر وقرئ المعذّرون بتشديد
العين والذال على انه من تعذّر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم فى العين وقد اختلف
فى انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
فى غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان وان كانوا هم
الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين
فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء
ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة
ومزينة وبنى عذرة حرج اثم فى التأخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة
فى السر والعلانية كما يفعل الموالى الناصح او بما قدروا عليه فعلا وقولا يعود على الاسلام
والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم
سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى سلك المحسنين غير
معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسنين ولا على الذين
اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من
الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة
ابن عنمة وعبد الله بن معقل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك
فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان
وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف فى اتوك
باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اى دمعها فان من
للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لانه
يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل
عليه ما قبله الا يجدوا اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون فى مغزاهم

انما

انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم اغنياء واجدون الاهبة رضوا بان
يكونوا مع الخوالف استيناف لبيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم
بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن
وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم فى التخلف اذا رجعتم اليهم
من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه
قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو ما فى ضمائركم
من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه
وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اى اليه فوضع
الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من
ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله
لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم
انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس
لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكانه
قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والآخرة او تعليل ثان
والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان
يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم
ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى
فان رضاءكم لا يستلزم رضاء الله ورضاءكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله و
بصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم
ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضاء عنهم والاغترار بمعاذيرهم
بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا و
نفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة
استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود

ما انزل الله على رسوله من الشرايع فرايضها وسننها والله عليم يعلم حال كل واحد
من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن
الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه فى سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة
وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجوا عليه ثوابه وانما ينفق رياء او تقية ويتربص
يتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق
عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما
يتربصون عليهم والدائرة فى الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمى
بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقراء ابن
كثير وابو عمرو السوء هنا وفى الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق
عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات
سبب قربات وهى ثانى مفعولى يتخذ عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول
وسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان
يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل ابى
اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم
وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقراء
ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله فى رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين
لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره وقيل الاولى فى اسد وغطفان وبنى
تميم والثانية فى عبد الله ذى النجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين
هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار
اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين
قدم عليهم ابو زرارة ومصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين
اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة
الى يوم القيمة رضى الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا

ای عن الله

من نعمة الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار وقرء
ابن كثير من تحتها كما هو فى ساير المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن
حولكم ممن حول بلدتكم يعنى المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم
واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف
صفته مردوا على النفاق ونظيره فى حذف الموصوف واقامة قوله انا ابن جلا وطلاع
الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتداء
لبيان تمرنهم وتمهرهم فى النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم
فيه وتنوقهم فى تحامى مواقع التهم الى حد خفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق
فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان
يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ
الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار واخرون اعترفوا
بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم
على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد
على عادته فصلى ركعتين فراهم فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى
يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا
واخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب باخر سيء
هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما فى قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة
على ان كل واحد منهما مخلوط بالاخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهى
مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه
خذ من اموالهم صدقة روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه اموالنا التى
خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن
الذنب او حب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم
بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمى بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل

عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم
وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله
سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن فى
قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ
الصدقات يقبلها قبول من ياخذ شيئا ليؤدى بدله وان الله هو التواب الرحيم
وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى
الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم
كما رايتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم
تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اى موقوف امرهم
من ارجاته اذا اخرته وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون وهما لغتان لامر الله
فى شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد
وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم
وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا
نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون
مرجون او مبتدا خبره محذوف اى وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص
وقرا نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا
مسجد القبا سالوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم
من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة
والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم
فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم

انطلقوا

انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا واتخذ مكانه كناسة
وكفرا وتقوية للكفر الذى يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون
للصلوة فى مسجد قبا وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعنى الراهب
فانه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل
يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتى من قيصر بجنوده يحارب
بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب
فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل ان
ينافق هؤلاء بالتخلف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسئلوا رسول الله ان ياتيه فقال
انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان
اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهى الصلوة والذكر
والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون فى حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد
اسس على التقوى يعنى مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه
بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله لقول ابى سعيد سالت
رسول الله عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم
الزمان والمكان لقوله من الديار بقنة فالحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه
اولى بان تصلى فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين يرضى
عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون
انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلوة والسلام اترضون
بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون فى الرخاء قالوا نعم
قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل
قد اثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط
الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلى رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه

بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من
الله وطلب مرضاته بالطاعة أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار على
قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها فانهار به في نار جهنم فأدى به لخوره و
قلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي
الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس
ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك
امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس
هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة
وقرأ نافع وابن عامر أسس على البناء للمفعول وقرئ أساس بنيانه وأس بنيانه على
الاضافة وأسس وأساس بالفتح وإساس بالكسر وثلاثتها جمع أس وتقوى بالتنوين على ان
الألف للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي
القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناءهم الذي بنوه
مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله
ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد
نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم
وازداد بحيث لا يزال رسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية
الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما
هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى
بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ
يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت
على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل
انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان

مالا

ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت
ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل
عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقرآن مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن
ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز
العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون
ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا
لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم
الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون
الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من البأساء والضراء
السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها من حيث انه
يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك و
الملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآ
مرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف
فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين
وفي قوله تعالى والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه
على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من
حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية
وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم
للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم
كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا
ان يستغفروا للمشركين روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة
احاج لك بها عند الله تعالى فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح

مكة خرج الى الابوا فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال انى استاذنت ربى فى زيارة
قبر امى فاذن لى واستاذنته فى الاستغفار لها فلم ياذن لى وانزل على الايتين ولو كانوا
اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز
الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر
فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابراهيم اباه
بقوله لاستغفرن لك اى لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة
من قرا اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهى الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات
على الكفر او اوحى فيه بانه لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره ان ابراهيم لاواه لكثير
التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان
ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اى ليسميهم ضلالا
ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى
يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول فى قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه
المشركين قبل المنع وقيل انه فى قوم مضوا على الامر الاول فى القبلة والخمر ونحو ذلك وفى الجملة
دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شىء عليم فيعلم امرهم فى الحالين ان الله له
ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لما
منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم راسا
بين لهم ان الله تعالى مالك كل موجود ومتولى امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا
نصرة الا منه ليتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون
ويذرون سواه لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين
فى التخلف او برأهم عن علقة الذنوب كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم والمهاجرين والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله
مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها

مقام

مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه فى ساعة العسرة فى وقتها وهى
حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل
ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم
عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفى كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير
فى منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقى وقرئ من بعد ما زاغت
قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من
اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة
وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن
الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها
لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم
من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله
من سخط الله الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم
ليعدوا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم
ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة الرحيم متفضل عليه بالنعم يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين فى ايمانهم وعهودهم او فى دين
الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اى فى توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء
الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
من حكمه نهى عبر عنه بصيغة النفى للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا
انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ
بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب
والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فى الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح
فمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا راكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة

وكانه فرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم
ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم
بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة
في سبيل الله ولا يطؤن ولا يدوسون موطئا مكانا يغيظ الكفار يغضبهم
وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل
صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر
المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق
الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين
فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة
سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا
في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض
الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن
اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب
علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين
ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر
لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم
فيه ان يستقيم ويقيم لا للترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا
عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل
ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار
ما لم تتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل
للاية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن

التفقه

عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا
ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة
فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي
رجعوا للطوائف اي ولينذروا البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام
غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب
منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق
بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم
فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا
على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة
والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم
زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على فعل يفسره زادته فاما الذين آمنوا
فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم
وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في
قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا
وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرأ حمزة بالتاء
انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون
ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا هم يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم
الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها او سخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم
من احد اي يقولون هل يريكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان
يروهم لم يقوموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان
وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم
تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم

عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اى على ايمانكم
وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو
الرؤف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك
فقل حسبى الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه
عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم
الاعظم المحيط الذى ينزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابى رضى
الله تعالى عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما نزل القرآن
على الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا على ومعهما
سبعون الف صف من الملائكة سورة يونس عليه السلام مكية وهى مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير برواية قالون ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى
المنقلبة عن الياء وقرا ورش بين اللفظين تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته
السورة او القرآن من الآى والمراد بالكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم اولانه
كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شئ منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا
خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا
بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم فيوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم
الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد
رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة
وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في
المال وخفة الحال اعون شئ فى هذا الباب ولذلك اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من
انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام ان انذر الناس ان هى المفسرة او المخففة
من الثقيلة فيكون فى موقع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس
فيه ما ينبغى ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم

قدم

قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت بها قدما لان السبق بها كما سميت النعمة
يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق
القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين
وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من
الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم
الله الذى خلق السموات والارض التى هى اصول الممكنات فى ستة ايام ثم استوى على
العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك
اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور لتجئ محمودة العاقبة ما من شفيع الا
من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله
وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية
والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد فى شئ من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا
تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه
اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد
لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل
عليه وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزى الذين آمنوا وعملوا
الصالحات بالقسط بعدله او بعدلهم وقيامهم على العدل فى امورهم او بايمانهم
لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم
شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب
من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه
على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه
يتولى المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه
داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا
فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة المكلفين على اعمالهم كان الجميع اليه

لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدؤ بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا

او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا **هو الذى جعل الشمس ضياء**

اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة

عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القران على القلب بتقديم اللام على

العين **والقمر نورا** اى ذا نور بالليل وسمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل

وهو الواو ثم قلبت الواو همزة لتطرفها بعد الف زائدة ككساء

ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس

نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها **وقدره منازل** الضمير

لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر

لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله **لتعلموا**

عدد السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم و

تصرفاتكم **ما خلق الله ذلك الا بالحق** الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة

البالغة **يفصل الايات لقوم يعلمون** فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير

والبصريان وحفص يفصل بالياء **ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات**

والارض من انواع الكائنات **لايات** على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته

لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر **ان الذين لا يرجون لقاءنا**

لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها **ورضوا بالحيوة**

الدنيا من الاخرة لغفلتهم عنها **واطمأنوا بها** وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها

وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها **والذين هم عن اياتنا غافلون** لا يتفكرون

فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على

الجمع بين الذهول عن الايات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لا يخطر الاخرة

ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا

وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل فى الاجل والاعداد له **اولئك مأويهم**

النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات**

يهديهم

اى فى سورة البقرة عند قوله ذهب الله بنورهم من ان الضياء اقوى من النور ولذا ينسب الضياء الى الشمس والنور الى القمر كما على وجه الارض قاله تفتازانى

يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة او لادراك الحقايق

كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه فى الجنة ومفهوم

الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله

بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له **تجرى من**

تحتهم الانهار استيناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله

فى جنات النعيم خبر او حال اخر منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى **دعويهم**

فيها اى دعاؤهم **سبحانك اللهم** اللهم انا نسبحك تسبيحا **وتحيتهم** ما يحيى

به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم **فيها سلام واخر دعويهم** واخر دعائهم

ان الحمد لله رب العالمين اى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا

عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة

عن الافات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام

وان هى المخففة من المثقلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد **ولو يعجل الله للناس الشر**

ولو يسرعه اليهم **استعجالهم بالخير** وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة

اجابته لهم فى الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم والمراد شر استعجلوه كقولهم

فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير

حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقى عليه **لقضى**

اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى

وقرئ لقضينا **فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون** عطف على فعل محذوف

دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا **واذا**

مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه **لجنبه** ملقيا لجنبه اى مضطجعا **او قاعدا**

او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء بجميع الاحوال او لاصناف المضار **فلما كشفنا عنه**

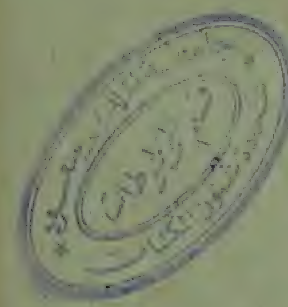
ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه **كان لم يدعنا**

كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال م ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان الى

الى ضرمسه اى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغى و جاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم و خذلان الله تعالى لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفى كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم الرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة فى امهالهم نجزى القوم المجرمين نجزى كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المظهر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التى اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر فى الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعنى المشركين ائت بقران غير هذا بكتاب اخر نقروه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب الهتنا او بدله بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لى ما يصح لى ان ابدله من تلقاء نفسى من قبل نفسى وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر ان اتبع الا ما يوحى الى تعليل لما يكون فان المتبع لغيره فى امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القران كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال انى اخاف ان عصيت ربى اى بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه

ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير ولادراكم بلام التاكيد اى لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيرى وقرئ ولا ادراكم ولا ادراتكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اى ولا جعلتكم بتلاوته خصما تدرؤننى بالجدال والمعنى ان الامر بمشية الله لا بمشيتى حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القران معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمى الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الاخرين على ما هى عليه علم انه معلم به من الله تعالى افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتفكر والتدبر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله فى قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم فانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغى ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله يشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفى الاخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما فى السموات ولا فى الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفى منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوى او ارضى ولا شئ من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان

ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين
يشركونهم به وقرا حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالتاء
وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في ٩ موجودين نسخة
عهد آدم عليه الصلوة والسلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في
فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة
واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل
بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اي من
الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال
الايات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني
معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل علي من الايات العظام
واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم
كقحط ومرض اذا لهم مكر في اياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط
اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في ايات
الله ويكيدون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم
قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة
جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزاء
على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما يدبرون ديرون نسخة
في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون
بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن
الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم
بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير
للفلك



للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم
الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم
مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لترجع
الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاهم
من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او
مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض
فاجؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن
تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق
يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم
متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى وتبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم
وعلى انفسكم صلته او خبر مبتداء محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم
خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي يتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول
البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة
الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم
في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة
في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس
والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب
والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على
افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن
اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها
ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله
بالمحاصد

كأن لم تغن زرعها اي لم ينبت والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ
بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون
الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا و
التف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه
حرف التشبيه فانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون
فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام السلامة من التقضي والافات او
دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة
فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم
هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص
الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده
للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا كقوله
ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة
ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة
اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة [illegible]
والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء
حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض
لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها
عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو
او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي
الفضل او التضعيف او كأنما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض
فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء
او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم

ما من

ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله او من عنده كما يكون للمؤمنين كأنما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه
اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل
في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون
وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك
ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه
ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا
مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف
عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل
التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من
عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ان
الله تعالى ينطق الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل
المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه
العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه
وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله
فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها
اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها
ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر
فتكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق
ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر
المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا

يدعون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض اى منهما جميعا فان الارزاق
تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل
من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض ام من يملك السمع
والابصار ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الافات مع
كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شئ ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت
من الحى ومن يحيى ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر
الامر ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا
يقدرون على المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم
عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه فى شئ من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى
لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشاكم واحياكم
ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اى ليس بعد الحق
الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله وقع فى الضلال فانى تصرفون عن الحق
الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت الربوبية لله تعالى او ان الحق بعده الضلال
او انهم منصرفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا فى كفرهم
وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها
العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالبدء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه الصلوة
والسلام بان ينوب عنهم فى الجواب فقال قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم
لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من (اى عنادهم فى الكفر)
شركائكم من يهدى الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر
وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى
غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند
الى الله تعالى قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا

يهدى الا ان يهدى ام الذى لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى
او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله تعالى وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير
وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب
وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء
الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم
كيف تحكمون بما يقتضى صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا
مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق
بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى با
لتقليد الصرف ان الظن لا يغنى من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء
ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب
والاكتفا بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم
عن البرهان وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق
الذى بين يديه مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا
كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة
لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق
وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه
الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول
فى المعنى وان يكون استينافا من رب العالمين خبر اخر تقديره كائنا من رب العالمين او
متعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا
من الكتاب او الضمير فى فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه و (وهو انزله بتصديق وتفصيل)
البرهان عليه ام يقولون افتراه بل ايقولون (صح) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه الانكار
قل فاتوا بسورة مثله فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى

دلت هذه الاية على ان ما كان من الظن فى مسائل
الاصول [illegible]
[illegible]

في العربية والفصاحة واشد تمرناً في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك
استعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على
ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه
بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه
ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله
ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تاويل ما فيه
من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القران معجز
من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا
معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا (اى جربوا)
قواهم في معارضته فتضاءلت (اى قصرت) دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره
مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياء
هم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم
ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند او من
سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره
او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين
وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ
منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون
مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام
الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون
اليك اذا قرأت القران وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا
افانت تسمع الصم اتقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم
عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك
لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم

لما كانت

لما كانت مأوفة (اى بآفة) بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني
الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق
ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي
العمي اتقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة
فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس
الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض
عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسبب (بسلب حاسة) حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم
يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب
الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة
من العذاب عدل من الله تعالى لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم
يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور
لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة
او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم
يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول
ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله
كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون
على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف
فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك
بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك
فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل
فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها
ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية

رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضى بينهم
بين الرسول عليه الصلوة والسلام ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجى الرسول واهلك المكذبون
وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيامة رسول تنتسب اليه فاذا جاء رسولهم
الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بانجا المؤمنين وعقاب الكافرين
لقوله وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء
ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا
ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او لكن
ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز
وعدكم قل ارأيتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات اي فيقرب واشتغال بالنوم
او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من
العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني
والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجئ الوعيد لا ان
يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه ويجوز ان
يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني ويكون الجملة متعلقة بارأيتم وقوله اثم
اذا ما وقع امنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وما
ذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير آلآن على ارادة القول
اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب آلآن امنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا الاخرة عطف على
قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعيد
او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر
ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو

فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم
والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما
ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم و
لذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين
فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض
من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه
واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر
وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاها اخلاصها او لانه
يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشيء
واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين
الانبياء عليهم السلام ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكم بين الظالمين
والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض الحكومة تسمح
تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب
كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة
الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته
والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها
الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في
في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك
وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من
ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من
درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القران والباء
متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل

الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد
الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة
الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا او للربط
بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد
كقوله ٭ فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي ٭ وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض
وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها
بصدد الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون
فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق
منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارأيتم فانه
بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم
منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على
بمعنى آية الله اذن لكم المنفصلة بقل
الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل مكرر للتأكيد
على المفعولية
وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها لافترائهم على الله وما ظن الذين
تقرير صح
يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو
منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان
الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال
الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شأن ولا تكون في امر واصله الهمز
من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة القران معظم
شان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول
تتلو منه من قران على ان من تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفي او للقران واضماره قبل الذكر ثم بيانه
تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك
ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا

رقباء

رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد
عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاء من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء
في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما
ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه هو البرهان على
احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله
ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن
عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل
الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه با
بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول
والاية مجمل فسره قوله الذين امنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم
لربهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله تعالى
عليه وسلم وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع
وفي الاخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل
الذين امنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى
لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله تعالى ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين
في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه
وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم
وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استيناف
بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة
لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم
العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من
الملئكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية
فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين

يدعون من دون الله شركاء اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمّونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتّبع محذوف دلّ عليه ان يتّبعون الّا الظنّ اى مايتّبعون يقينا وانّما يتّبعون ظنّهم انّهم شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اىّ شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملئكة والنبيّين اى انّهم لا يتّبعون الّا الله ولا يعبدون غيره فمالكم لا تتّبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربّهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان ومابعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشاء رأيهم وان هم الّا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله تعالى او يحزرون ويقدّرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذى جعل لكم الّيل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحّد هو بهما ليدلّهم على تفرّده باستحقاق العبادة وانّما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرّد وبين الظرف الذى هو سبب ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبّر واعتبار قالوا اتّخذ الله ولدا اى تبنّاه سبحانه تنزيه له عن التبنّى فانّه لا يصحّ الّا ممّن يتصوّر له الولد وتعجّب من كلمتهم الحمقاء هو الغنىّ علّة لتنزهه فان اتّخاذ الولد مسبّب عن الحاجة له ما فى السموات وما فى الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفى لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلّق بسلطان او نعت له او بعندكم كانّه قيل ان عندكم فى هذا سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على انّ كلّ قول لا دليل عليه فهو جهالة وانّ العقائد لا بدّ لها من قاطع وانّ التقليد فيها غير سائغ قل انّ الذين يفترون على الله الكذب باتّخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنّة متاع فى الدنيا خبر مبتدأ محذوف اى افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رياستهم فى الكفر او حيوتهم او تقلّبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اى لهم تمتّع فى الدنيا ثمّ الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبّد ثمّ نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشقّ مقامى نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان

او

اوكونى واقامتى بينكم مدّة مديدة او قيامى على الدعوة وتذكيرى ايّاكم بآيات الله فعلى الله توكّلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اى مع شركائكم ويؤيّده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتّصل وجاز من غير ان يؤكّد للفصل وقيل انّه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انّه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعى فى اهلاكه على اىّ وجه يمكنهم ثقة بالله وقلّة مبالاة بهم ثمّ لا يكن امركم فى قصدى عليكم غمّة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمّه اذا ستره او ثمّ لا يكن حالكم عليكم غمّا اذا اهلكتمونى وتخلّصتم عن ثقل مقامى وتذكيرى ثمّ اقضوا ادّوا الىّ ذلك الامر الذى تريدون بى وقرئ ثمّ افضوا بالفاء اى انتهوا الىّ بشرّكم او ابرزوا الىّ من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون فان تولّيتم اعرضتم عن تذكيرى فما سألتكم من اجر يوجب تولّيكم لثقله عليكم واتّهامكم ايّاى لاجله او يفوتنى بتولّيكم ان اجرى ما ثوابى فى التذكير والدعوة الّا على الله لا تعلّق له بكم يثيبنى به آمنتم او تولّيتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجوا غيره فكذّبوه فاصرّوا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجّة وبيّن انّ تولّيهم ليس الّا لعنادهم وتمرّدهم لا جرم حقّت عليهم كلمة العذاب فنجّيناه من الغرق ومن معه فى الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذّب الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم وتسلية له ثمّ بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح عليه الصلاة والسلام رسلا الى قومهم كلّ رسول الى امّته فجاؤهم بالبيّنات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعوتهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدّة شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله تعالى ايّاهم بما كذّبوا به من قبل اى بسبب تعوّدهم تكذيب الحقّ وتمرّنهم

جبلوا قبل بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام كذلك نطبع على قلوب المعتدين
بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على
ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك
ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام موسى وهرون
الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين
معتادين الاجرام ولذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق
من عندنا وعرفوه لتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم
ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى
أتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي بالقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز
ان يكون أسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون
الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه
من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح
الساحرون من تمام كلام موسى عليه الصلاة والسلام للدلالة على انه ليس بسحر فانه
لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحرون لا يسحر
او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا
يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما
وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها
سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين
بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل
سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون
وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به
خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر او مبتدأ خبره محذوف

اي

اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان
الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته
ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق
ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن
لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل
دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة
من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف
من فرعون وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد
في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم
ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة
على ان الخوف من الملأ كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه
لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء عليهم
الصلاة والسلام وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله
فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله تعالى
مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه
المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد
فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم
ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل
على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا ليجاب دعوته واوحينا الى موسى و
اخيه ان تبوءا ان اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها
للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو
القبلة يعني الكعبة وكان موسى عليه السلام يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول

امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيوذوهم و يفتنوهم عن دينهم وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
بالنصرة فى الدنيا والجنة فى العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ
المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم للتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد
والصلوة مما ينبغى ان يفعله كل واحد ثم وحد لان البشارة فى الاصل وظيفة
صاحب الشريعة وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً
ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وانواعا من المال رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ دعا عليهم بلفظ الامر بما علم من
ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام
للعاقبة وهى متعلقة باتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على
الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا فى للضلال
فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا او تنبيها على ان المقصود
عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ اهلكها
والطمس المحق وقرئ اطمُس بالضم وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ اى وقسها
واطبع عليها حتى لا ينشرح للايمان فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ
جواب للدعا او دعا بلفظ النهى او عطف على ليضلوا وما بينهما دعا معترض
قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا يعنى موسى وهرون لانه كان يؤمن فَاسْتَقِيمَا فاثبتا
على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن
فى وقته روى انه مكث فيهم بعد الدعا اربعين سنة وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ طريق الجهلة فى الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان
بوعد الله تعالى وعن ابن عامر ولا تتبعانِ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء دعاهما عليه السلام
الساكنين ولا تَتْبعانّ من تبع ولا تتبعان ايضا وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ
الْبَحْرَ اى جوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوّزنا
وهو من فعّل المرادف لفاعل كضعّف وضاعف فَأَتْبَعَهُمْ فادركهم يقال

تبعه

تبعه واتبعه فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا باغين وعادين او للبغى والعدو وقرئ
وعُدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ لحقه قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ اى بانه لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ
بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وقرأ حمزة والكسائى إنّه بالكسر على اضمار القول او
الاستيناف بدلا وتفسيرا لامنت فنكب عن الايمان اوان القبول و بالغ فيه حين لا
يقبل آلْآنَ اتؤمن الان وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وَقَدْ
عَصَيْتَ قَبْلُ قبل ذلك مدة عمرك وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ الضالين المضلين عن الايمان
فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ننجيك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على
نجوة من الارض ليراك بنو اسرائل وقرأ يعقوب نُنْجيك من انجى وقرئ ننحّيك بالحاء
اى نلقيك بناحية من الساحل بِبَدَنِكَ فى موضع الحال اى ببدنك عاريا عن الروح او
كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها
وقرئ بابدانك اى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا
بينها لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائل اذ كان فى نفوسهم من
عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه الصلوة والسلام حين اخبرهم
بغرقه الى ان عاينوه مطرحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتى بعدك من القرون
اذا سمعوا مآل كفرك ممن شاهدك عبرة ونكالا على الطغيان او حجة تدلهم على
ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد
عن مظان الربوبية وقرئ لمن خَلَقَك اى لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده
اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك
وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه سبحانه وتعالى وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وَلَقَدْ
بَوَّأْنَا انزلنا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر وَ
رَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ من اللذائذ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ فما اختلفوا
فى امر دينهم الا من بعد ما قرأوا التورية وعلموا احكامها او فى امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

اس بعد صح

الاّ ما علموا صدقه ببعوثه وتظاهر معجزاته **ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون** فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك **فان كنت في شك مما انزلنا اليك** من القصص على سبيل الفرض والتقدير **فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك** فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول عليه الصلوة والسلام وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد امته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم **لقد جاءك الحق من ربك** واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالايات القاطعة **فلا تكونن من الممترين** بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين **ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين** ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين **ان الذين حقت عليهم** ثبتت عليهم **كلمة ربك** بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب **لا يؤمنون** اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه **ولو جاءتهم كل اية** فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود **حتى يروا العذاب الاليم** وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون **فلولا كانت قرية امنت** فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها امنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون **فنفعها ايمانها** بان يقبله الله تعالى منها ويكشف العذاب عنها **الا قوم يونس** لكن قوم يونس **لما امنوا** اول ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله **كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا** ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما امن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم

يونس

الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل **ومتعناهم الى حين** الى اجالهم روى ان يونس عليه الصلوة والسلام بعث الى اهل نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس عليه السلام فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضهم الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة **ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم** بحيث لا يشذ منهم احد **جميعا** مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر **افانت تكره الناس** بما لم يشأ الله منهم **حتى يكونوا مؤمنين** وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلائها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله **وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله** الا بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله تعالى **ويجعل الرجس** العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقراء ابو بكر ونجعل بالنون **على الذين لا يعقلون** لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والايات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله **قل انظروا** اى تفكروا **ماذا في السموات والارض** من عجايب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل **وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون** في علم الله تعالى وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب **فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم** مثل وقايعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها **قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين** لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم **ثم ننجي**

رسلنا والذين امنوا عطف على محذوف دل عليه الامثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك
الامم ثم ننجي رسلنا ومن امن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين
كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة
ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن
اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل
الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهي اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه
ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت
ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يكون يجوز
ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان
اي يكون موقوفا على السماع ولا يكون قياسا والمطرد هو القياس
اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما
في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الافعال كلها
كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاشتداد فيه باداء
الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلاة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه
ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه
ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط و
جواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا
كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي
ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير
مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة
على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن
رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته
بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم

تمامه
فقد تركتك ذا مال وذا نشب
هو العقار ومطلوب المال ح

رسوله

رسوله او القران ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي
لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها
وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى
اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة
او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر
اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتداء وخبر او كتاب خبر مبتداء محذوف احكمت اياته نظمت نظما محكما
صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية
لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد ايات
السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم
اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد
بالوعد والوعيد
والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج
اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت اياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم
للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى للكتاب او خبر بعد خبر
اي ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل اش
او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره
وما خفي الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول و
يجوز ان يكون كلاما مبتداء للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة
غير الله بمعنى الزموه او اتركوها انني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب
على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على الا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة
فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة
ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل

مسمّى هو آخر اعماركم المقدّرة او لايهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت
متعلقة بالاعمال لكنها مسمّاة بالاضافة الى كل واحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط
كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا او في الآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان
تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط
حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس
وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدور
هم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي او يولون ظهورهم وقرئ
تثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلاء
الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمزة
وتثنوي ليستخفوا منه من الله بسرهم ولا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة
من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم
وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون
ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون ثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون
بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات
الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة الا على الله رزقها غذاؤها
ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه
ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها
من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من
الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالآية بيان كونه عالما
بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد
والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه
في الاعراف او ما في جهة العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل
والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان

وقرئ يثنوني

في الارض صح

موضوعا

موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم و
قيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق
ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد
لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما
جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة
التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض
على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم
مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به
او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان
الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى علّ اي ولئن
قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتّوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة
في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن
استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب
مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق
بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزؤن
اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء
ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا
تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في
كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى
بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي
ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي
لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده

أ لوقوعه

في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادني شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدا الوصول
الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لالائه سابقها
ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به
الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك بترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين
مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف
عنه وهو عصمة الرسل عليهم الصلوة والسلام عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ مانعا وضائق به
صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز
ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان
يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك
يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم
وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فاتوا بعشر سور مثله في
البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم
بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني
اختلقته من عند نفسي فانكم فصحاء عرب مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم
اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من
دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين بانه مفترى فان لم يستجيبوا لكم
باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او لان المؤمنين ايضا كانوا
يتحدونهم وكان امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل
امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون
عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه
سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لان العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه
غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد

والاخبار

واقناط

واقناط من ان يجيرهم من بأس الله الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون
مخلصون فيه اذ تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم
يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور
عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد
حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ
لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة
وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف
والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم
فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة
وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما
يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه
لم يبق له ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو
الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون
لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون
وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على
بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان
يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في
المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة من ربه كمن كان يريد الحيوة
الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب
ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته
وهو القران ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في
التصديق او البينة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل عليه السلام او لسان

الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن
او للبيّنة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير
في يتلوه اي يتلو آي القرآن شاهد ممن كان على بيّنة دالّة على انه حق كقوله تعالى وشهد شاهد
من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التورية اماماً كتابا مؤتمّا به في الدين ورحمةً على المنزل عليهم
لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بيّنة يؤمنون به بالقرآن ومن
يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزّب معهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فالنار موعده
يرده لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مُرية بالضم وهما الشك انه
الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلّة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزّله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم
في الموقف بان يحبسوا او تعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم
وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على
الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله تعالى الذين يصدّون
عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون
اهلها ان يعوجّوا بالردّة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتاكيد
كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا
ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخّر عقابهم الى
هذا اليوم ليكون اشدّ وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقرأ ابن كثير وابن عامر و
يعقوب يضعّف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامّهم عن الحق وبغضهم له وما
كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله تعالى وكانه العلّة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه
من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح
للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة
الآلهة بعبادة الله تعالى وضلّ عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا بما
بذلوا وضاع عنهم ما حصّلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة

هم

هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا
الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز
ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله تعالى وبالاصم لتصامّه عن استماع كلام الله تعالى
وتأبّيه عن تدبّر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها
باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضدّيهما والعاطف
لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان
هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكّرون بضرب الامثال والتأمل فيها و
لقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة
القول نذير مبين ابيّن لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم
او مفعول مبين ويجوز ان يكون ان مفسّرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب
يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذّب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جدّ جدّه
ونهارك صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك
علينا تخصّك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتّبعك الا الذين هم اراذلنا اخسّاؤنا جمع
ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير
تعمّق من البدوّ او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة
وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتّبعك وانما استرذلو
هم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظّ بها اشرف عندهم والمحروم
منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتّبعيك علينا من فضل يؤهّلكم للنبوة واستحقاق المتابعة
بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلّب المخاطب على
الغائبين قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان كنت على بيّنة من ربي حجّة شاهدة بصحة دعواي وآتاني
رحمة من عنده بايتاء البيّنة او النبوة فعمّيت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير
لان البيّنة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعمّيت بعد البيّنة

انما خفيت

وحذفها للاختصار اولانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعُمِّيت اي اخفيت
وقرئ فعماها على ان الفعل لله تعالى أنلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون
لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف
منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم
مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب
لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون
بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس
طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه
ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان
عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه او امواله حتى جحدتم فضلي
ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا
او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه
على اقول ولا اقول لكم اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم
ولا اقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في
الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا
من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر
واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وبما
عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا
خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من
الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا
او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط
ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله
يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك تقول اذا قال الرجل انت طالق

ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان
جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعليقها بالاغواء وان خلاف
مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم
والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان
افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم
في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما
كانوا يفعلون اقنطه الله تعالى من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوا من التكذيب والايذاء
واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن
الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها
ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني في استدفاع العذاب عنهم انهم
مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر
عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به بعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة عن
الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا
منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية
الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل
عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى
اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها
الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق
العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور
وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات
المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل
اثنين من كل زوجين من كل اثنين صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين
او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه

نهما
كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل
قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان
وسبعون رجلا وامراة من غيرهم روى انه عليه الصلوة والسلام اتخذ السفينة فى سنتين من الساج
وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى اسفلها
الدواب والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اى صيروا فيها وجعل
ذلك ركوبا لانها فى الماء كمركوب فى الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من
الواو اى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على
ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم
وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة
من مبتدأ وخبر اى اجراها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلته والخبر محذوف وهى اما جملة
مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء روى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله
منقطعة
فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم
السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائى وعاصم مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا
من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله تعالى ان ربى
لغفور رحيم اى لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهى تجرى بهم متصل بمحذوف
دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها فى موج كالجبال فى موج من الطوفان
وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل فى تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان
الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه ليس بثابت والمشهور
انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح
ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبه وقيل كان
لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطاء اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة
فى الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان فى معزل عزل فيه
يقدر با ابناه وحذف حرف الندبة وهو يا النداء
نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بنى اركب معنا

في

يا بنى لا تشرك يا بنى انها ان تك مثقال حبة
يا بنى اقم الصلوة

فى السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير فانه
وقف عليها فى لقمان فى الموضع الاول باتفاق الرواة وفى الثالث فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح
ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية عنه فى ساير المواضع و
قد ادغم الباء فى الميم ابو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين فى الدين او الانعزال
قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ان يغرقنى قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من
رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم
من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله
تعالى فى عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين
بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعى
ماءك ويا سماء اقلعى نوديا بما ينادى به اولوا العلم وامرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته
وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذى يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره
مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص
وقضى الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة
على الجودى جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمد روى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها
عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد
بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية
فى غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالى عن الاخلال
وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين فى نفسه مستغن عن
عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار
ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابنى من اهلى فانه النداء وان
وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى فما حاله او
فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم
واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال

يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح
فانه تعليل لنفى كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول
الخنساء تصف الناقة • ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت • فانما هى اقبال وادبار • ثم بدل
الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من
اهله عنه وقرأ الكسائى ويعقوب انه عَمِلَ اى عمل عملا غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم
ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله
استنجازه فى شان ولده واستفسار المانع للانجاز فى حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه
بقوله انى اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد
دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن
كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألننى
فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة
وعن نافع اثباتها فى الوصل قال رب انى اعوذ بك ان اسألك فى المستقبل ما ليس لى به علم
ما لا علم لى بصحته والا تغفر لى وان لم تغفر لى ما فرط منى فى السؤال وترحمنى بالتوبة والتفضل
على اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما
من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات فى نسلك حتى
تصير آدما ثانيا وقرئ اهبُط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير النامى وعلى امم ممن معك وعلى
امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشية ممن معك و
المراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اى وممن معك امم سنمتعهم فى الدنيا ثم يمسهم
منا عذاب اليم فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط
وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح عليه الصلوة والسلام ومحلها الرفع با
لابتداء وخبرها من انباء الغيب اى بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اى موحاة
اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت
ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال

من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم
يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق
الرسالة واذية القوم كما صبر نوح عليه الصلوة والسلام ان العاقبة فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز
للمتقين عن الشرك والمعاصى والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف
بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده
ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا
ان اجرى الا على الذى فطرنى خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة لانها
لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من
المبطل والصواب من الخطاء ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان
ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرى عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده
يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم واغار غبتهم
بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر
واعقم ارحام نسائهم ثلاثين سنين فوعدهم هود عليه الصلوة والسلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار
وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا
يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم
من المعجزات وما نحن بتاركى آلهتنا بتاركى عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير
فى تاركى وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا
قولنا اعتراك اى اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها و
صدك عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ
قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون
اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك
وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار
حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة

ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا يتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة
معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه
بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله عز وجل وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه و
لذلك عقبه بقوله إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم
غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي
مالم يرده ولا تقدرون على مالم يقدره ثم برهن عليه بقوله مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا
اى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك
إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني و لا
عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ استيناف بالوعيد
لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده
القراءة بالجزم على الموضع وكانه قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف وَلَا تَضُرُّونَهُ بتوليكم
شَيْئًا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ رقيب
فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء
وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا عذابنا او امرنا بالعذاب نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وكانوا
اربعة الاف وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل
انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الاخرة
ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الاخرة بالعذاب
الغليظ وَتِلْكَ عَادٌ انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم او آثارهم
جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ كفروا بها وَعَصَوْا رُسُلَهُ لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما
عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ يعني كبراءهم الطاغين و
عنيد من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا
من دعاهم الى الكفر وما يرديهم وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ اى جعلت
بتلهم

اللعنة

فان تولوا
فان تتولوا
صح

وعنده

اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ جحدوه او كفروا نعمه
او كفروا به فحذف الجار أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين
لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار
بحالهم قَوْمِ هُودٍ عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى
ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ هو كونكم منها لا غيره فانه خلق
آدم عليه الصلوة والسلام ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا عمركم
فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها
منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم
فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ قريب الرحمة مُجِيبٌ لداعيه قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا
مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور
او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا على حكاية الحال الماضية وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ من التوحيد والتبري عن
الاوثان مُرِيبٍ موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر
قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين
وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً نبوة فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ فمن يمنعني من عذابه إِنْ عَصَيْتُهُ في تبليغ
رسالته والمنع عن الاشراك به فَمَا تَزِيدُونَنِي اذا باستتباعكم اياي غَيْرَ تَخْسِيرٍ غير ان تخسروني
بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران
وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت
عليها لتنكيرها فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ترعى نباتها وتشرب ماءها وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ
فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ الاربعاء
والخميس والجمعة ثم تهلكون ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ اى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه

وامركم

مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له اني بك فان وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول
فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساء المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القران وابن عباس كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كان تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا بمعنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما ابطاء المجيء به او فما تاخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما راى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامراته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول لابراهيم عليه الصلوة والسلام اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم يعد حقا ثدييها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء

اسحق

اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرا الباقون بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف اي يعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل االد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشات وشابت في ملاحظة الايات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابراهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جاء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترا على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة

يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم
وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك
ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا فى صورة غلمان فظن انهم اناس
فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم
صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا
يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم
يدفعون دفعا لطلب الفاحش من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون
السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال
يا قوم هؤلاء بناتى فدا بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى فتزوجوهن
وكانوا يطلبونهن قبل ولكانوا فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على
الكفار فانه شرع طارٍ او مبالغة فى تناهى خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه
اوا ظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبى
ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب
واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتى كقولك هذا اخى هو لا فصلا فانه لا يقع
بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا
تفضحون من الخزى او لا تخجلون من الخزاية بمعنى الحياء فى ضيفى فى شأنهم فان اخزاء
ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدى الى الحق ويرعوى
عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو
اتيان الذكران قال لو ان لى بكم قوة لو قويت بنفسى على دفعكم او اوى الى ركن شديد
الى قوى اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدته وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخى لوطا
كان ياوى الى ركن شديد وقرئ او اوى بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لى بكم قوة او اويا و
جواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روى انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء

الباب

الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملئكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن
يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب
جبرائيل عليه الصلوة والسلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء
النجاء فان فى بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسرا وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث
وقع فى القران من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا
ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك
ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف
فانه ان فسر بالنظر الى الوراء فى الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابى عمرو بالرفع على البدل
من احد ولا يجوز حمل القراءتين على انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعانى المتناقضة والاولى
جعل الاستثناء فى القراءتين عن قوله لا يلتفت مثله فى قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر
القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك
علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على
قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسرا اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال
لوط عليه الصلوة والسلام واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل
التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اى
الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبرائيل عليه
السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح
الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين
متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل معرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته
والمعنى من مثل الشئ المرسل او من مثل العطية فى الادرار او من السجل اى مما كتب الله ان يعذبهم
به وقيل اصله من سجين اى من جهنم ابدلت نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم او نضد فى
الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة

اى علامة

للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به
عند ربك فى خزاينه وما هى من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم و
فيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلوة والسلام انه سأل جبرائيل عليه الصلوة والسلام فقال يعنى ظالمى
امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى
قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان والى مدين
اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه الصلوة والسلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك
الامر كله ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض انى اريكم بخير بسعة
تغنيكم عن البخس او نعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا
تزيلوها بما انتم عليه وهو فى الجملة علة للنهى وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم
وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستيصال وتوصيف
اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء بعد
النهى عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء و
لو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو
مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من
ان يكون فى المقدار او فى غيره وكذا قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق
وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق
والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر صلوات الله وسلامه عليه وقيل معناه ولا
تعثوا فى الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه
عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع
الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل البقية الطاعة لقوله
والباقيات الصالحات وقرئ تقية بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى وما انا عليكم بحفيظ
احفظكم عن القبايح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت
بوزحل عذرى

حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك
تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم
بصلاته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلى وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس
ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائى وحفص
على الافراد والمعنى اصلوتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره
او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء عطف على ما اى وان نترك فعلنا ما نشاء فى اموالنا وقرئ بالتاء
فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب للنهى عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم
عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا او
وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين
عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى اشارة الى ما اتاه الله
من العلم والنبوة ورزقنى منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه من المال الحلال وجواب الشرط
محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان
اخون فى وحيه فاخالفه فى امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن
دين الاباء والضمير فى منه لله تعالى اى من عنده وباعانته بلا كد منى فى تحصيله وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى ما اريد ان اتى ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لاثرته ولم
اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته
عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامرى بالمعروف
ونهيى عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه
ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعى فى كل
ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق
الناس وكل ذلك يقتضى ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع
الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف
المضاف وما توفيقى الا بالله وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت

وثالثها حق

حيى

فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه
اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبداء واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا
يفيد الحصر بتقديم الصلة على انيب وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي ويذره من الله
تعالى والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم
وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي
معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة
وان بصلته ثاني مفعولي جرم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم
منقول من المتعدي الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح
لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما
قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم
في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم
بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل
والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود
فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة لمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار
قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة التبخيس وما ذكرت دليلا
عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه اولانهم لم يلقوا اليه اذهانهم
لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز
لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى
قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف
من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب
وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات
بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم
عن ايذائه عزة قومه ولذلك قالوا يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا

وجعلتموه

وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون علي لله وتبقون على
لرهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات
النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم
اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة
للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها هاهنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد
ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب و
الصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان
قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو
كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم
او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكره
بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد
وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بالفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة
قيل صاح بهم جبرائيل عليه السلام فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان
كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان
ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل
فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسورة
ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتورية المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا و
افرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على
نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة
والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر
فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى عليه الصلوة والسلام او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات
القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على
من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي

رشد وانما هو غيّ محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النّار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدَمَ بمعنى تقدّم فاوردهم النّار ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزّل النّار لهم منزلة الماء فسمّى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اى بئس المورد الذى وردوه فانّه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنّار بالضدّ والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فانّ من هذا عاقبته لم يكن فى امره رشدا وتفسير له على انّ المراد بالرّشد ما يكون مامون العاقبة حميدها واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيمة يلعنون فى الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرّفد فى هذه الدنيا ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين ذلك النّباء من انباء القرى المهلكة نقصّه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء فى نقصّه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم الهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النّصب على المصدر اذا اخذ القرى اى اهلها وقرئ اذ لانّ المعنى على المضى وهى ظالمة حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانّهم اخذوا لظلمهم وانذار كلّ ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة انّ اخذه اليم شديد وجيع غير مرجوّ الخلاص عنه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير انّ فى ذلك اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصّه الله تعالى من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظة لعلمه بانّ ما حاق بهم انموذج ممّا اعدّ الله للمجرمين فى الاخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانّه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فانّ من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتّفقت فى تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دلّ عليه يوم مجموع له النّاس اى يجمع له النّاس والتغيير للدلالة على ثبات معنى

الجمع

الجمع لليوم وانّه من شانه لا محالة وانّ النّاس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه اهل السّموات والارضين فاتّسع فيه باجراء الظّرف مجرى المفعول به كقوله فى محفل من نواصى النّاس مشهود اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فانّ سائر الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم الّا لاجل معدود الّا لانتهاء مدّة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدّة التاجيل كلّها بالاجل لا لمنتهاها فانّه غير معدود يوم يأت اى الجزاء او اليوم كقوله ان تاتيهم السّاعة على انّ اليوم بمعنى حين او الله عزّ وجلّ لقوله هل ينظرون الّا ان ياتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلّم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة وهو النّاصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الّا باذنه الّا باذن الله كقوله لا يتكلّمون الّا من اذن له الرّحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف اخر او الماذون فيه الجوابات الحقّة والممنوع عنه هى الاعذار الباطلة فمنهم شقىّ وجبت له النّار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنّة بمقتضى الوعد والضّمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانّه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلّم نفس او للنّاس فامّا الذين شقوا ففى النّار لهم فيها زفير وشهيق الزّفير اخراج النّفس والشّهيق ردّه واستعمالهما فى اوّل النّهيق واخره والمراد بهما الدّلالة على شدّة كربهم وغمّهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضمّ خالدين فيها ما دامت السّموات والارض ليس لارتباط دوامهم فى النّار بدوامهما فانّ النّصوص دالّة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم من زوال السّموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامها دوامه الّا من قبل المفهوم لانّ دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت انّ المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدلّ عليه قوله تعالى يوم تبدّل الارض غير الارض والسّموات وانّ اهل الآخرة لا بدّ لهم من مظلّ ومقلّ وفيه نظر لانّه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدلّ على دوام الثّواب والعقاب فلا يجدى له التشبيه الّا ما شاء ربك استثناء من الخلود فى النّار لانّ بعضهم وهم فسّاق الموحّدين

لا ينقطع

يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم
المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدإ معين ينتقض
باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن
قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه
لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف
لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين
في شخص باعتبارين اولان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك
اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله
ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقف في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا
في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى
هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله فيها زفير وشهيق
وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك
من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض **إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ** من غير
اعتراض **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ
رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان
المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التابيد
وقرأ حمزة والكسائي وحفص سُعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء
نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة **فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ** شك بعد ما انزل
عليك من مآل الناس **مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ** من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل
ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر
ولا ينفع **مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ** استيناف معناه تعليل النهي عن المرية
اي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا
الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل

باعتبار الابتداء كما ينتقض صح

في

في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه **وَإِنَّا
لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ** حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخر العذاب عنهم مع
قيام ما يوجبه **غَيْرَ مَنْقُوصٍ** من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه
ولو مجازا **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ** فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة **لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ** بانزال ما يستحقه المبطل
ليتميز به عن المحق **وَإِنَّهُمْ** وان كفار قومك **لَفِي شَكٍّ مِنْهُ** من القرآن **مُرِيبٍ** موقع للريبة **وَإِنَّ كُلًّا**
وان كلا من المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو
بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل **لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ** اللام الاولى موطئة للقسم والثانية
للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لمّا بالتشديد على ان اصله
لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم
ربك جزاء اعمالهم وقرئ لمًّا بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لمّا وان كل لمّا على ان ان نافية ولما بمعنى الا
وقد قرئ به **إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** فلا يفوت شيء منه وان خفي **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ** لما بين امر
المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعيد والوعيد امر رسوله بالاستقامة في العقايد
كالتوسط مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث
يبقى العقل مصونا عن الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرايع كما انزل والقيام بوظايف
العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه
الصلوة والسلام شيبتني سورة هود **وَمَنْ تَابَ مَعَكَ** اي تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو
عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه **وَلَا تَطْغَوْا** ولا تخرجوا
عما حد لكم **إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل
على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا** فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون
الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية

ليوفينهم ربك اعمالهم فيه حسن او قبيح وايمان وجحود كشاف

والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك كذا

ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين
بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط
فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا على لغة بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا
على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم
والواو للحال ثم لا تنصرون اى ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم
وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة
الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون
اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من
الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهي جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة
الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان
ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون
كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها
وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله
فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات
وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدل عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود
ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا
كان من القرون من قبلكم اولو بقية من الرأي والعقل او اولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل
يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ويجوز ان يكون
مصدرا كالتقية اى ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية
وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن
انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من
النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل

اسبابها

اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال
الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله و
اتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على
اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اى واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهور
ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا
يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء
عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل
الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من
كل واحد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا يكاد تجد
اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول
دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة
او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين اى من عصاتهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك
من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود
من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى
الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به
فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق
وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على
مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم
نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا تخفى عليه خافية مما فيهما
واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي
تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم انما
فيجازي ما تستحقوه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد

من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة
من الشهداء ان شاء الله تعالى

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب اى تلك الآيات آيات
السورة الظاهرة امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود
مما سألوه اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام
الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اى الكتاب قرانا عربيا سمي البعض قرانا لانه
في الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه
اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير
فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا
او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك
ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن
الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما نقص لاشتماله على العجايب والحكم
والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه
بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص
على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم
تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي مخففة من المثقلة واللام
هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب
باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب
به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه
يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وعنه عليه السلام الكريم بن الكريم بن الكريم
ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث

لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض
حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي
الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى
الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة
الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله
هذا تأويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روى عن جابر رضي الله تعالى عنه ان يهوديا جاء
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام
فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان
والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلت من السماء
فسجدن له فقال اليهودي اى والله انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استيناف ببيان حالهم
التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن
صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثني عشر سنة لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله تعالى يصطفيه
لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما
يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق
المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب
عند فراغه من تدبير البدن او في فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان
المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة
المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا
احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تأكيدا ولذلك
اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه
الصلوة والسلام وحواء رضي الله تعالى عنها فلا يألو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم
على الكيد وكذلك اى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك

للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ
خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك
ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله تعالى
وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته
عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى ال يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله
استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم
بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك
او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء
حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم ايات دلائل قدرة
الله تعالى وحكمته او علامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد
باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت
خالته ليا تزوجها يعقوب عليه السلام اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين
ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة اخرون وهم دان ونفتالي وجاد واشر
من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه
بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه الواحد وما فوقه والمذكر
وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة
اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة من العصابة العشرة فصاعدا سموا
بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيل المفضول او لترك التعديل
في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى
الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف
من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون
او دان ورضي به الاخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها
ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه

ابيكم

ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا
جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله
او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه
بعذر تمهدونه او صالحين في امور دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل
منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم و
القوه في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع في غيابات على
الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه ياخذه بعض السيارة
بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه
وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن
نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رايه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم
والمشهور تامنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من
كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها من
الرتعة وهي الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه
من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على
اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء
وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة
صبري عنه واخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذأبة وقيل راى في المنام ان الذئب قد
شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية ابن زيد وابو عمرو وقفا وعاصم
وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم
بالرتع واللعب او بقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة
للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار
والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها
والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام

يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا
به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما
عاهدتمونى ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا
قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا على قميصى اتوارى به فقالوا
ادع احد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويونسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها
ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكى فجاء جبرائيل عليه السلام بالوحى كما
قال وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحى اليه فى صغره كما اوحى
الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفى القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار جرد عن ثيابه
فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم عليه السلام الى اسحق واسحق
الى يعقوب وجعله فى تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل عليه السلام والبسه يوسف لَتُنَبِّئَنَّهُمْ
بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا لتحدثنهم بما فعلوا بك وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ انك يوسف لعلو شانك وبعده
عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين
دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤل اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه
وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اى انسناه بالوحى وهم لا يشعرون ذلك وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً اخر النهار وقرئ عُشَيًّا وهو تصغير عشى وعُشى بالضم والقصر جمع اعشى
اى عشوا من البكاء يَبْكُونَ متباكين روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بنى واين
يوسف قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ نتسابق فى العدو او الرمى وقد يشترك الافتعال
والتفاعل كالانتضال والتناضل وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ
لَنَا بمصدق لنا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ
بِدَمٍ كَذِبٍ اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب
على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين وكدب بالدال الغير المعجمة اى كدر او طرى وقيل اصله البياض
الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق وعلى قميصه فى موضع النصب على الظرف
اى فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روى انه لما سمع بخبر يوسف

صاح وسأل قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال
ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ
لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا اى سهلت لكم وهونت فى اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى
فيه اى الى الخلق وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ على احتمال ما تصفونه من هلاك
يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ رفقة يسيرون
من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فَأَرْسَلُوا
وَارِدَهُمْ الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ فارسلها
فى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف عليه السلام فلما راه قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ نادى البشرى
بشارة لنفسه او لقومه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على
اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراى بالاضافة وقرئ بشرى بالادغام وهى لغة وبشراى
بالسكون على قصد الوقف وَأَسَرُّوهُ اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره
وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان
يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا
هذا غلام منا فاشتروه فيها وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بِضَاعَةً نصب على الحال اى اخفوه
متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ
لم يخف عليه اسرارهم او صنع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وَشَرَوْهُ وباعوه وفى مرجع
الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بِثَمَنٍ بَخْسٍ مبخوس لزيفه او نقصانه دَرَاهِمَ بدل
من الثمن مَعْدُودَةٍ قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها وقيل كان
عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وَكَانُوا فِيهِ فى يوسف مِنَ الزَّاهِدِينَ الراغبين عنه
والضمير فى وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم
التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف عن انتزاعه مستعجل فى بيعه وان كانوا متبايعين
فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو

متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي
اشتراه من مصر وهو العزيز كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك
يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد امن بيوسف ومات في حيوته وقيل كان فرعون موسى
عاش اربع مائة قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون
يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء وروي انه اشتراه العزيز وهو ابن
سبعة عشر سنة ولبث في منزله ثلاث عشر سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث و
ثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير
الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل
ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى
احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه
ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز
مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما
وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه
وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره
ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور
الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبئة عن الحوادث الكائنة
ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل بسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء
ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده
منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف على ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب
ومبدؤه بلوغ الحلم اتيناه حكما وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني
علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك جزاء على احسانه
في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت

بالاخلاص

بالعفة والاجتناب عن المعاصي

ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب الشيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت
سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة
على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له
بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كفيض وهي لغة فيه وقرئ هئت كجئت وهو من هاء يهيء اذا تهيأ
وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير
احسن تعهدي وقال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي خالقي واحسن منزلتي
بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم
على المزني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده و
العزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد
الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن
الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه في
قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها
في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب لولا محذوف يدل عليه وقيل راى جبريل عليه السلام وقيل
تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك
اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا
انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر
في كل القران اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى
الابتدار وذلك لان يوسف عليه السلام فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته
من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره
على يوسف واغراءه انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي
طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد
من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم في المهد اربعة وهم صغار

ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام وانما القى الله الشهادة على لسان
اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت
قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية
محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع
بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره ذلك قولك ان احسنت الى فقد احسنت اليك
من قبل فان معناه ان تمتن على باحسانك امتن عليك باحساني السابق وقرئ من قبلُ ومن دبرُ بالضم
لانهما قطعا عن الاضافة كقبلُ وبعدُ وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين
فلما راى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا
الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف
واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف
حذف حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل
انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال
نسوة هي اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرده فعله وضم النون لغة فيها
في المدينة ظرف لقال اى اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز
والسجان وصاحب الدواب امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها
والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق
شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها
من شعف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد
عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره
او قلن ذلك لترين يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل
دعت اربعين امراة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد واتت كل واحدة
منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشتغلن عن نفوسهن

فتقطع

مكرهن بحر

فتقطع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على
اربعين امراة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام
والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل ٭ فظللنا بنعمة واتكأنا ٭ وشربنا الحلال من قلله ٭ وقيل
المتكا طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة
كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكاء من تكئ تتكأ اذا اتكأ وقالت
اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفايق وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رايت يوسف
ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت
المراة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اى حضن له من
شدة الشبق كما قال المتنبي ٭ خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ٭ فان لحت حاضت في الخدور العواتق — ولستر ذا الجمال
وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز و
تعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا
وهو حرف تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك
وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل
من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف عليه الصلوة والسلام اى صار في ناحية لله مما يتوهم فيه



ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة اهل الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها
في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان
الجمع بين الجمال الرايق والكمال الفايق والعصمة البالغة من خواص الملئكة او لان جماله فوق جمال البشر
ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اى فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه الافتتان
به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه
فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة
اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما امره اى ما امر به
فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين
الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن

وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك بالخفيفة
لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه
اي آثر عندي من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه
واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن
وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في
تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى
انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها
وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني
اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه
فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن
نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين
اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد
ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف عليه الصلوة والسلام كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء
ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت
زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في
السجن بضع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة
هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك
شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني في المنام
اى ارى
وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر يعني الخباز اني اراني
احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين
من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر
الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه

قال

قصصتما

قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اي بتأويل ما قصصتما علي او بتأويل الطعام
يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كأنه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما
الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألا منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء
في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة و
التعبير قبل ان يأتيكما ذلكما ذلك التأويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن
والتنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك
لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة
واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان
يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكد كفرهم بالآخرة
وتاكيدلهم
ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من
فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر
وتنبيههم لهم
الناس اي المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا
وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة
ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق
الليلة اهل الدار أأرباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد القهار
المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما
ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكأنكم لا تعبدون
الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها
باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه
الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه عليهم السلام ان لا تعبدوا الا اياه
الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في
الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان

ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير
وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي
العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي
السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما
الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه
تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان
استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان
يوسف عليه الصلوة والسلام ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن با
ليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي
ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله
تعالى حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند
ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة
في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء عليهم السلام فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين
الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
لما دنا فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت
المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات
قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص
من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف
لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفا لكنه حمل على
سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين
بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور
وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان
الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى

باللام

باللام
باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام
وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما
جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما
نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل
للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي
السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف عليه الصلاة والسلام بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي
مدة طويلة وقرئ إمة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه
يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون الى من عنده علمه
او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاء فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو
المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي
ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون
تاويلها او فضلك او مكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه
ولا بعلمهم قال تزرعون سبع سنين دابا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين
او المصدر باضمار فعله اي تدابون دابا ويكون الجملة حالا وقرا حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدرا
داب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله
لئلا ياكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة من العبارة الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي
اي تعبير الرؤيا
من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على
المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من
بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون
ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرا حمزة والكسائي بالتاء على تغليب
المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله
او يغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر

وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اوّل البقرات السّمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة
والعجاف اليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السّمان باكل ماجمع فى السّنين المخصبة
فى السنين المجدبة ولعلّه علم ذلك بالوحى اوبانّ انتهاء الجدب بالخصب اوبانّ السّنة الالٰهيّة على ان يوسّع على عباده بعد ما ضيّق عليهم وقال الملك ائتونى به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير
فلمّا جاءه الرّسول ليخرجه قال ارجع الى ربّك فاسأله ما بال النسوة اللّاتى قطّعن ايديهنّ
انّما تانّى فى الخروج وقدّم سؤال النسوة وفحص حالهنّ ليظهر براءة ساحته ويعلم انّه سجن
ظلما فلا يقدر الحاسدون ان يتوسّلوا به الى تقبيح امره وفيه دليل على انّه ينبغى ان يجتهد فى نفى التّهم
ويتّقى مواقعها وعن النّبىّ صلى الله تعالى عليه وسلّم لوكنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت
الاجابة وانّما قال فاسأله ما بال النّسوة ولم يقل فاسأله ان يفتّش عن حالهنّ تهييجا له على
البحث وتحقيق الحال وانّما لم يتعرّض لسيّدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ
النُّسوة بضم النّون انّ ربّى بكيدهنّ عليم حين قلن لى اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهنّ والاستشهاد
بعلم الله عليه وعلى انّه برئ ممّا قذف والوعيد لهنّ على كيدهنّ قال ما خطبكنّ قال الملك لهنّ
ما شانكنّ والخطب امر يحقّ ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتنّ يوسف عن نفسه قلن حاش
لله تنزيه له وتعجّب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب
قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحقّ ثبت واستقرّ من حصحص البعير اذا القى
مباركه ليناخ قال ~ فحصحص فى صمّ الصّفا ثفناته ~ وناء بسلمى نوأة ثمّ صمّما او ظهر
من حصّ شعره اذا استاصله بحيث ظهر بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته
عن نفسه وانّه لمن الصّادقين فى قوله هى راودتنى عن نفسى ذلك ليعلم قاله يوسف عليه السلام
لمّا عاد اليه الرّسول واخبره بكلامهنّ اى ذلك التّثبّت ليعلم العزيز انّى لم اخنه بالغيب بظهر
الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عنّى او ظرف
اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وانّ الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه
ولا يسدّده اولا يهدى الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل
فى خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقّبه بقوله وما ابرّئ نفسى اى لا انزهها

تنبيها

تنبيها على انّه لم يرد بذلك تزكية نفسه والاعجاب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق
وعن ابن عباس رضى الله عنهما انّه لمّا قال ليعلم انّى لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال انّ ذلك هو
النّفس لامّارة بالسّوء من حيث انّها بالطّبع مائلة الى الشّهوات فتهمّ بها وتستعمل القوى
والجوارح فى اثرها كلّ الاوقات الّا ما رحم ربّى الّا وقت رحمة ربّى او الّا ما رحمه الله من النّفوس
فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربّى هى الّتى تصرف الاساءة وقيل الاية
حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسّو على قلب الهمزة واوا ثمّ
الادغام انّ ربّى غفور رحيم يغفر همّ النّفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه والمعترف
على نفسه ما استغفره ويرحمه ما استرحمه ممّا ارتكبه وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى استغفره
اجعله خالصا لنفسى فلمّا كلّمه فلمّا اتوا به فكلّمه وشاهد منه الرّشد والدّهاء قال انّك اليوم
لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كلّ شئ روى انّه لمّا خرج من السّجن اغتسل وتنظّف
ولبس ثيابا جددا فلمّا دخل على الملك قال اللّهمّ انّى اسالك من خيره واعوذ بعزّتك وقدرتك من شرّه
ثمّ سلّم عليه ودعا له بالعبريّة فقال ما هذا اللّسان قال لسان ابائى واجدادى وكان الملك يعرف سبعين
لسانا فكلّمه بها فاجابه بجميعها فتعجّب منه قال احبّ ان اسمع رؤياى منك فحكاها ونعت له البقرات
والسّنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السّرير وفوّض اليه امره وقيل توفّى قطفير فى تلك
اللّيالى فنصبه منصبه وزوّج منه راعيل فوجدها عذراء وولد منها افرائيم ومنشا قال اجعلنى
على خزائن الارض ولّنى امرها والارض ارض مصر انّى حفيظ لها ممّن لا يستحقّها عليم بوجوه
التصرّف فيها ولعلّه عليه السّلام لمّا رأى انّه يستعمله فى امره لا محالة آثر ما تعمّ فوائده وتجلّ عوائده
وفيه دليل على جواز طلب التّولية واظهار انّه مستعدّ لها والتّولى من يد الكافر اذا علم انّه لا سبيل
الى اقامة الحقّ وسياسة الخلق الّا بالاستظهار به وعن مجاهد انّ الملك اسلم على يده وكذلك مكّنّا
ليوسف فى الارض ارض مصر يتبوّأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ
ابن كثير نشاء بالنّون نصيب برحمتنا من نشاء فى الدّنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين
بل نوفّى اجورهم عاجلا واجلا ولاجر الاخرة خير للّذين آمنوا وكانوا يتّقون الشّرك و
الفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روى انّه لمّا استوزره الملك اقام العدل

واجتهد فى تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعمّ القحط مصر
والشام ونواحيها وتوجّه اليه الناس فباعها اوّلاً بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم
شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم
جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأى رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد
اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب عليه الصلاة والسلام بنيه غير بنيامين
اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اى عرفهم يوسف عليه السلام ولم يعرفوه لطول
العهد ومفارقتهم اياه فى سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله
التى راوه عليها من حاله التى فارقوه وقلة تاملهم فى حلاه من التهيب والاستعظام
ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد
من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها و
قرئ بجهازهم بالكسر قال ائتونى باخ لكم من ابيكم روى انهم لما دخلوا عليه قال من انتم
وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبى من الانبياء
اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم
انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن
يشهد لكم قالوا لا يعرفنا احد هاهنا فيشهد لنا فقال دعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى باخيكم
من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصاب شمعون وقيل كان يوسف يعطى لكل نفر حملا فسألوا
حملا زائدا للاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوا به ليعلم صدقهم الا ترون انى اوفى
الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان يوسف احسن انزالهم وضيافتهم فان لم
تاتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون اى ولا تقربونى ولا تدخلوا ديارى وهو اما نهى او نفى
معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد فى طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه
اى طلب
وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ الكسائى وحفص وحمزة لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق
قوله اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبى فيه بضاعتهم التى شروا بها
الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسعا وفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن

الطعام

الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها
او لكى يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى
الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين
فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائى بالياء على اسناده للاخ
اى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه
الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم فى يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض
امره اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمنى بحفظه ولا يجمع على مصيبتين وانتصاب حفظا
على التمييز وحافظا فى قراءة حمزة والكسائى وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير
حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة
الدال المدغمة الى الراء نقلها فى بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغى ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا و
احسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغى فى القول ولا نزيد
فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغى على الخطاب اى اى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان او من
الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقولهم ما نبغى ونمير اهلنا معطوف
على محذوف اى ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف
فى ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية
واما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجملة معطوفة على ما نبغى اى لا نبغى فيما نقول
ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اى مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان
يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير
اى ذلك شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل
بعير شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون
موثقا من الله حتى تعطونى ما اتوثق به من عند الله اى عهدا مؤكدا بذكر الله لتاتننى به جواب
القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتننى به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك
او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم ~~لتعليل على ان قوله لتاتننى بعض~~ الاحوال والتقدير

لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تاويل النفي اى لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقوله اقسمت بالله الا فعلت اى ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة عظمة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك يصيبهم عين في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليه خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضي عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضي عليكم بسوء ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين الواو والفاء في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء عليهم الصلاة والسلام سبب وهو علة لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راى يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه الصلاة والسلام فسرقوا او اخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اى ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحزازته ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ

به سهم

وجعل

اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من شر كل هامة ومن شر كل عين لامة

وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقل بامر يوسف او كان بتعبية السقاية والنداء عليها برضاء بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انتم لسارقون والعير القافلة وهي اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اى تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصله فعل كسقف ففعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اى شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا يتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اى جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم قبل المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اى السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته

اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم
ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذى له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق
كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون
يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما
شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص
عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به فى حكمهم وقيل كان لابى امه صنم فسرقه وكسره
والقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف فى نفسه
ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل
انها كناية بشريطة التفسير بتفسيرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى
قال فى نفسه انتم شر مكانا اى منزلة فى السرقة لسرقتكم اخاكم او فى سوء الصنيع مما كنتم عليه
وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما
تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فى السن
او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك
يستانس به انا نراك من المحسنين الينا فاتم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير
عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو
اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون فى مذهبكم هذا وان مراده ان الله تعالى اذن فى ان اخذ من وجدنا
الصاع فى رحله لمصلحة ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيئسوا منه يئسوا من
يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزى استايسوا بالالف وفتح الياء من
غير همز واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا
متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندى واندية الم
تعلموا ان اباكم قال كبيرهم فى السن وهو روبيل او فى الرائى وهو شمعون وقيل يهوذا الم
تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا
منه لانه باذن وتاكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم فى يوسف قصرتم فى شانه

وما

ومامزيدة ويجوز ان يكون مصدرية فى موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس
بالفصل بين العطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره فى يوسف او من قبل او الرفع
بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى
لا ينقص وان تكون موصولة اى ما فرطتموه بمعنى اى ما قدمتموه فى حقه من الخيانة ومحله
ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لى ابى فى الرجوع اليه او يحكم الله لى
او يقضى لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا
العزيز فى اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل
ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنوا يعقوب
اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد لبزرا من
بزر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان
ابنك سرق على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اى نسب الى السرقة وما شهدنا
الا بما علمنا بان راينا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين
فلا ندرى انه سرق او سرق ودس الصاع فى رحله او ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطينا
المواثيق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسئل القرية التى كنا فيها يعنى
مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسئلهم عن القصة والعير التى
اقبلنا فيها واصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد فى محل القسم
قال بل سولت اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت
لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر
جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتينى بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذى
توقف بمصر انه هو العليم بحالى وحالهم الحكيم فى تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف
منهم وقال يا اسفى على يوسف اى يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف
بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث رزءهما لان رزءه كان قاعدة
المصيبات وكان غضا اخذ بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحيوتهما دون حيوته وفى الحديث

فامرى صبر جميل صح

لم تُعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا يرى الى يعقوب
حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ لكثرة بكائه من الحزن
كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمى وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف
والبكاء عند التفجع ولعل امثاله ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد
ولقد بكا رسول الله على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب
وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فَهُوَ كَظِيمٌ مملوّ من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه لا يظهره فعيل
بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين
من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها فى جوفه قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ
اى لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا
يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفى حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا
مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى اذابه هم او مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لا
يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنيف وقد قرئ به فبضمتين كجنب أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ
من الميتين قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي همى الذى لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر إِلَى
اللَّهِ لا الى احد منكم ومن غيركم فخلونى وشكايتى وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ من صنعه ورحمته وانه لا يخيب
داعيه ولا يدع الملتجئ اليه مَا لَا تَعْلَمُونَ او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف
قيل راى ملك الموت فى المنام فسئله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى
يخر له اخوته سجدا يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ فتعرفوا منهما وتفحصوا
عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه
وقرئ من رُوح الله اى من رحمته التى يحيى بها العباد إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ
بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته فى شئ من الاحوال فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ
بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ شدة الجوع وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ردية
او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا
وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ فاتم

كشنى بابا خرماى

لنا الكيل وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجية او بالزيادة على ما يساويها واختلف
فى ان حرمة التصدق تعم الانبياء او تختص نبينا عليه الصلوة والسلام إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ
احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام فى القصر هذه صدقة تصدق الله بها
عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ
وَأَخِيهِ اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع
ان يكلمهم الا بعجز وذلة إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك
تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة والشفقة عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا
وقيل اعطوه كتاب يعقوب فى تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف
واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين
قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأ ابن
كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه
وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة
ويعقوب مثلها قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي من ابى وامى ذكره تعريفا لنفسه به
وتفخيما لشانه وادخالا له فى قوله قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بالسلامة والكرامة إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ
اى يتق الله وَيَصْبِرْ على البليات او على الطاعات وعن المعاصى فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى
والصبر قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال
السيرة وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قَالَ
لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذى يغشى
الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب ماء الوجه
الْيَوْمَ متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا النافية والمعنى لا اثربكم اليوم
الذى هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ لانه صفح عن جريمتهم حينئذ
واعترفوا بها حينئذ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب

ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن
نستحى منك لما فرطنا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الىّ بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت فى عيونهم حيث علموا انكم
اخوتى وانى من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصى هذا القميص الذى كان عليه وقيل القميص المتوارث
الذى كان فى التعويذ فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا يرجع بصيرا اى ذا بصر وأتونى انتم وابى
باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها
قال ابوهم لمن حضره انى لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به
اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبونى الى الفند وهو نقصان عقل يحدث
من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى
او لقلت انه قريب قالوا اى الحاضرون تالله انك لفى ضلالك القديم لفى ذهابك عن الصواب
قدما بالافراط فى محبة يوسف واكثار ذكره وتوقع لقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روى
انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح البشير
القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة
قال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال الفرج وقيل انى اعلم كلام مبتدأ
والمقول لا تيأسوا من روح الله او انى لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا
خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربى
انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى
ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روى
انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل
جبرائيل عليه السلام وقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو
ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روى انه
وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبل يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين
دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة

وسبعين



وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى اوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة
الام كتنزيل العم منزلة الاب فى قوله واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها
بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من القحط واصناف المكاره و
المشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم
ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجريها وقيل
معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور
وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل رايتها ايام الصبى
قد جعلها ربى حقا صدقا وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا
عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى واهل البدو من بعد ان نزغ
الشيطان بينى وبين اخوتى افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى
ان ربى لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وينفذ فيه مشيته ويتسهل دونها
انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذى يفعل كل شئ فى وقته على وجه يقتضى الحكمة روى
ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام فى خزائنه فلما ادخله خزينة القرطاس قال يا بنى ما اغفلك عندك
هذه القراطيس وما كتبت الىّ على ثمان مراحل قال امرنى جبرائيل عليه السلام قال اوما تسأله قال
انت ابسط منى اليه فسأله قال جبرائيل الله امرنى بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال
فهلا خفتنى رب قد اتيتنى من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتنى من تاويل الاحاديث
الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما
وانتصابه على انه صفة المنادى برأسه او منادى برأسه انت وليى ناصرى او متولى امرى فى
الدنيا والاخرة الذى يتولى لى بالنعمة فيهما توفنى مسلما اقبضنى والحقنى بالصالحين من ابائى
او بعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة روى ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفى
واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده ثلثا وعشرين
سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر
فى مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق من مرمر ويدفنوه فى النيل بحيث يمر عليه

الماء ثم يصل الى مصر فيكون شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين
سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب عليه السلم
ذلك الى ما ذكر من نبإ يوسف والخطاب فيه للرسول عليه السلم وهو مبتدأ من انباء الغيب اشارة
نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى
ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به
من ان يجعلوه فى غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لا يخفى
على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء
بذكره فى غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس
ولو حرصت على ايمانهم وبالغت فى اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر
وما تسئلهم عليه على الانباء او القرآن من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو
الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من آية وكم من آية والمعنى وكاين عدد
شيئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده فى السموات
والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير
فى عليها وبالنصب على ويطؤن الارض وقرئ والارض يمشون عليها اى يترددون
فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله فى اقرارهم بوجوده وخالقيته الا
وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبنى اليه او القول بالنور والظلمة
او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية فى مشركى مكة وقيل فى المنافقين وقيل فى اهل الكتاب
افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشيهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة
فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلى يعنى
الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من اليا
على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر فى ادعوا او على بصيرة لانه حال منه
او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعنى عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه

تنزيها

تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل
معناه نفى استنباء النساء يوحى اليهم كما اوحى اليك وتميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى فى كل
القرآن ووافقه حمزة والكسائى فى سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم بذلك واحلم من
اهل البدو افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل
والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المنهمكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار
الآخرة ولدار الحالة او الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصى افلا تعقلون
يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل
هذه سبيلى اى قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيئس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اى
لا يغررهم تمادى ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا او عن ايمانهم
لانهماكهم فى الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اى كذبتهم انفسهم
اى مانع
حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اى وظن المرسل
اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثانى للرسل اى وظنوا
ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس فى القلب
على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة فى التراخى والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير
الكوفيين بالتشديد اى ظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ بالتخفيف وبناء الفاعل
اى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجى
من نشاء من النبى والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم
لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرئ فنجا
ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان فى قصصهم فى
قصص الانبياء واممهم او فى قصة يوسف واخوته عبرة لاولى الالباب لذوى العقول المبرأة عن
شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق
الذى بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شىء يحتاج اليه فى الدين اذ ما من امر دينى الا وله

سند من القرآن بوسط او غير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم
يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم
تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة
الى آياتها اى تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله
الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء
وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا
فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتداء و
خبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب
واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد
برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية
لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني
يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش
بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع
في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع
دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء
والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم
بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء
وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليه الاقدام
ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء

للتانيث

خبر المونة

للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان
الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اى وجعل فيها
من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي
الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي
بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على
وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة
وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص
قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما
يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب
والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد
الزرع لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على
وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان متفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم
وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمرات
شكلا وقدرا ورايحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب
لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تاويل ما
ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من
قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدا فهي
دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ائذا كنا ترابا
ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك
الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال
لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط
الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك

انهم استعجلوا بما هُدِّدوا به من عذاب الدنيا استهزاء **وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ** عقوبات
لامثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء
وضمها كالصَّدُقة والصُّدْقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت
الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين و
المثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الميم على انها جمع مثلة كركبة وركبات **وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ** مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة
والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم
بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اوّل المغفرة بالستر والامهال **وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ**
للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ** لعدم اعتدادهم
بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام **إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ** مرسل
للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات **وَلِكُلِّ
قَوْمٍ هَادٍ** نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم
الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل
من الآيات ثم اردف ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى
قادر على انزال ما اقترحتموه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر
على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ**
اى حملها او ما تحمله وانه على اى حال من الاحوال الحاضرة والمترقبة **وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ** وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين
عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم
ابن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال
الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم
الحيض وزيادته وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما

لازمين

لازمين تعين ان يكون ما مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها **وَكُلُّ
شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ** بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى
خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسبوقة اليه تقتضي ذلك **عَالِمُ الْغَيْبِ**
الغائب عن الحس **وَالشَّهَادَةِ** الحاضر له **الْكَبِيرُ** العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء **الْمُتَعَالِ**
المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه **سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ
الْقَوْلَ** في نفسه **وَمَنْ جَهَرَ بِهِ** لغيره **وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ** طالب للخفاء في مختبأ بالليل
وَسَارِبٌ بارز **بِالنَّهَارِ** يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف
على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف
بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله **لَهُ** لمن اسر او جهر
او استخفى او سرب **مُعَقِّبَاتٌ** ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا
جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب
فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب
او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين **مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ** من جوانبه او من
الاعمال ما قدم واخر **يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** من بأسه متى اذنب بالاستمهال والاستغفار له
او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى
الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ** من العافية
والنعمة **حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة **وَإِذَا أَرَادَ
اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ** فلا رد له فالعامل في اذا ما دل عليه الجواب **وَمَا لَهُمْ مِنْ
دُونِهِ مِنْ وَالٍ** ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال
هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا من اذاه **وَطَمَعًا** في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير
المضاف اى ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين
على اضمار ذوي او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره

ماد ووال ووات وما عندنا السدات بالقوت
ح ... ـه عاد ووقف ... ان ... الباء ح وصفه
الاربعة الذين ... اصحاب الاربعين
والباحون يصلون بالنحو وبعقون
نجب باء ...

ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو
جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح
سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه
على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبساً بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه
مخاريق من نار يسوق السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل
الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله
حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس
ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة او للحال
فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول
وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتله ورمى عامراً بغدة فمات
في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد
المحال المماحلة المكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف
استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول
او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال
ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه
احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له
الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل
واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله
وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث
لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد
وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم

وفساد

وفساد رايهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون
الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات
الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه
وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم
وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغرف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ
تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد
من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون
من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض
وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤوا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد
والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او بالمفعول له بالغدو والاصال ظرف ليسجد والمراد بهما
الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الظلال انما يعظم ويكثر فيهما والغدو جمع غداة كقنى
وقناة والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال
والدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم
بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم
من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع
الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان
ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب
لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل
تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله
شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار
فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى
يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم

اتخذوا شركاء عاجزين لايقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق
كل شيء لاخالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه
عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد اى المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء وانزل
من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادى منه فسالت
اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى
فيه وتنكيرها لان المطر ياتى على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذى علم الله انه نافع غير
ضار او بمقدارها فى الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا
ومما يوقدون عليه فى النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون
بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلية او متاع كالاوانى والات الحرب والحرث والمقصود
من ذلك بيان منافعها زبد مثله اى ومما يوقدون عليه زبد مثل زبد الماء هو خبثه ومن للابتداء او
التبعيض وقرا حمزة والكسائى وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله
الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فيسيل
به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث فى الارض بان يثبت بعضه فى منافعه
ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والقنى والابار وبالفلز الذى ينتفع به فى صوغ الحلى واتخاذ
الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل فى قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله
فاما الزبد فيذهب جفاء يجفا به اى يرمى به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا
والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث فى الارض ينتفع به اهلها
كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا
لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه
جعل ضرب المثل لشان الفريقين وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة والجنة والذين
لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام
مبتدا لبيان مال غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب
الرجل بذنبه لايغفر منه شيء ومأويهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم

محذوف

محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى القلب لايستبصر فيستجيب
والهمزة للانكار ان يقع شبهة فى تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذووا العقول
المبراة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف
بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم فى كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق
بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة
المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما
ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما يكرهه
النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء او سمعة ونحوها واقاموا الصلوة المفروضة
وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذى وجب عليهم انفاقه سرا لمن لا يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به
ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة
السيئة فيمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغى ان يكون مال اهلها وهى الجنة والجملة
خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولى الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا
بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة اى
جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على
المرفوع فى يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الاخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من
اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة
او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول
الجنة زيادة فى انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة
بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء
للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها
الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعنى مقابلى الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه
من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض بالظلم وتهييج الفتن

الالف بالكسر [illegible]

اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم وسوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اى اهل مكة بالحيوة الدنيا
بما بسط لهم فى الدنيا وما الحيوة الدنيا فى الاخرة فى جنب الاخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة
الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم
الاخرة واغتروا بما هو فى جنبه نذر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات ويهدى اليه من اناب
اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجرى مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم
عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدى
اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الايات الذين امنوا بدل من من او خبر مبتداء محذوف و
تطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته
او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعنى القران الذى هو اقوى المعجزات الا بذكر
الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين امنوا وعملوا الصالحات مبتداء خبره طوبى لهم وهو
فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع و
النصب ولذلك قرئ وحسن مأب بالنصب كذلك مثل ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك ارسلناك
فى امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو
عليهم الذى اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذى اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن
وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذى احاطت بهم نعمته ووسعت كل شئ رحمته فلم يشكروا
نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القران الذى هو مناط المنافع الدينية
والدنياوية عليهم وقيل نزلت فى مشركى مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن
قل هو ربى اى الرحمن خالقى ومتولى امرى لا اله الا هو لا يستحق للعبادة سواه عليه توكلت
فى نصرتى عليكم واليه متاب مرجعى ومرجعكم ولو ان قرانا سيرت به الجبال شرط حذف
جوابه والمراد منه تعظيم شان القران او المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو ان كتابا زعزعت
به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته وتشققت فجعلت

انهارا

انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القران لانه الغاية فى
الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار او لما امنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان
قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرانك الجبال عن مكة حتى يتسع لنا فنتخذ فيها
بساتين وقطايع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصى بن كلاب وغيره
من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو
وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقى بل لله الامر
جميعا بل لله القدرة على كل شئ وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفى اى بل الله قادر على الاتيان
بما اقترحوه من الايات الا ان ارادته لم يتعلق بذلك لعلمه بانه لا يلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله
افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم
لما روى ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قرؤا افلم
يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المأيوس عنه لا يكون الا معلوما صح
ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم
تعلق المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين امنوا من ايمانهم
علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بامنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من
الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير
اليهم شرارها وقيل الاية فى كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله فانه عليه السلام لا يزال
يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول فانه
حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتى وعد الله الموت او القيمة او فتح مكة ان الله
لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب فى كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين
كفروا تسلية لرسول الله ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان
فى دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اى عقابى اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب
عليه بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شئ من اعمالهم ولا يفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف
تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استيناف او عطف على الخبر المقدر للمبتداء اى افمن

هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء والخبر لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه
موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها
والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه
وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم الله او بصفات لهم
يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر
من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي
على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام
بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي
وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه
للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة
اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد
المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة
وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة
جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها
دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة
عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع
للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب
كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان
وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين
تحزبوا على رسول الله بالعداوة ككعب بن اشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه
وهو ما يخالف شرائعهم او يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب
للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم
الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في
يجب

جز

في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب
واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع
فمما يختلف بالاعصار (زمان) والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل
على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا
مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم
التي يدعونك اليها بتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك
من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم
لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم كما هي لك ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
بشرا امثالك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح له
ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية يقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليّ بذلك
لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحوا
الله ما يشاء يستصوب نسخه ويثبت ما يقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت
الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت
ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو
اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك
وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير
وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون
له وهذا طلائعه اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على
المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال
وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم
نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء

وينسخ ماصح

في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر
دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها
وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة
منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام يدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في
الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون
والذين كفروا والكفر اى اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا
قيل المراد رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي
ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه
من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ والله هو اى وكفى بالذي
يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من
قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول يرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز
ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ من عنده علم بالحرف والبناء للمفعول
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب
مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم عليه الصلوة والسلام مكية وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اى هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات
من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي
هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله
الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسئل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه
مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله
الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف و
الذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق

وويل

ويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل
نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات
الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان
يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ
ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا انكب وليس فصيحا لان في صده
مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه
فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب
على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه
بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف
به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم و
بعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغير
هم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من
الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم
المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ
بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع ككتد وعمد وقيل الضمير
في قومه لمحمد عليه السلام وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل
عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوها لم ينزل ليبين للعرب
فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب
على مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا
وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اى اخرج لان في الارسال معنى القول او بان
اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام
الله بوقايعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك

لآيات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من
قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر و
الشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان
المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من آل فرعون اى
اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة
وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون
او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه
مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم
واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء
من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة
واذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما
لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من
الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد
فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد و
يعرض بالوعيد والجملة مقول قول محذوف او مفعول تأذن على انه يجري مجرى قال
لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني
عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود يحمده الملائكة وينطق بنعمه ذرات المخلوقات
فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب
الشديد الم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام
مبتداء من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين
من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم
الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم
اى نسب

في

في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها
تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا
بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها
في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اى
ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم
اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به
على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع
في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك
ادخلت همزة الانكار الى الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اى انما ندعوكم الى الله وهو
لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض
وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة
كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم
وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن
تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان
وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول
الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم
الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا
لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان
مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا
به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر
مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم
بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض
بمشيئته تعالى وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اى ليس لنا الاتيان بالآيات ولا نستبد به

استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشية الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من
الايات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا
الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل
على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور
كلها بيده وقرا ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب
قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم صح مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل
المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين
اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز
ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن امن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى رسلهم
لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي
ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ
ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى
به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه
العباد للحكومة يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي
بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سالوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء
بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على
فاوحى والضمير للانبياء عليهم السلام وقيل للفريقين فان كلهم سالوه ان ينصر المحق ويهلك وقيل للكفرة صح
المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح واستفتحوا
المؤمنون وخاب كل عات جبار صح متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح
من الكفرة او من القبيلتين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها
في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حيوته وحقيقته ما يواري عنك ويسقى من ماء عطف
على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود

اهل

اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة الماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا
يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق
بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات
وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجليه وما هو بميت فيستريح ومن
ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار
وقيل حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر
في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم واوعد لهم ان يسقيهم
في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدا خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم
صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم
وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرا نافع
الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه
صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها
لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة
لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل
ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق
الم تر خطاب للنبي والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض
بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرا حمزة والكسائي خالق السموات ان يشا يذهبكم
ويات بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض
استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير
الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر
او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان
يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبور
هم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم انهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها

تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه
فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الراى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم
الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم و
استغووهم انا كنا لكم تبعا فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصايحهم وهو جمع تابع
كغايب وغيب او مصدر نعت للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون
عنا من عذاب الله من شىء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة
موقع المفعول اى بعض الشىء الذى هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اى بعض شىء
هو بعض عذاب الله والاعراب ماسبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى
فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع ضللناكم ٧
واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا
لكم مااخترنا لانفسنا ولو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما
عرضناكم له لكن سد دوننا طوق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا
الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على
جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله
سواء علينا كلام الفريقين ويؤيده ماروى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة
عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال
الشيطان لما قضى الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا
فى الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو
الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام
يشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لى عليكم من
سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصى الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم اليها بتسويلى
وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون
الاستثناء منقطعا فاستجبتم لى اسرعتم اجابتى فلا تلوموني بوسوستى فان من صرح

من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا
ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها مايدل عليه
اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما فى فعله وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا ما انا
بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخى بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل
فى التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلث كسرات مع ان
حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحرى ان لا يكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد
ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة
انى كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمونى اى كفرت اليوم
باشراككم اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله يوم القيمة
يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلق بكفرت
اى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام
وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت
زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من
الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم و
يتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله
باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اى تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر
كيف ضرب الله كيف اعتمده ووضعه مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اى جعل كلمة طيبة كشجرة
طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او
خبر مبتداء محذوف اى هى كشجرة وان تكون اول مفعولى ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت
بالرفع على الابتداء اصلها ثابت فى الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها فى السماء ويجوز
ان يريد وفروعها اى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ
ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ تؤتى اكلها تعطى ثمرها كل حين

اقتبه الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون
لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض
لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة
بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق
ولعل المراد بهما ما يعم ذلك والكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعاء الى اصلاح والكلمة الخبيثة ما كان
على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة
والكشوث ولعل المراد بهما ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عند
هم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزالون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس
وشمسون عليهم السلام والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن
معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيمة وروى انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم
يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار
على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت
بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اى شكر نعمة كفرا
بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين
الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه
وشرفهم بمحمد عليه الصلوة والسلام فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا
اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلى هم الافجران من قريش بنو المغيرة
وبنو امية واما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين واحلوا قومهم الذين
شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها
او من القوم اى داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار

اى

اى وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو
ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان
نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي
تمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به
وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادي الذين امنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم
المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف يدل عليه جوابه اى قل لعبادي الذين امنوا اقيموا
الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم
الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر
ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما
خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف
لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل
واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اى انفاق سر وعلانية او على الحال اى ذوي سر وعلانية
او على الظرف اى وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان
يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا
مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق
لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات
والارض مبتدأ وخبره وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به
وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك
ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم
الفلك لتجري في البحر بامره بمشيته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة
لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس و
القمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحان من المكونات وسخر لكم الليل

وَالنَّهَارَ يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ اى بعض جميع ما
سالتموه يعنى من كل شئ سالتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما فى قدرة الله
ولعل المراد بما سالتموه ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سئل اولم يسئل
وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ
من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون
ما نافية فى موقع الحال اى آتاكم من كل شئ غير سائليه وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا لا تحصروها
ولا تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الا
ستغراق بالاضافة إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان
يعرضها للحرمان كَفَّارٌ شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع
ويمنع وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ بلدة مكة آمِنًا ذا امن لمن فيها والفرق بينه
وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول فى الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى الثانى
جعله من البلاد الآمنة وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ بعدنى واياهم أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ واجعلنا منها فى جانب
وقرئ واجنبنى وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على ان
عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته
وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون
بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رَبِّ إِنَّهُنَّ
أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن
واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فَمَن تَبِعَنِي على دينى فَإِنَّهُ
مِنِّي اى بعضى لا ينفك عنى فى امر الدين وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ تقدر ان تغفر
له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك
الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي اى بعض ذريتى او ذرية
من ذريتى فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم
بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ يعنى وادى مكة لانها حجرية لا تنبت عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ الذى حرمت

التعرض له

التعرض له والتهاون به اولم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول
عليه ولذلك سمى عتيقا اى اعتق منه ولما دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما
كان او ما يئول اليه روى ان هاجر كانت لسارة فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل
فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم
ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فراوهما وعندهما عين فقالوا
اشركينا فى مائك ونشركك فى البانها ففعلت رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ اللام لام كى وهى
متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة
الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من
اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل اللام لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة
الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله ان يوفقهم لها فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ
اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم
فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب منى سقيم اى افئدة ناس وقرا
هشام افئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة
كآدر فى ادور وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة تعجلون نحوهم وافدة
بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تَهْوِي إِلَيْهِمْ
تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ تُهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتَهوَى من
هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ مع سكناهم
واديا لا نبات فيه لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى
اليه ثمرات كل شئ حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد رَبَّنَا
إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا
وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى
رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفى من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع
اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع واللجاء الى الله وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ

فى الارض ولا فى السماء لانه العالم بعلم ذاتى يستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق
الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اى وهب لى وانا كبير آئس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر
استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الآية اسمعيل واسحق روى انه ولد له اسمعيل عليه السلام
لتسع وتسعين سنة واسحق عليه السلام لمائة وثنتى عشرة سنة ان ربى لسميع الدعاء اى لمجيبه
من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتدّ به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى
مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسئل منه
الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلنى
مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتى عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض
لعلمه باعلام الله واستقراء عادته فى الامم الماضية انه يكون فى ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء
واستجب دعائى او وتقبل عبادتى ربنا اغفر لى ولوالدى وقرئ ولابوى وقد تقدم عذر
استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحوى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار
من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف او اسند اليه
قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله والمراد به
تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه
معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله
وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون
ليوم تشخص فيه الابصار اى تشخص ابصارهم فلا تقر فى اماكنها من هول ما ترى مهطعين
مسرعين الى الداعى او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة
هو الاقبال على الشئ مقنعى رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم
شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء
اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اى لا رأى
فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر
الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعنى يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم

وهو

وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب
عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب
دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق
واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم
جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت
ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون
الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى كعاد وثمود
واصل سكن ان يعدى بفى كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوؤ فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار
وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون فى منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من
اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اى بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب
او صفات ما فعلوا وفعل بهم التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ
فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم
عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم فى العظم والشدة لتزول
منه الجبال مسوى لازالة الجبال ومعدا لذلك وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم
على ان الجبال مثل لامر النبى ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال
الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائى لتزول بالفتح والرفع على انها
المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى
وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله
لاغلبن انا ورسلى واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثانى ايذانا بانه لا يخلف الوعد
اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب
لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم
يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما

قبل ان لا يعمل فيما بعده وَالسَّمٰوٰتُ على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون
في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت
الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما وعن
علي رضي الله تعالى عنه يبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله تعالى عنهما
يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رض هي تلك الارض وانما تغير
صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه عليه السلام قال يبدل الارض غير الارض فيبسط
ويمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل
بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني أن يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة
على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وَبَرَزُوا
من اجداثهم لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر
في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب
فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ قرن بعضهم مع
بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين
او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم با
لاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم فِي الْأَصْفَادِ
متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد
الخيل قد لاقا صفادا يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد سَرَابِيلُهُمْ قمصانهم مِنْ
قَطِرَانٍ وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى
فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار
حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع
اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل
ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب
اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني

المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ اي وتتغشاها
لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله
كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل
نفس مجرمة مَا كَسَبَتْ او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون لاجرامهم
علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
لانه لا يشغله حساب عن حساب هَٰذَا اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير
او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بَلَاغٌ لِلنَّاسِ كفاية لهم في الموعظة وَلِيُنْذَرُوا بِهِ عطف على
محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق
بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وَلِيَعْلَمُوا
أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه
وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر
لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية
التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا
الله من الفائزين بهما وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة
وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي
بيانا غريبا رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ حين عاينوا حال المسلمين عند نزول
النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف
وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة
تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى

كالماضي في تحققه تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر

له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري

ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم احوال القيمة فان حانت منهم

افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن

ذرهم دعهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار

واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض

اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه

الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها

كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو

كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف

ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اي وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل

على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي عليه الصلوة والسلام على التهكم الا ترى الى

ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون

والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القران لوما تاتينا ركب

لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك و

يعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك

كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء مسندا الى

ضميرهم الله وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملئكة

وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا متلبسا بالحق بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته

ولا حكمة في ان تاتيكم بصورة تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة

فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا

اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملئكة ما كانوا منظرين انا نحن

نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون

أي

اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر لا يخفى تغيير نظمه على

اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل

الضمير في له للنبي عليه السلام ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي

الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به

الكبار والمعنى نبانا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون

كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه

وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في

الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعن والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه يوجد الباطل في قلوبهم

وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك

نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف

اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير لجواز

ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين

اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم وعيدا فيكون

لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون

اليها ويرون عجايبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او يصعد الملائكة وهم يشاهدونهم

لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر

من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرا

سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات

وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل منا

خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة الهيئات

والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البهية

للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل

شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها

الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرًا شبّه به خطفهم
اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب
وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام
منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد عليه الصلوة والسلام منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها
قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه
فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق
للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي
جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها او في الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار
معين يقتضيه حكمة او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له
وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس
وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل
لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله
يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة
الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون
كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في
ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء
الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او
شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من
بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في
بعض الاوقات على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح
حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك
بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح
الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه

فجعلناه

فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفي عنهم ما اثبته لنفسه او
حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا مما يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات
من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب
مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة
بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها
ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او
من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر
لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته وقيل رغب رسول الله
عليه الصلوة والسلام على الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم
لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان
لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء
يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء
ولقد خلقنا الانسان من صلصال طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل
اذا انتن تضعيف صل من حمإ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن
من حمإ مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليتصور كالجواهر المذابة يصب بالقوالب
من السن وهو الصب كانه افرغ الحمإ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر
صلصل ثم غيّر ذلك طورا حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر
اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا بعد طور صحيح ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز
ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق
من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل
من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق
الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي

الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار
الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق
الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع
والاحياء وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ واذكر وقت قوله لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي حتى جرى
اثاره في تجاويف اعضائه فيحيى واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق
اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في
تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه
لما مر في النساء فَقَعُوا لَهُ فاسقطوا له سَاجِدِينَ امر من وقع يقع فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ
اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم
سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا إِلَّا إِبْلِيسَ ان جعل منقطعا
اتصل به قوله أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا على
انه جواب سائل قال هلا سجد قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ اي غرض لك ان لا تكون مَعَ السَّاجِدِينَ
لآدم قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لِبَشَرٍ جسماني
كثيف وانا ملك روحاني خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وهو اخس العناصر وخلقتني
من نار وهي اشرفها استنقص آدم بحسب النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف
قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا من السماء او الجنة او زمر الملائكة فَإِنَّكَ رَجِيمٌ مطرود من الخير والكرامة فان من
يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وَإِنَّ عَلَيْكَ
اللَّعْنَةَ هذا الطرد والابعاد إِلَى يَوْمِ الدِّينِ فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه
زمان الجزاء وما في قوله فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقد
قيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير
كالزائل قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم
إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث

فاجابه

فاجابه الى الاول دون الثاني قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ المسمى فيه اجله عند
الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيمة
واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث اذ به
يحصل العلم بانقطاع التكليف والياس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في كلاميه ولا يلزم من
ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة
لم يدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي الباء
للقسم وما مصدرية وجوابه لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم في
المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل
للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي والتسبيب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه الصلوة والسلام او بالا
ضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له وهو سبب لزيادة غيه وتسلط له على اغواء بني
آدم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان
في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب
وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ولاحملنهم اجمعين على الغواية إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ اخلصتهم لطاعتك
وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القران
اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ حق علي ان اراعيه مُسْتَقِيمٌ لا انحراف عنه
والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي
يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين
ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا
على من ليس بمخلصين من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من
شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثنائين وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ لموعد الغاوين
او المتبعين أَجْمَعِينَ تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف او معنى

الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم حطمة ثم سقر ثم سعير ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية اولان اهلها سبع فرق لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ من الاتباع جُزْءٌ مَقْسُومٌ افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها إِنَّ الْمُتَّقِينَ من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ لكل واحد جنة او لكل عدة منها كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادْخُلُوهَا على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بِسَلَامٍ سالمين او مسلما عليكم آمِنِينَ من الآفة والزوال وَنَزَعْنَا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب إِخْوَانًا حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ فان تمام النعمة بالخلود نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ خائفون وذلك

ثم قوله ومن دونهما جنتان صح

لانهم

لانهم دخلوا بغير اذن او بغير وقت اولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قَالُوا لَا تَوْجَلْ وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله إِنَّا نُبَشِّرُكَ استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من البشر بِغُلَامٍ هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عَلِيمٍ اذا بلغ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لما يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فَبِمَ تُبَشِّرُونَ اي فباي اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرا ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا يحتاج الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم اولانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كان تمام المقصود لابتدؤا بها قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ يعني قوم لوط إِلَّا آلَ لُوطٍ ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ اي مما يعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله إِلَّا امْرَأَتَهُ استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرا حمزة

والكسائى لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرا ابو بكر
عن عاصم قدرنا هاهنا وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه
معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ
على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص فلما
جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون ينكركم نفسى وينفر عنكم مخافة ان تطرقونى
بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما
يسرك ويشفى لك من عدوك وهو العذاب الذى توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم
فى الليل وقرا الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من
الليل فى طائفة من الليل وقيل فى آخره قال افتحى الباب وانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل
بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم
احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا
يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث
تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام او مصر فعدى الى حيث وتؤمرون الى ضميره
المحذوف على الاتساع وقضينا اى اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى ذلك الامر مبهم
تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له
وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين
داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر
هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا
فيهم قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون بفضيحة ضيفى فان من اسئ الى ضيفه فقد اسئ اليه
واتقوا الله فى ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزى وهو الهوان او ولا
تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحيا قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا
او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط عليه السلام يمنعهم عنه بقدر وسعه
او

او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتى يعنى نساء القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم
وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحيوة
المخاطب وهو النبى عليه السلام وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص
به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفى سكرتهم لفى غوايتهم او شدة
غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذى يشار به اليهم يعمهون يتحيرون
فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعنى هائلة مهلكة
صيحة صح
وقيل صيحة جبرائيل مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالى المدينة او
عالى قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر
او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة فى سورة هود ان فى ذلك لايات
للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته
وانها وان المدينة والقرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون اثارها ان فى ذلك لاية
للمؤمنين بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة
فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك
الظلة سحابة السحاب
وانهما يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما وكان ذكر احدهما منبها على
الاخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به سمى به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به
ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما
كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة
والشام يسكنونها واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين يعنى ايات الكتاب المنزل على
نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا امنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب
لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور

ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فينتقم
الله لك فيها ممن كذبك فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح
الحليم وقيل منسوخ باية السيف إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الذى خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم
الْعَلِيمُ بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد
علم ان الصفح اليوم اصلح وفى مصحف عثمان وابى هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق
يختص بالكثير وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا سبع ايات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطوال
سابعتها الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة
وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحايف وهى الاسباع مِنَ الْمَثَانِي بيان للسبع والمثانى
من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه
بالبلاغة والاعجاز او مثنى على الله بما هو اهله من صفاته العظيمة العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان
يراد بالمثانى القران او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ان اريد بالسبع الايات
او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين
على الاخر لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ولا تطمح ببصرك طموح راغب إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ
اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى
دوام اللذات وفى حديث ابى بكر من اوتى القران فراى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد
صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه عليه السلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة
والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا
لتقوينا بها وانفقناها فى سبيل الله فقال لهم قد اعطيتم سبع ايات وهى خير من هذه القوافل
السبع وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ
وتواضع لهم وارفق بهم وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل
بكم ان لم تؤمنوا كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ مثل العذاب الذى انزلنا عليهم فهو وصف
لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمين هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم
لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله تعالى يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اى تقاسموا

على

على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا
اليك والمقتسمون الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية
والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب
امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القران ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ويكون قوله لا تمدن الى اخره اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا القران عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة
من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفى الحديث لعن الله العاضهة والمستعضهة
والمستعضهة وقيل السحار وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول
بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ من التقسيم
او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام فى كل ما فعلوا من الكفر والمعاصى فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ
فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز
وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اى ما تؤمر به من الشرايع وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ
فلا تلتفت الى ما يقولون إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف
قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود
ابن المطلب يبالغون فى ايذاء النبى عليه الصلوة والسلام والاستهزاء به فقال جبرائيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما
لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فمات واومأ الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت
رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن
عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك
حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
عاقبة امرهم فى الدارين وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ من الشرك والطعن
فى القران والاستهزاء بك فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك و
يكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ
من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق والمعنى فاعبد مادمت حيا ولا تخل بالعبادة
لحظة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين
والانصار والمستهزئين بمحمد عليه السلام سورة النحل مكية غير ثلث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى أمر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة واهلاك
الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع
لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث
انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى
عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائى
بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب
للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روى انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورفع الناس
رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحى او القرآن فانه يحيى به القلوب
الميتة بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق
الذى به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ
ابوبكر تنزل على المضارع المبنى للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من
يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا
علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشأن لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصى
فانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحى الدال
على القول او مصدرية فى موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية
تدل على ان نزول الوحى بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة
العلمية والامر بالتقوى الذى هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التى بعدها
دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد للعالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك
لاصول

لقدر

لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع
وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمة تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر فى وجوده او بقائه
اليهما او مما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة
جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين
للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم روى ان ابى بن خلف اتى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر
والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله
وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقى البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها
الدفء نتاج الابل والبانها ينتفع بها قال الله تعالى لكم فيها دفء صحاح
بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون اى تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم
الظرف للمحافظة على رؤس الآى او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما الاكل من سائر
الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها
الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعى فان الافنية تتزين بها فى الوقتين ويجل
اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم
تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه
وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا ان
تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح
مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم
لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على
الانعام لتركبوها وزينة اى لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير
النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها
فحصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا فى موضع الحال
من الضميرين اى متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل
الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين

[illegible]

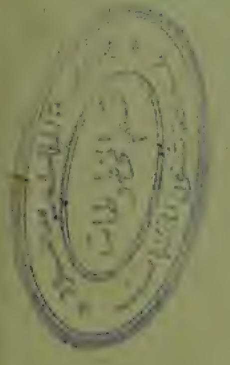
على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التى تحتاج اليها
غالبا احتياجا ضروريا او غير ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلايق
ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد
السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه
قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد
الوجه الذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد و
قال ومنها جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين
طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض
وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء لهديكم اجمعين اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهديكم
الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذى انزل من السماء من السحاب او من جانب
السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة
به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله
فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه فى الارض ومنه يكون شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى
وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل فى اطعامها اللحم ضرر
فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة
وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات ينبت لكم به الزرع وقرا ابوبكر بالنون على التفخيم و
الزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت فى الارض كل ما يمكن من
الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية
ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة وترتيبها ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون
على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع فى الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها
فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج
منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبايع
مع اتحاد المواد ونسبة الطباع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل

مختار

مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم بان هياها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اى نفعكم بها حال
كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه
ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان
ذلك ان سلم فلا ريب فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة
فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمى
بمعنى التسخير جمع لاختلاف الانواع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون
تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون
جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة
الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرا لكم فى الارض عطف على الليل اى وسخر لكم ما خلق لكم
فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تخالف باللون غالبا ان فى ذلك لاية لقوم
يذكرون ان اختلافها فى الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذى
سخر البحر جعله بحيث يتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك
ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه خلقه
عذبا طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف ان لا ياكل لحما حنث باكل السمك
واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى
الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ
والمرجان اى تلبسه نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى
الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت
جرى الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى تعرفون
نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث
انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى فى الارض رواسى جبالا رواسى
ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة

حقيقة بسيطة الطبع وكان من حقها ان يتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان يتحرك بادنى
سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها
تفاوت الشيئان تباعد ما بينهما صحاح
نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت
مار من باب قال تحرك وجاء وذهب ومنه قوله تعالى يوم تمور السماء مورا صحاح
الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان
القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل
بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار
والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان
وبنات نعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين
بالاهتداء فى مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير
للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه
الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على
كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساوى ويستحق مشاركته
ما لا يقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه
عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد
بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله تعالى مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى
اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او
للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون
فتعرفوا فساد ذلك كله فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع
ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان ما وراء ما عدد
نعم لا تحصوها لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن
تقصيركم فى اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها
والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار

العلم

العلم والذين تدعون من دون الله اى والآلهة الذين يعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر يدعون
بالياء وقرأ حفص ثلثتها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق بين انها لا تخلق شيئا ومن لا يخلق صح
لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال وهم يخلقون
لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغى ان يكون واجب الوجود اموات هم
اموات لا يعتريهم الحيوة او اموات حالا او مالا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله
ينبغى ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت
بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالما بالغيب
مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير
للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى

اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا
فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا
للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه عليه السلام
والالتفات الى قوله والاول هو العمدة فى الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه
لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع الرسول واذا قيل لهم
ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين
اى ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اى على
تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار اضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم
فى الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب
بغير علم حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذر
هم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه
فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اى سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتيها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت
فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح
ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه ثم
يوم القيمة يخزيهم يذلهم ويعذبهم بالنار كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول
اين شركائى اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم الذين كنتم
تشاقون فيهم تعادون المؤمنين فى شانهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان
مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء والعلماء والذين كانوا يدعونهم
الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملئكة ان الخزى اليوم والسوء الذلة والعذاب
على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه
الذين تتوفيهم الملائكة وقراء حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول
يحتمل الاوجه الثلثة ظالمى انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا
واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان
ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اى فيجيبهم الملئكة
بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف
ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء
بانا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم
فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين
فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعنى المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا
خيرا اى انزل خيرا وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين
بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا لهم ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا لهم ذلك للذين
احسنوا فى هذه الدنيا حسنة مكافاة فى الدنيا ولدار الاخرة خير اى ولثوابهم فى الاخرة خير منها

وهو

وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه
منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر
مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجرى من تحتها الانهار
لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع
ما يريده الا فى الجنة كذلك يجزى الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين
تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم
وقيل فرحين ببشارة الملئكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة
القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون
انها معدة لكم على اعمالكم وقيل هو التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما
ينظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائى بالياء او ياتى
امر ربك القيمة او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين
من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم و
معاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية
الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا فى الشر
وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من
شىء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشا يمتنع
فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها
لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا
قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله
وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو
ان لم يؤثر فى هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدى اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه
انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية
فى الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع

المزاج السوي ويقويه ويضرّ المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان
بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة
الثانية لما فيه من الدلالة على تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى
الله وقد صرح به في الآية الاخرى فسيروا في الارض يامعشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد عليه السلام على هديهم فان الله لا يهدي
من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقراء غير الكوفيين لا يُهدى على البناء
للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا
البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا
والجزم
مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في
وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون
اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون
امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم بعض الذي يختلفون
فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي
الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب
ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله
بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن تكوين
الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي
فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله عليه السلام
واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة
والمحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس
وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة

وهي

وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان اذا
اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في
الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقو
هم او للمهاجرين وقيل للمهاجرين اي ولو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد
كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين
اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله
بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة
في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار
ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما
قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين
بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه السلام راى جبريل عليه السلام على صورته التي هو عليها مرتين وعلى
وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات
والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا
اي ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين
بالبينات او بيوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسئلوا اعتراض او
بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة
وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما
تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل
ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افأمن الذين مكروا السيئات اي
المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله وراموا صد
اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم
اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على مخافة

بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شئ في
انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روى ان عمر قال على المنبر ما تقولون فيها
فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل يعرف العرب
ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما
تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية
فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة أَوَلَمْ
يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ استفهام انكار اى قد راوا امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا
فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ اى
اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ عن ايمانها وشمائلها
اى عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع
الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير ~~في لفظ ما~~ ومعناه في ظلاله وجمعه في قوله
سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ وهما حالان من الضمير في قوله في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام
سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطا
راسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال
بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب
منقادة لما قدرها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام
في انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان
من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين
الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب يظهر منه اخذة في الارتفاع وشماله وهو الجانب
الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربي
من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض وَلِلَّهِ يَسْجُدُ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره طبعا
والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله

من

تفيأت الظلال اى تقلبت صحاح
الظل معروف والجمع ظلال صحاح

دخور ذليل او ملق
قرانه كلدى تزلنم
وانتم داخرون
اى صاغرون
ذليلون
ترجمان

مِنْ دَابَّةٍ بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء وَالْمَلَائِكَةُ عطف على
المبين به عطف جبرائيل على الملئكة للتعظيم او عطف المجرد على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملئكة
ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد
به ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان
اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عن عبادته يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
يخافون ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده و
الجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون
بين الخوف والرجاء وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ذكر العدد مع ان المعدود يدل
عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في
قوله إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على
ان الوحدة من لوازم الالهية فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب
وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ خلقا وملكا وَلَهُ الدِّينُ اى الطاعة وَاصِبًا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق
بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء
دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ولا ضار سواه كما لا نافع غيره
رهب خاف وبابه طرب صحاح
كما قال وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ اى واى شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة
متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار
بانها من الله لا لحصولها منه ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ فما تتضرعون الا اليه
والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ وهم كفاركم لِيَكْفُرُوا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا
بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان
يعتبر بعضهم لقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بِمَا آتَيْنَاهُمْ من نعمة الكشف عنهم

كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله ليتمتعوا امر تهديد فسوف
تعلمون اغلظ وعيد وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز
ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون
اى لالهتهم التى لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التى لا يعلمونها فيعتقدون
فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم
على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزرع
والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها الهة حقيقة بالتقرب اليها وهو
وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة تقولون الملائكة
بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعنى
البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات
على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان اقتضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول
لشئ واحد لكنه لا يبعد تجويزه فى المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر
بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس
واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملو غيظا من المراة يتوارى
من القوم يستخفى منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا فى
نفسه متفكرا فى ان يتركه على هون ذل ام يدسه فى التراب ام يخفيه فيه ويئده
وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى
عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء صفة السوء وهى
الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية
الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة
عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ
الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها من دابة قط بشوم ظلمهم
وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك

الاباء

الاباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا
فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة
ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام
لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اى ما يكرهونه
لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف
السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى
عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم و
اثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقرا نافع
بكسر الراء على انه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا
من التفريط فى الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها
او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيمة انه حكاية حال ماضية او اتية ويجوز ان
يكون الضمير لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغرهم
ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهو ولى امثالهم والولى القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر
لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم فى القيمة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
للناس الذى اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله
انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان فى
ذلك لاية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم فى الانعام لعبرة دلالة يعبر بها
من الجهل الى العلم نسقيكم مما فى بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا
للفظ وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات
المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها
دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب

نسقيكم بالفتح مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد
من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام
فى الكرش وعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان
اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون
مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لا يتكونان فى الكرش بل الكبد
يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش وتبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها
ريثما يهضمها ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فيميز القوة المميزة تلك
المائية فما زاد على قدر الحاجة من المرتين ويدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم
يوزع الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم
ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على
مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد
او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن
تدبر صنع الله فى احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب
المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال
حكمته وتناهى رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما فى بطونها والثانية ابتدائية
كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذى يبتدى منه الاسقاء وهى
متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة
خَالِصًا صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من
الاجزاء الكثيفة بتضيق مخرجه سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ سهل المرور فى حلقهم وقرئ
سيغا بالتشديد والتخفيف وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ متعلق بمحذوف اى ونسقيكم
من ثمرات النخيل والاعناب من عصيرهما وقوله تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا استيناف لبيان
الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اى ومن
ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف

المحذوف

المحذوف الذى هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمى به الخمر وَرِزْقًا
حَسَنًا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها
والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام
سكرا اى تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من
اثمانه إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون عقولهم بالنظر والتامل فى الآيات
وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ الهمها وقذف فى قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين أَنِ اتَّخِذِي
بان اتخذى ويجوز ان يكون مفسرة لان فى الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى
فان النحل مذكر مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ذكر بحرف التبعيض
لانها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا فى كل مكان منها
وانما سمى ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة
وصحة القسمة التى لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة
ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء للياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون
بكسر الراء ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فَاسْلُكِي ما اكلت
سُبُلَ رَبِّكِ فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي
الطرق التى الهمك فى عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر
عليك ولا تلتبس ذُلُلًا جمع ذلول وهى حال من السبل اى مذللة ذللها الله وسهلها لك
او من الضمير فى اسلكى اى وانت ذلل منقادة لما امرت به يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا عدل به
عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل
والهامه لاجلهم شَرَابٌ يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل
الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى باطنها عسلا ثم تلقى ادخارا للشتاء ومن
زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها
فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه
مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل

~~مختلف~~ فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر
الامراض اذ قل ما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض
ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان اخي
يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب
واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ فكانما انشط
من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم
يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة
حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله
خلقكم ثم يتوفاكم بآجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني
الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون
سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال
الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب
النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير
قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع
لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني
ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على
خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم
على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعل الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي
والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان
يكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم
فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته
في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه
افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم

الله

~~الله عليهم فهم فيه افبنعمة الله يجحدون~~ حين يتخذون له شركاء فانه يقتضي
ان يضاف اليهم ~~بعض ما انعم~~ الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج
بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء
لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون
اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اولاد
اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل
هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير
الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق
في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان الطيبات ما حرم
عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا
ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة
على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من
مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل عنه ولا يستطيعون ان
يتملكوه اذ لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة
ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف
بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب
المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد
الملك ادخل في التعظيم من عبادته او عظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك
لو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم
دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم
لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب
الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق
منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا

ومثّل نفسه بالحرّ المالك الذي رزقه الله مالا كثيراً فهو يتصرّف فيه وينفق منه كيف شاء
واحتجّ بامتناع الاشراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسيّة والمخلوقيّة على
على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغنيّ القادر على
الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفّق وتقييد العبد بالمملوك للتميّز
من الحرّ فانّه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتميّز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما
للمالك المتصرّف يدلّ على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا
وجمع الضمير في يستوون لانّه للجنس فانّ المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد **الحمد
لله** كلّ الحمد له لا يستحقّه غيره فضلا عن العبادة لانّه مولى النعم كلّها **بل اكثرهم لا
يعلمون** فيضيفون نعمته الى غيره ويعبدونه لاجلها **وضرب الله مثلا رجلين
احدهما ابكم** ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم **لا يقدر على شيء** من الصنائع والتدابير
لنقصان عقله **وهو كلّ على مولاه** عيال وثقل على من يلي امره **اينما يوجّهه**
حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجّه على البناء للمفعول وبوجه بمعنى يتوجّه كقوله اينما اوجه الق
سعدا وتوجّه بلفظ الماضي **لا يات بخير** بنجح وكفاية مهمّ **هل يستوي هو ومن
يامر بالعدل** ومن هو منطيق فهم ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثّهم على العدل
الشامل لجامع الفضائل **وهو على صراط مستقيم** وهو في نفسه على صراط مستقيم لا يتوجّه
الى مطلب الّا ويبلغه باقرب سعي وانّما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانّهما كمال
ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن
والكافر **ولله غيب السموات والارض** يختصّ به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما
عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدلّ عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن
اهل السموات والارض **وما امر الساعة** وما امر قيام القيمة في سرعته وسهولته
الّا كلمح البصر الّا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها **او هو اقرب** او امرها اقرب
منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدأ فيه فانّه تعالى يحيي الخلايق
دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه انّ قيام الساعة وان تراخى

فهو

نجح بضمّ النون وسكون الجيم ونجاح بالفتح حوايجه ظفر بولق ومهمّاته يتشهلك ودخي تورلمق ترجان

فهو عند الله كالشيء الذي يقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه **انّ الله
على كلّ شيء قدير** فيقدر ان يحيي الخلايق دفعة كما قدر ان احياهم متدرّجا ثمّ دلّ على قدرته
فقال **والله اخرجكم من بطون امّهاتكم** وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انّه لغة او اتباع لما قبلها
وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق **لا تعلمون شيئا** جهّالا مستصحبين
جهل الجمادية **وجعل لكم السمع والابصار والافئدة** اداة تتعلّمون بها فتحسّون بمشاعركم
جزئيّات الاشياء فتدركونها ثمّ تتنبّهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس
حتّى يتحصّل لكم العلوم البديهيّة وتتمكّنوا من تحصيل المعالم الكسبيّة بالنظر فيها **لعلّكم تشكرون**
كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه **الم يروا الى الطير** قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب
بالتاء على انّه خطاب العامّة **مسخّرات** مذلّلات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب
المواتية له **في جوّ السماء** في الهواء المتباعد من الارض **ما يمسكهنّ** فيه **الّا الله** فان ثقل
جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها **انّ في ذلك لآيات** تسخير
الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجوّ بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها
في الهواء على خلاف طبعها **لقوم يؤمنون** لانّهم هم المنتفعون بها **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا**
موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتّخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول **وجعل
لكم من جلود الانعام بيوتا** هي القباب المتّخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتّخذة من الوبر
والصوف والشعر فانّها من حيث انّها نابتة على جلودها يصدق عليها انّها من جلودها **تستخفّونها**
تجدونها خفيفة تخفّ عليكم حملها ونقلها **يوم ظعنكم** يوم وقت ترحالكم **و**وضعها او ضربها **ويوم اقامتكم**
وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيّان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة **ومن اصوافها واوبارها واشعارها**
الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانّها من جملتها **اثاثا** ما
يلبس ويفرش **ومتاعا** ما يتّجر به **الى حين** الى مدّة من الزمان فانّها لصلابتها تبقى مدّة مديدة او الى مماتكم
او الى ان تقضوا منه اوطاركم **والله جعل لكم ممّا خلق** من الشجر والجبل والابنية وغيرها
ظلالا تتّقون به حرّ الشمس **وجعل لكم من الجبال اكنانا** مواضع تستكنّون بها من الكهوف
والبيوت المنحوتة فيها جمع كنّ **وجعل لكم سرابيل** ثيابا من الصوف والكتّان والقطن وغيرها

رجح

الوطر الحاجة ولا يبنى منه فعل وجمعه اوطار ترجان

اوبولمش

صاقنيز

تقيكم الحر خصّه بالذكر اكتفاء باحد الضدين اولان وقاية الحر كانت اهمّ عندهم
وسرابيل تقيكم بأسكم يعنى الدروع والجواشن والسربال يعمّ كل ما يلبس كذلك
كاتمام هذه النعم التى تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اى تنظرون
فى نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اى تشكرون
فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح
بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين
فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون
نعمة الله اى يعرفه المشركون نعمة الله التى عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها
من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او
باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عرفوها با
لمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون
الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او
التفريط فى النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل
كما فى قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد
لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل فى
الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلى
على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون
من العتبى وهى الرضاء وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق
وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اى العذاب
ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التى دعوها
شركاء او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين
فى ذلك والتماس بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اى اجابوهم

بالتكذيب

بالتكذيب فى انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله كلا
سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او فى انهم حملوهم على الكفر والزموهم
اياه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى والقوا والقى الذين ظلموا
الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم
وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا
منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم
فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث
فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعنى نبيهم فان نبى كل امة بعث منهم وجئنا بك
يا محمد عليه السلام شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استيناف او حال
باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شىء من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة
او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين
خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط فى الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل
والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات
المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان
احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه الصلوة والسلام
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذى القربى واعطاء
الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط
فى متابعة القوة الشهوية كالزناء فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على
متعاطيه فى اثارة القوة الغضبية والبغى والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها
الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج فى هذه
الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هى
اجمع آية فى القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضى الله عنه ولو لم يكن فى
القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شىء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها

عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير
والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر
يجب الوفاء به ولدلالة ثمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا
تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها توثيقها بذكر الله ومنه
اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل
مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق
بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع
نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد
تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل ريطة بنت سعد بن تيم القريشية فانها كانت
خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او
في الجار الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة
ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون
جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة
منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم
وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر
اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسول الله ام
تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للربو
وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على
اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام
ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم
تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه

بعد

بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها
عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف
باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بسبب
صدودكم عن الوفاء او صدودكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك
سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله
وبيعة رسوله ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين
ويشترطون لهم على الارتداد ان ما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الاخرة
هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم
من اعراض الدنيا ينفد ينقضي وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو
تعليل الحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم
على الفاقة واذى الكفار او مشاق التكاليف باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من
اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى
بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب
وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا
فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضاء بالقسمة
وتوقع الاجر العظيم في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا
لم يدع الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه وقيل في الاخرة ولنجزينهم اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القرءان اي اذا اردت قراءته كقوله
اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسئل الله ان يعيذك من
وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على
ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر قياسا وتعقيبه
لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن
ابن مسعود رضي الله قرات على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم

ما يدخل صح

وقرء ابن كثير وعاصم بالنون

بتكرره صح

من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبرائل
عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا و
على ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون
اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور غفلة ولذلك امروا
بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا
انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب
الشيطان مشركون واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان
المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في
وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الان
فيثبته مكانه وقراء ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اى الكفرة انما انت مفتر
متقول على الله تأمر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل
وهو اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا
بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطاء من الصواب قل نزله روح
القدس يعنى جبرائل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقراء
ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفى ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على
حسب المصالح عما يقتضى التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين
آمنوا على الايمان بانه كلامه وانه اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح
والحكمة رسخت عقايدهم واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين
لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض لحصول
اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر
يعنون جبرا الرومى غلام عامر بن الحضرمى وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف
بمكة ويقرأن التورية والانجيل كان الرسول عم يمر عليهما ويسمع ما يقرأنه وقيل عايشا
غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسى رضى

الله

لسان الذى يلحدون اليه اعجمى لغة الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ
من لحد القبر وقراء حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمى غير بين وهذا وهذا القران
لسان عربى مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره
يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمى لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربى
تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما يتلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع
كلامه ولكنه لم يتلقف منه اللفظ لان ذاك اعجمى وهذا عربى والقران كما هو معجز باعتبار المعنى
فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التى فى القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فايق
فى تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه بعض اوقات مروره
عليه كليمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم فى القران بامثال هذه الكلمات الركيكة
دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم
الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم فى الاخرة هددهم على كفرهم بالقران
بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون
بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش
هم الكاذبون اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن
فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون
فى قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما
اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز
ان ينتصب بالذم وان يكون من شرطية محذوف الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر
استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم يتغير
عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده
وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روى
ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ
بحربة فى قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين

في الكلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا
ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول
الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند
الاكراه وان كان الافضل ان تجتنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين
فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله وقال ما تقول في فقال وانت ايضا فخلاه ثم قال
للآخر ما تقول في محمد فقال رسول الله ثم قال ما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه
فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني
فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا
الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي
الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم
الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا
من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك
وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما
وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد
الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد
يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى
في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت
وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم
انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة
لا يزعج اهلها خوف يأتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت
بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس

فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم
واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا
تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون
الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني
ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر
استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم
رسول منهم يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم
فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من
الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر
ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا
لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون
او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم امرهم
بتناول ما احل لهم وعدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم
والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما
في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في
الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال
وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول
هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم
من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت
مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف
الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة
او الكذاب

وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى
عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة ينقطع
عن قريب ولهم عذاب اليم فى الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اى فى سورة
الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم
بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم
وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء
بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة
والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من
بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه
فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم
فى واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزايغة
بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة
وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول
كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة و
ويقتدون بسيرته لقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا قائما باوامره
حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم
على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعمة القليلة
فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله وآتيناه
فى الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه و
رزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة وانه فى الآخرة لمن الصالحين لمن
اهل الجنة كما سأله بقوله والحقنى بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم للتعظيم والتنبيه
على ان اجل ما اوتى ابراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته او لتراخى ايامه ان اتبع ملة ابراهيم

حنيفا

حنيفا فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة على كل احد بحسب
فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلى فيه
للعبادة على الذين اختلفوا فيه اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان تتفرغوا للعبا دة
يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله
السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه
فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر
القرية التى كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون با
لمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك
الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات
المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
وجادلهم وجادل معانديهم بالتى هى احسن بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة من الرفق و
اللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع فى تسكين لهبهم وتبيين
شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى انما عليك البلاغ والدعوة
واما حصول الهداية والضلالة والمجازاة عليهما فلا عليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو
المجازى لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه
والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا ينفك عنه من حيث
انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر و
الضلال وقيل انه عليه السلام لما رأى حمزة رض وقد مثل به فقال والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن
بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى وليس له
ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم
لهو اى الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله لانه اولى
الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته
ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فى ضيق

بالكسر هنا وفي النمل

صدرٍ من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضِيق وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيّق **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا** المعاصي **وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علمًا له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد **مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** بعينه لما روي انه عليه السلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرائيل عليه السلام بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به او ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه عليه السلام كان نائمًا في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مُثّل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات

حتى

حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات **إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى** بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ ~~مسجد~~ وراءه مسجد **الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار **لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا** كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء **إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ** لاقوال محمد عليه السلام **الْبَصِيرُ** بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك **وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا** على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا **مِنْ دُونِي وَكِيلًا** ربا تكلون اليه اموركم غيري **ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ** نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذِرّية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة **إِنَّهُ** ان نوحا عليه السلام **كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** يحمد الله على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجائه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ** واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا **فِي الْكِتَابِ** في التورية **لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ** جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المقطوع المبتوت مجرى القسم **مَرَّتَيْنِ** افسادتين اوليهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام **وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا** وعد عقاب اوليهما **بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا** بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب

من اهل نينوى اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا
لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم
وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر
على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد
ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان
القى الله تعالى في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة
عليهم فرد اسرائهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر او بان سلط الله تعالى داود عم على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم
المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم
فلها فان وبالها عليها وانما ذكر باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة
ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم اي ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف
لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث
او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة و
لنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق
بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا
عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك
بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس فقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم
فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل
عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى
عليه الصلوة والسلام فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب
قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد
المرة الآخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم

وقصد

وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين
هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا
كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي يبشر بالتخفيف وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين
ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله تعالى عند غضبه
بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان
الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى
الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه الصلوة والسلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه
فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها عليه الصلوة والسلام بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت
جمع كتاف وهو الحبل الذي يشد به الاسير
عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعا استعجاله بالعذاب استهزاء
كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء الآية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين يدلان على القادر
الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق
والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة
للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر
والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحو
آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق و
جعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا
من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا
باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون
اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه
طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون

بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد في عنقه
لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله
فان الاعمال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول
او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج وقرئ
ويخرج اي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة و
منشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقّاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على
ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز
وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من
حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب
والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر
اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا
ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر
كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان
رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في
العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك
امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه والتسبب له بان صب
عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم
امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير
المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده
قراءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من أمُر بالضم امارة اي
جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور

فحق

فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في
المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا
من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا
يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة
مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه
لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من
له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن يكون مخصوصا بمن
اراد الله به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم
في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة
وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر به والانتهاء عما نهي عنه لا التقرب بما يخترعون
بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه
العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله تعالى اي مقبولا عنده مثابا
عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء
مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق
بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا
بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا
اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها
آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ
الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولك قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا
جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون
ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان
غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز
ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا

لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا يتقدم عليه إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الابوين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا لم يكن يجوز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفه وكفالته فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ فلا تتضجر مما يستقذر منهما على ويستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما وَلَا تَنْهَرْهُمَا ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وَقُلْ لَهُمَا بدل التافيف والنهر قَوْلًا كَرِيمًا جميلا لا شراسة فيه وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذِّل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول مِنَ الرَّحْمَةِ من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تريد موتهما رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما

كراهة

كراهة واستثقالا إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ قاصدين للصلاح فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ للتوابين غَفُورًا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة رضي الله عنه حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا مبالغا في الكفر فينبغي ان لا يطاع وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فَتَقْعُدَ مَلُومًا فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير مَحْسُورًا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا

واذن بلال وانتظر والصلوة فلم يخرج فانزل الله تعالى ذلك ثم سلاه بقوله إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ يوسعه ويضيقه بمشيته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من
الاضاقة الا لمصلحتك إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من
مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله تعالى بالسرائر و
الظواهر فاما العباد فعليهم ان تقصدوا وانه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته
ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم
عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ذنبا
كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ
ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر و
ابن كثير خطاء بالمد وكسر الكسر وهو اما لغة او مصدر خاطا وهو وان لم يسمع لكن جاء تخاطأ
في قوله تخاطاه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ
خطاء بالفتح والمد وخطأ بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا بالعزم والاتيان بالمقدمات
فضلا ان تباشروه إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً فعلة ظاهرة القبح زائدته وَسَاءَ سَبِيلًا وبئس طريقا
طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وتهييج الفتن وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا
وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا غير مستوجب للقتل فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث
سُلْطَانًا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل
على ان القتل عمدا عدوان فان الخطاء لا يسمى ظلما فَلَا يُسْرِفْ اي القاتل فِي الْقَتْلِ بان يقتل من
لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول
قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا علة النهي
على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب
واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله

الوفي

الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ فضلا ان تتصرفوا فيه
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الا بالطريقة التي هي احسن حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء
وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا مطلوبا يطلب
من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسأل الناكث ويعاقب عليه او يسأل العهد لم نكثت
تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان
مسئولا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ولا تبخسوا فيه وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ بالميزان السوي وهو
رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم
في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ذَلِكَ خَيْرٌ
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع وَلَا تَقْفُ ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف
اثره اذا قفاه ومنه القافة مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به
من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او
ظنا واستعماله بهذا المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله
عليه الصلوة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت
ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ
اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا
وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله
والعيش بعد اولئك الايام كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا في ثلاثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسئولا عن
نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر
وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطاء لان
الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد
بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا اي ذا مرح وهو الاختيال
وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ لن تجعل
فيها خرقا بشدة وطأتك وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي

بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس فى التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة
والعشرين المذكورة من قوله تعالى لا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها المكتوبة
فى الواح موسى عليه الصلوة والسلام كان سيئه يعنى المنهى عنه فان المذكورة مامورات ومناهى وقراء
الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهى عنه خاصة
وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وتذكره
به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان او فى الظرف على انه صفة سيئة والمراد به
المبغوض المقابل للمرضى لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى
ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التى هى معرفة الحق لذاته والخير
للعمل به ولا تجعل مع الله الها اخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه لا قصد له ومن ضيع
بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا
ما هو عائدة الشرك فى الدنيا وثانيا ما هو نتيجته فى العقبى فقال فتلقى فى جهنم ملوما
تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة
بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة
اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة
الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له
ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله تعالى دونهم ولقد صرفنا كررنا هذا
المعنى بوجوه من التقرير فى هذا القران فى مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القران ابطال اضافة تقديره
البنات اليه على ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف
ليذكروا ليتذكروا وقرا حمزة والكسائى ليذكروا من الذكر هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا وههنا ومن الفرقان
نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه الهة كما تقولون ايها المشركون وقرا
ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ووافقهما نافع
وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب فى الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ان
يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا جواب

عن

عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم
مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون
فانه فى اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص لذاته صح
ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ينزهه
عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم
الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم تسبيحهم
ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور
منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء
انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرات القران
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما تقراه عليهم
مستورا ذا ستر كقوله وعده ماتيا وقولهم سيل مفعم اى مملئ او مستورا عن الحس او بحجاب اخر
لا يفهمون انهم ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الايات بعد
ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة فى الانفس والافاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين
على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اى منعنا
هم ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القران معجزا من حيث اللفظ والمعنى
اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك فى القران وحده واحدا غير
مشفوع به الهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم
نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن
اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقران اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا
واذ هم نجوى اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين
هم ذوو نجوى ما يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجى اذ يقول الظالمون

إن تتبعون إلا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذهم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير
للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو
الرئة اى الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر
والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه
فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشد وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا
وحطاما أإنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من
المباعدة والمنافات والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا
مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اى مما يكبر عندكم عن قبول
الحيوة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف
اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشئ اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم
فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب و
انتصابه على الخبر او الظرف اى يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اى يوم
يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود
منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اى حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون
التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون
ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول
وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنون المشركين ان الشيطا
ن ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير
للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار
فان ذلك يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكلا
اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم

روى

روى ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر
رضي الله عنه رجل منهم فهم به فامره الله تعالى بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض
وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي
طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية
والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاتباع والاموال حتى داود عليه الصلوة والسلام فان شرفه
بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله صلى الله عليه وسلم وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول
عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا
في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس
او الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبور او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قل
ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر
عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اى يبتغي من هو
اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف
تزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من قرية
الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية
كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن
ارسال الآيات التي اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم
في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به
سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة
بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر
او جاعلتهم ذوي بصاير وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما
نرسل بالآيات اى الآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل

او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن او تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم
مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف وإذ قلنا لك واذكر
اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش يعني اهلكهم
من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان
في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية
الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله
في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكأني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع
فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بني امية
يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى
هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف
على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة
ثم يقول تنبت فيها الشجرة ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تأكله النار السمندر
واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة
لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم
فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا
وقد اولت بالشيطان وبابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف
اي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا
الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن
خلقت طينا لمن خلقته من الطين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى
الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي اسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة
الانكار قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا
مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي
كرمته

كرمته علي بأمري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتن الى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة
للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستأصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم
شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا مأخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل
له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة
وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك
منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب
للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر
باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف
من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم
وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه
قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون
تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى
استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كحذر وحذر ومعناه وجمعك الرجل
وقرئ رجالك ورجالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها
على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسمية عبد العزى
والتضليل بالحمل على الاديان الزائفة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة
كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا
غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين
وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان
اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي
يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون
عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل لكم ما تعسر من اسبابه واذا
مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم من تدعونه في حوادثكم

إلا إياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم
الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي
الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل
للاعراض أفأمنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم
ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره
أن يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل
كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك أو يرسل عليكم
حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفضله
أم أمنتم أن يعيدكم فيه في البحر تارة أخرى بخلق دواع تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل
عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده
الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا
يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة
والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والخط
والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير
ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وهو ان كل حيوان يتناول
طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته
حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من
الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم
وقفة ١٩٥ تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وهو تعسف يوم ندعو
نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعوا على قلب الالف
واوا في لغة من يقول افعو في افعى او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين
ظلموا

ظلموا او ضميرهم وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر
كما في يدعى كل أناس بإمامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب
اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال
وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك
اجلال عيسى عليه الصلاة والسلام واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما وان لا يفتضح
اولاد الزنا فمن أوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فأولئك يقرؤون كتابهم
ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم
الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من
اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك
لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا
يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى
طريق النجاة وأضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء
بعده لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله
ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما في اعمالكم
بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء
في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وإن كادوا ليفتنونك
نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي
في صلواتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم
وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك
من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن
قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستزلال عن الذي أوحينا إليك من الاحكام
لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك وإذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
بافتتانك وليا لهم بريئا من ولايتي ولولا أن ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن

إليهم شيئا قليلا لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم والمعنى أنك كنت على صدد الركون إليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب من الركون فضلا من أن تركن إليه وهو صريح في أنه عليه الصلاة والسلام ما هم بإجابتهم مع قوة الداعي إليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله تعالى وحفظه إذا لأذقناك أي لو قاربت لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير أخطر وكان أصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف وأقيم الصفة مقامه ثم أضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وإن كادوا وإن كاد أهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الأرض أرض مكة ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك إلا قليلا إلا زمانا قليلا وقد كان كذلك فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته صلى الله عليه وسلم بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الأنبياء فإن كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه عليه الصلاة والسلام فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا بإذا على أنه معطوف على جملة قوله وإن كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فإن إذا لا يعمل إذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر أي سن الله ذلك سنة وهو أن يهلك كل أمة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله تعالى وإضافتها إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام لأنها من أجلهم ويدل عليها ولا تجد لسنتنا تحويلا أي تغييرا أقم الصلاة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها وأصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فإن الدالك لا يستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودله ودلف وقيل الدلوك من الدلك لأن الناظر إليها يدلك عينيه لدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها في قولك لثلاث

خلون

خلون إلى غسق الليل إلى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الآخرة وقرآن الفجر وصلاة الصبح سميت قرآنا لأنه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة الفجر دل الأمر بإقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا إن قرآن الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو أخو الموت بالانتباه أو كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس إن فسر الدلوك بالزوال ولصلاة الليل وحدها إن فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس إلى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على أن الوقت يمتد إلى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور أنه مقام الشفاعة لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي ولإشعاره بأن الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك إلا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف بإضمار فعله أي فيقيمك مقاما أو بتضمين يبعثك معناه أو الحال بمعنى أن يبعثك ذا مقام وقل رب أدخلني أي في القبر مدخل صدق إدخالا مرضيا وأخرجني أي منه عند البعث مخرج صدق إخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل إدخاله مكة ظاهرا عليها وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالما وقيل إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤديا حقه وقيل إدخاله في كل ما يلابسه من مكان أو أمر وإخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى أدخلني فأدخل دخولا وأخرجني فأخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني أو ملكا ينصر الإسلام على الكفر فاستجاب الله تعالى له بقوله فإن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الأرض وقل جاء الحق الإسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه إذا خرج إن الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه عليه

الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكث بمخصرة في عين واحد
واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة
وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسر وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن
للبيان فانه كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات
الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به
واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله تعالى ونأى بجانبه لوى عطفه
وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المتكبرين
وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا
مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته
قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة
لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة
والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي
من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث
بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثر الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش
سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان
اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية
وقيل الروح جبرئيل عليه الصلوة والسلام وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه
من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف
النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما
ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن
معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه الصلوة
والسلام في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه الصلوة والسلام لما قال لهم ذلك

قالوا

قالوا انحن مختصون بهذا فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من
شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه القوة
البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله تعالى التي لا نهاية لها قليل
ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك
اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جواب النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا
بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا
استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك و
يجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا
بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في
حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن
النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو
جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا
كقول زهير: وان اتاه خليل يوم مسألة : يقول لا غائب مالي ولا حرم : ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه
معجزا ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل
من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا
وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من
الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما الزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات
اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها
يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر
الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا

كسفاً يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفاً من السماء وهو كقطع لفظاً ومعنى وقد سكنه ابن كثير
وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع
وابو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدرة وسدر او فعل بمعنى
مفعول كالطحن او تأتي بالله والملائكة قبيلاً كفيلاً بما تدعيه اي شاهداً على صحته ضامناً
لدركه او مقابلاً كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها
كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالاً من الملائكة او يكون لك بيت
من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن
لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجباً
من اقتراحاتهم او تنزيهاً لله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير
وابن عامر قال سبحان اي قال الرسول صلى الله عليه وسلم هل كنت الا بشراً كسائر الناس
رسولاً كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر
الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله تعالى حتى يتخيروها علي هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل
فقد ذكر في آيات اخر كقوله تعالى ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس ولو فتحنا عليهم باباً وما منع الناس
ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث
الله بشراً رسولاً الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشراً قل جواباً لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون
كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً لتمكنهم من الاجتماع
به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع
من التناسب والتجانس وملكاً يحتمل ان يكون حالاً من رسولاً وان يكون موصوفاً به وكذلك بشراً
والاول اوفق قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم على اني رسول اليكم باظهار المعجزة على وفق
دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيداً نصب على الحال او التمييز
انه كان بعباده خبيراً بصيراً يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية
للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد
لهم

لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون
بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم
على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم عمياً وبكماً وصماً لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون
ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن
استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفي القوى
والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيراً توقداً
بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله
بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا
أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم اولم
يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم
ليسوا اشد خلقاً منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلاً لا ريب فيه هو الموت
او القيامة فأبى الظالمون مع وضوح الحق الا كفوراً الا جحوداً قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي
خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني
وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذاً لامسكتم خشية
الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما
يؤثره لعوض يفوقه فهو اذاً بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم
وكان الانسان قتوراً بخيلاً لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما
يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص
الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهودياً سأل النبي عليه الصلوة والسلام عنها
فقال ان لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا

ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم
خاصة اليهود ان لا تعتدوا يوم السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام
العامة للملل الثابتة في كل الشرايع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة
من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا حكم مستانف زائد على الجواب ولذلك
غير فيه سياق الكلام فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او
سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل على لفظ المضي بغير همز
وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سأل على هذه القراءة او فاسأل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين
موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى
لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب
قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب
الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت
فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل
هؤلاء يعني الايات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند
وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك
عن هذا او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى
عليه الصلوة والسلام يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا
على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم
من الارض اي ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا
عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني
اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة او الحيوة او الساعة
او الدار الاخرة يعني قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم

من اشقيائكم

من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن
الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا
محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين
ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب
ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل
فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه
نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقراه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون
في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا
فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم
من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب
السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او راوا نعتك وصفة
ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن
ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا
يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه
وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان
وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال
او السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين
من خشية الله تعالى وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به
ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه
ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية
فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار
اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء

الى المقصود وهو اجوبة لقوله أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو
يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما
صلة لتأكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام
ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى
لدلالتها على صفات الجلال والاكرام وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك
يحملهم على السب واللغو فيها وَلَا تُخَافِتْ بِهَا بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ
سَبِيلًا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر رضي الله عنه
كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان
واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه ان يرفع قليلا
وعمر رضي الله عنه ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ
بين ذلك سبيلا بالاخفاء نهارا والجهر ليلا وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ في الالوهية وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى
عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب
الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما
عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا وفيه تنبيه على ان العبد
وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه
في ذلك روي انه عليه الصلوة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه
الآية وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له
قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص
مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان
العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور
عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه
هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له
قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية سورة الكهف مكية وآيها
مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على
انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما
به ينتظم صلاح المعاش والمعاد وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا شيئا من العوج باختلال في
اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج
في الاعيان قَيِّمًا مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا
له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره
وجعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال
دون العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه
ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما بالتخفيف لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا
اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول اكتفاء بدلالة القرينة
واقتصارا على الغرض المسوق اليه مِنْ لَدُنْهُ صادرا من عنده وقرأ
ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون
لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا هو الجنة مَاكِثِينَ فِيهِ في الاجر
أَبَدًا بلا انقطاع وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا خصهم بالذكر
وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء

بتقدير كونه ما لهم به من علم أي بالولد أو باتخاذه أو بالقول والمعنى أنهم يقولونه
عن جهل مفرط وتوهم كاذب أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم بالمعنى
الذي أرادوا به فإنهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والأثر أو بالله
إذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ إليه ولا لآبائهم الذين يقولون بمعنى التبني
كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وإيهام
حاجته سبحانه إلى ولد يعينه ويخلفه إلى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على
التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والأول أبلغ وأدل على المقصود تخرج من أفواههم
صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على إخراجها من أفواههم والخارج بالذات
هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف وهو المخصوص بالذم لأن كبر ههنا بمعنى
بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الإشمام إن يقولون إلا كذبا فلعلك باخع نفسك
قاتلها على آثارهم إذا ولوا عن الإيمان شبهه لما تداخله من الوجد على
توليهم بمن فارقته أعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم
وقرئ باخع نفسك على الإضافة إن لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن أسفا
للتأسف عليهم أو متأسفا عليهم والأسف فرط الحزن والغضب وقرئ أن بالفتح
على لأن فلا يجوز إعمال باخع إلا إذا جعل حكاية حال ماضية إنا جعلنا ما على الأرض من الحيوان
والنبات والمعادن زينة لها ولأهلها لنبلوهم أيهم أحسن عملا في تعاطيه
وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به أيامه وصرفه على ما ينبغي وفيه
تسكين لرسول الله عليه السلام وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد
فيه والجرز الأرض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى إنا لنعيد ما عليها
من الزينة ترابا مستويا بالأرض ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه أم حسبت
بل أحسبت أن أصحاب الكهف والرقيم في إبقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من
آياتنا عجبا وقصتهم بالإضافة إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأنواع الفائتة
للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها



إليها ليست بعجيب مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم
الذي فيه كهفهم أو اسم قريتهم أو كلبهم قال أمية بن أبي الصلت وليس بها إلا الرقيم
مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف هجدا أو لوح رصاصي أو حجري رقمت فيه أسماؤهم
وجعلت على باب الكهف وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لأهلهم
فأخذتهم السماء فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال أحدهم اذكروا
أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت أجراء ذات يوم فجاء
رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك
أجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله
فرجع إلي بعد حين شيخا ضعيفا لا أعرفه وقال إن لي عندك حقا وذكره حتى عرفته
فدفعتها إليه جميعا اللهم إن كنت فعلت لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى
رأوا الضوء وقال آخر كان لي فضل وأصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت
مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا
ثم ذكرت لزوجها فقال أجيبي له وأغيثي عيالك فأتت وسلمت نفسها إلي
فلما أن تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت أخاف الله فقلت
لها خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم
إن كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث
كان لي أبوان همان وكانت لي غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي
فحبسني ذات يوم غيث فلم أرح حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت محلبي
فحلبت ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فتوقفت
جالسا ومحلبي في يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم إن كنت فعلته
لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير
إذ أوى الفتية إلى الكهف يعني فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس
على الشرك فأبوا وهربوا إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب

توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو وهيئ لنا من أمرنا من الأمر
الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين أو
اجعل أمرنا كله رشدا كقولك رأيت منك أسدا وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء
فضربنا على آذانهم أي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى أنمناهم إنامة
لا تنبههم الأصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته في الكهف
سنين ظرفان لضربنا عددا أي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فإن
مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم أي أيقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا
مطابقا لتعلقه أولا تعلقا استقباليا أي الحزبين المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة
لبثهم أحصى لما لبثوا أمدا ضبط أمد الزمان لبثهم وما في أي من معنى الاستفهام علق
عنه لنعلم فهو مبتدأ وأحصى خبره وهو فعل ماض وأمدا مفعول له ولما لبثوا حال منه أو
مفعول له وقيل إنه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وأمدا تمييز وقيل أحصى اسم تفضيل
من الإحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أحصى للمال وأفلس من ابن المذلق وأمدا نصب بفعل
دل عليه أحصى كقوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق
إنهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت
وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والأهل والمال والجرأة على إظهار
الحق والرد على دقيانوس الجبار إذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والأرض
لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط أي ذا
بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة
خبره وهو إخبار في معنى إنكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان
بين ببرهان ظاهر فإن الدين لا يؤخذ إلا به وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات
مردود وأن التقليد فيه غير جائز فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك
إليه وإذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون إلا الله عطف على الضمير المنصوب
أي وإذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم إلا الله فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام

كسائر المشركين ويجوز أن يكون ما مصدرية على تقدير وإذ اعتزلتموهم وعبادتهم إلا
عبادة الله وأن تكون نافية على أن يكون إخبارا من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض
بين إذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم
ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ما ترتفقون به
أي تنتفعون به وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ
نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض
٣٦٦ فإن قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله عم أو لكل أحد
إذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لأن
الكهف كان جنوبيا أو لأن الله تعالى زورها عنهم وأصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي و
قرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار و
كلاهما من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين و
إذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله
وهم في فجوة منه أي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء
بلدة در مشرق طرفه ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات النعش
وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان والشمس إذا كان مدارها
مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه
الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا تقع عليهم فتؤذي
أجسادهم وتبلي ثيابهم ذلك من آيات الله أي شأنهم وإيواؤهم إلى كهف كذلك
وإخبارك قصتهم أو ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد
الله بالتوفيق فهو المهتد الذي أصاب الفلاح والمراد إما الثناء عليهم أو التنبيه
على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها
والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه
ويرشده وتحسبهم أيقاظا لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم وهم رقود

في رقدتهم صح
ينام ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول
الزمان وقرئ بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم
اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال انا
احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه
الكلب ويؤيده قراءة من قرا وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال
ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل
العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت
منهم فرارا لهربت منهم فرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال
ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم
وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف
فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك
وقد منع الله منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم
يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرا الحجازيان لملئت
بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم
وكما انمناهم بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم اي ليسال
بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال
قدرة الله ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم الله به عليهم قال قائل
منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم
لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم
لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي
بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما
علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم

بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرا ابو بكر
حمزة وابو عمرو وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في
الكاف وبالتخفيف مع سكون الواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين
على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود راي المتوكلين والمدينة طرسوس
فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فلياتكم برزق
منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف
ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم ٢٦٧
ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم
بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة
وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم
وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم
ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود
الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة
لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها
ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قادر
ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانهم فيردها
اليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم
امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان
معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله
ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة
او قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال
آخرون لنتخذن عليهم مسجدا نصلي فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم
بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا

وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك
المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم او المتنازعين
وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحققوا ذلك حكي ان المبعوث لما دخل السوق
واخرج الدرهم وكان على اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان
نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا
بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر
وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن
والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل
لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي
عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول
من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم
بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا
رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا
بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما
هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول
لهم من جبرائيل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم
الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد
ما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل
دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب
ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها
لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان
اتصافه بها امر ثابت وعن علي رض هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا

مكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش و
شاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم
كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب و
القليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا
ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم
ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد
فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بهم ولا سؤال متعنت
يريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن
٣٦٨ لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله لنبيه حين
قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه
فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى
شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي لا تقولن لاجل شيء تعزم عليه
اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء
الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل
لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب
النهي واذكر ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عم
ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس
ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء
على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق
ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق
بل هو من مقدر مدلول عليه به ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار
اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت
بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي

وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا لأقرب رشدا وأظهر دلالة
على أني نبي من نبأ أصحاب الكهف وقد هداه لأعظم من ذلك كقصص الأنبياء المتباعدة
عنه أيامهم والإخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة
أو لأقرب رشدا وأدنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا
تسعا يعني لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما أجمل قبل وقيل إنه حكاية كلام
أهل الكتاب فإنهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة
وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالإضافة
على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه هنا أن علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد
وأن الأصل في العدد إضافته إلى الجمع ومن لم يضف أبدل السنين من ثلث مائة قل الله
أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض له ما غاب فيهما وخفي من أحوال أهلها فلا
خلق يخفى عليه علما أبصر به وأسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج
عما عليه إدراك السامعين والمبصرين إذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف
وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود إلى الله ومحله الرفع على الفاعلية
والباء مزيدة عند سيبويه وكان أصله أبصر الله أي صار ذا بصر ثم نقل إلى الصيغة
الأمر بمعنى الإنشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له أو لزيادة الباء كما في قوله
وكفى به والنصب على المفعولية عند الأخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد
والباء مزيدة إن كانت الهمزة للتعدية ومعدية إن كانت للصيرورة ما لهم
الضمير لأهل السموات والأرض من دونه من ولي من يتولى أمورهم ولا يشرك في
حكمه في قضائه أحدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون
عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل أحد عن الإشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة
أهل الكهف من حيث إنها من المغيبات بالإضافة إلى الرسول عليه السلام على أنه وحي معجز
أمره بأن يداوم درسه ويلازم أصحابه فقال واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك
من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله لا مبدل لكلماته لا أحد

يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل إليه إن هممت
به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
في مجامع أوقاتهم أو في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه أن غدوة علم
في الأكثر فيكون اللام فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله وطاعته ولا
تعد عيناك عنهم ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم وتعديته بعن لتضمين معنى نبا
وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من أعداه وعداه والمراد نهي الرسول أن يزدري
بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا إلى طراوة زي الأغنياء
تريد زينة الحياة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل
في غيرها ولا تطع من أغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كأمية بن
خلف في دعائه إلى طرد الفقراء عن مجلسه لصناديد قريش وفيه تنبيه على أن
الداعي له إلى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى
خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وأنه لو أطاعه كان مثله في الغباوة
والمعتزلة لما غاظهم إسناد الإغفال إلى الله قالوا إنه مثل أجبنته إذا وجدته كذلك
أو نسبته إليه أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة أي لم نسمه بالذكر ولم نجعله من
الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان واحتجوا على أن المراد ليس ظاهره ما ذكر أولا بقوله
واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ من أغفلنا بإسناد الفعل إلى القلب
على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا إيانا بالمؤاخذة وكان أمره فرطا
أي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط أي متقدم للخيل منه
الفرط وقل الحق من ربكم ما يكون من جهة الله تعالى لا ما يقتضيه الهوى ويجوز
أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر لا أبالي بإيمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد
بفعله فإنه وإن كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته إنا أعتدنا هيأنا للظالمين
نارا أحاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق

٢٩٩

الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من النار
وإن يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت
وهو على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه إذا قدم ليشرب من فرط حرارته
من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء أو حال من المهل أو الضمير في الكاف بئس
الشراب المهل وساءت أي النار مرتفقا متكأ وأصل الارتفاق
نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق
لأهل النار إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا خبر إن
الأولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف وتقديره من أحسن عملا منهم أو مستغنى
عنه لعموم من أحسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد أو واقع موقعه
الظاهر فإن من أحسن عملا على الحقيقة لا يحسن إطلاقه إلا على الذين آمنوا و
عملوا الصالحات أو خبران الأول أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم
الأنهار وما بينهما اعتراض وعلى الأول استئناف لبيان الأجر أو خبر ثان
يحلون فيها من أساور من ذهب من الأولى للابتداء والثانية للبيان صفة لأساور
وتنكيرها لتعظيم حسنها من الإحاطة به وهو جمع أسورة أو أسوار في جمع سوار
ويلبسون ثيابا خضرا لأن الخضرة أحسن الألوان وأكثرها طراوة من سندس
وإستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على أن
فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين متكئين فيها على الأرائك على السرر
كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الأرائك
مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين
مقدرين أو موجودين قيل هما أخوان من بني إسرائيل كافر اسمه قطروس
ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا (تناصفا)
فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل أمرهما
إلى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل لهما أخوان من بني مخزوم كافر وهو الأسود بن

جعلنا لأحدهما جنتين

عبد الأسد ومؤمن وهو أبو سلمة عبد الله زوج أم سلمة قبل رسول الله عليه السلام
جعلنا لأحدهما جنتين بستانين من أعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان
التمثيل أو صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا
بها كرومهما يقال حفه القوم إذا طافوا به وحففته بهم إذا جعلتهم حافين
حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون
كل منهما جامعا للأقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الأنيق
كلتا الجنتين آتت أكلها ثمرها وإفراد الضمير لإفراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى أكله
ولم تظلم منه ولم تنقص من أكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فإن الثمار تتم
في عام وينقص في عام آخر غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فإنه الأصل و
يزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر أنواع من المال سوى
الجنتين من ثمر ماله إذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وأبو عمرو بضم الثاء و
إسكان الميم والباقون في الكلام بضمهما وكذلك في قوله وأحيط بثمره فقال
لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار إذا رجع أنا أكثر منك مالا وأعز
نفرا حشما وأعوانا وقيل أولادا ذكورا لأنهم الذين ينفرون معه ودخل
جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وإفراد الجنة لأن المراد ما هو جنته
وهو ما متع به من الدنيا تنبيها على أنه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي
وعد المتقون أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالأخرى أو لأن الدخول يكون
واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما أظن أن تبيد
أن تفنى هذه الجنة أبدا لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما
أظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت إلى ربي بالبعث كما زعمت لأجدن
خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما أي من الجنتين منقلبا
مرجعا وعاقبة لأنها فانية وتلك باقية وإنما أقسم على ذلك لاعتقاده أنه تعالى
إنما أولاه ما أولاه لاستئهاله واستحقاقه إياه لذاته وهو معه أينما يلقاه قال له

صاحبه وهو يحاوره أكفرت وهو يحاوره بالذي خلقك من تراب لأنه أصل
مادتك أو مادة أصلك ثم من نطفة فإنها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك
وكملك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لأن منشأه الشك
في كمال قدرة الله ولذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب فإن من قدر على بدء خلقه
منه قدر أن يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا أصله لكن أنا فحذف
الهمزة بنقل الحركة أو دونه فتلاقت النونان فكان الإدغام وقرأ ابن عامر ويعقوب
في رواية بالألف في الوصل لتعويضها من الهمزة أو إجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ
لكن أنا على الأصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر أنا أو ضمير الله والله بدله
وربي خبره والجملة خبر أنا والاستدراك من أكفرت كأنه قال أنت كافر بالله لكني مؤمن
به وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكن أنا لا إله إلا هو ربي ولولا إذ دخلت جنتك قلت
وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله كائن
على أن ما موصولة أو أي شيء شاء الله كان على أنها شرطية والجواب محذوف
إقرارا بأنها وما فيها بمشيئة الله إن شاء أبقاها وإن شاء أبادها لا قوة
إلا بالله وقلت لا قوة إلا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة
لله وأن ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها فبمعونته وإقداره وعن النبي
عليه السلام من رأى شيئا فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره
إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا يحتمل أن يكون أنا فصلا وأن يكون تأكيدا
للمفعول الأول وقرئ أقل بالرفع على أنه خبر أنا والجملة مفعول ثان لترن و
في قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالأولاد فعسى ربي أن يؤتين خيرا من
جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو
مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها أو عذاب حساب الأعمال السيئة
فتصبح صعيدا زلقا أرضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها وأشجارها
أو يصبح ماؤها غورا غائرا في الأرض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع

في الدنيا أو في الآخرة لإيمانه ويرسل عليها على جنتك

له طلبا للماء الغائر تردد في رده وأحيط بثمره وأهلك أمواله حسبما توقعه صاحبه
وأنذره منه وهو مأخوذ من أحاط به العدو فإنه إذا أحاط به غلبه وإذا غلبه
أهلكه ونظيره أتى عليه إذا أهلكه من أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعليا عليهم
فأصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما أنفق فيها في عمارتها
وهو متعلق بيقلب لأن تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فأصبح يندم أو
حال أي متحسرا على ما أنفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بأن سقطت الكروم
فوقها ويقول عطف على يقلب أو حال من ضميره يا ليتني لم أشرك بربي أحدا
كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه أتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا لم يهلك
الله بستانه ويحتمل أن يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له
فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الإهلاك
أو رد المهلك أو الإتيان بمثله من دون الله فإنه القادر على ذلك وحده وما كان
منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال
الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له
فئة ينصرونه أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر
أخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا أي لأوليائه وقرأ حمزة
والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك أي هنالك السلطان له لا يغلب ولا
يمتنع منه أو لا يعبد غيره كقوله وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
فيكون تنبيها على أن قوله يا ليتني لم أشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل
هنالك إشارة إلى الآخرة وقرأ أبو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ
بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها
بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحياة الدنيا واذكر لهم ما تشبهه الحياة الدنيا في
زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا
لاضرب على أنه بمعنى صير أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فالتف بسببه

وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان
حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس
للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه
من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات
المنبت بالماء يكون اخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله
على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال
الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من صلوات الخمس
واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدا وخير املا لان صاحبها
ينال بها في الآخرة ما كان يؤمل بها ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها
في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات
خير عند الله ويوم القيامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء
للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال
ليس عليها ما يسترها وقرئ على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف و
مجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير
ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا يكون الواو للحال باضمار قد فلم
نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك
الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك شبه
حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين
لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم
كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله تعالى
ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا

نقلعها

وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة
الى قصة اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان
وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه
من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين
الهلكات ما لهذا الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في
الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه
مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين و
استقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض
عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا
في زخارف الدنيا بانها عرضة للزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفس
ما فيها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب
كل تكرير في القرآن كان من الجن حال باضمار قد او استئناف للتعليل كانه قيل
ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود
والفاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه
كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد
منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم
ذرية مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم
لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم
خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم
في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا ردا لاتخاذهم
اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية

ولا شرك فيها فيستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم
واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك
وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون
فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد
بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول وقرئ
متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم
جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكافر وقرأ حمزة بالنون
نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي
واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته
فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم
بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي
في شدتها هلاك كقول عمر لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر
من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا
هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها
مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون
اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه
وكان الانسان اكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه
على التميز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو
الرسول الداعي او القرآن المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب
الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم
سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او
يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين
وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال

لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير او
العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين
ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال
عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال عن مقره الحق
ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر
مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما انذروا
وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزؤا بالسكون
وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم
يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر
في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم
بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده
للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون
واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه
على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة
لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك باهمال قريش
مع افراطهم في عداوة رسول الله بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة
لن يجدوا من دونه موئلا منجا يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا التجأ اليه
وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او
مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع
الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والجدال وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم
لاهلاكهم موعدا وقتا لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا
يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر مهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم

وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض وإذ قال
موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عم فانه كان
يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا أبرح اي لا ازال اسير
فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث
انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على
ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل
وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي
الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه
وقيل البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان
بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي
حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او
حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل
ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر
خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل
اعلم منك عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة
ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك
قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا
يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب
كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني
عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به
قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت
الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما
ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان

ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حياته ووقوعه في البحر روي
ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر
قيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب الحوت في الماء
وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله
في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار
وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول
الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا
مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى
الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد
باسم الاشارة قال أرأيت إذ أوينا أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة يعني
الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فإني
نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه وما أنسانيه إلا الشيطان
أن أذكره وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ
ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال
وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى
والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب
شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى
الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما
عن الآخر يعد من النقصانات واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا و
هو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر
فعله المضمر قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل
لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ

نهر بيلا

وقرأ حفص وما انسانيه

فطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا
يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا
عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس
آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا
ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط
ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة
الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول
علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون
علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم
من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه
فيما بعث به من اصول الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم وفروعه لا مطلقا وقد
راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل
منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي
صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم
وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر
وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا
تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا اي ستجد [illegible] صابرا
معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي وغير عاص او على ستجدني
وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن و[illegible] لا يقدح في عصمته او لعلمه بصعوبة
الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف
فيه وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى قال فان اتبعتني
فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه
صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر

فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا
في السفينة خرقها اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها
قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق
اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها
على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر
اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال
لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه
او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام
المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول
مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني
من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان
ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه
وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة
حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط و
قيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف
حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرأ
ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو
والزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول
لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي
قتلها او قتلت نفسا فيقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا
وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى
مستأنفا في الاولى وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل
اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله

بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش
وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا زاد فيه لك مكافحة (مشافهة) بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات
والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى
زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان
سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت
من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول
الله عليه السلام رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب
وقرأ نافع لدني بتحريك النون وضم الدال اكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله
كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال
اسكان الضاد من عضد عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية
وقيل ايلة بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان
يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضاف يقال ضافه اذا نزل به ضيفا
واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال
فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة
للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء
ويعدل عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان
وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب
لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من
انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه
بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على
اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما رأى الحرمان
ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ

كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت
اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا
فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض
الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة
الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سأنبئك
بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه
منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج
وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا
مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى
وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم
ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي ابن كركر وقيل
منولة ابن جلندي الازدي يأخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق
النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة
التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع
الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما و
عقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها
واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا
وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع
في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته
على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنه ان
نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي عليه السلام عن قتل الولدان فكتب
اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك
اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله

عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة
طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه
قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم
وقرا نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه
على التميز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في
المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته كنز لهما
من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله تعالى والذين يكنزون
الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتها وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم
وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن
يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن
بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها
لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه
قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد
ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك
مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير [illegible] الى نفسه لانه
المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله تعالى
بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر
والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسايط وما
فعلته وما فعلت ما رايته عن امري عن رايي وانما فعلته بامر الله ومبنى ذلك على انه
اذا تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع
في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء
تخفيفا ومن فوايد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسن
فلعله فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال و

ن رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت
ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة

فلعله

ان

ان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسئلونك
عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب
ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض
في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان
وقيل لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه
ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم
اليهود سالوه امتحانا او مشركوا مكة قل ساتلوا عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين
والهاء لذي القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف
فيها كيف شاء فحذف المفعول واتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة
توصله اليه من العلم والقدرة والالة فاتبع سببا يوصله اليه فاراد بلوغ المغرب
فاتبع سببا يوصله اليه وقرا الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء في الموضعين
كذلك ما بعده حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حماة
من حمئت البئر اذا صارت ذات حماة وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر
حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين او حمية
على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك
اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب وقيل ان ابن عباس سمع
معاوية يقرا حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس
تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما
قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله
ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب
اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل
خيره الله بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله
قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي

ولم يقل كانت تغرب

اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر
على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه [illegible] في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة
عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان
فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرا حمزة والكسائى ويعقوب وحفص
جزاء منونا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله
المقدر حالا اى يجزى بها جزاء او التمييز وقرى منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف
لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدا والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما
واما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول
لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله تعالى ان كان نبيا فبوحى وان
كان غيره فبالهام او على لسان نبى وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا سهلا
متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرى بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا
يوصله الى المشرق وقرا الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء وكذلك ما
بعده حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع الذى تطلع الشمس عليه اولا من
معمورة الارض وقرى بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه
مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس
او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او لانهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية
كذلك اى امر ذى القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم
كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد
او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس في
الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا
علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغ مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف
الخبير ثم اتبع سببا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا
من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين ~~المشرق والمغرب~~
الجبلين المبنى بينهما سده

وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك
منيفان (اى عاليان) من ورائهما ياجوج وماجوج وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائى و
ابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح
لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به
وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة
لغتهم وقلة فطنتهم وقرا حمزة والكسائى لا يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم
ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اى قال مترجمهم وفي مصحف
ابن مسعود قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد
يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان
بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرا
عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون في الارض اى في ارضنا بالقتل
والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه
ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا
نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال
وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا
يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمن من ضم السدين غير حمزة والكسائى قال
ما مكنى فيه ربى خير ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج
ولا حاجة اليه وقرا ابن كثير مكننى على الاصل فاعينونى بقوة اى بقوة فعلة
او بما اتقوى به من الآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر
من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع آتونى
زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافى رد الخراج والاقتصار
على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابى بكر ردما ايتونى بكسر
التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في

في امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على الفعل حتى اذا
ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن
عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد و
ضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر
ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد
حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتوني افرغ عليه قطرا
اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه و
به تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول
واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس
وقرا حمزة وابو بكر قال ايتوني موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا
من تلاقي متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده و
قرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه
وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته وقيل حفر للاساس حتى بلغ الماء و
جعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى
ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار وصب النحاس المذاب عليها
فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور
مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا
هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي
وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة
جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك
لمنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا
كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض
وجعلنا بعضهم يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون مزدحمين

مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم و
جنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب
والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها لهم الذين
كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد و
التعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق
فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت اسماعهم
بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي
اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به
فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه
وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزها مرتفع فاعل
بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا
جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها
من العذاب ما يستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز
وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم
في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم
واخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل
او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم
انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن او بدلائله المنصوبة
على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم
بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم اي نحتقر
ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم
لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز
ان يكون مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله

بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا
آياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت
لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى
درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة
لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم
ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم
ما تمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته
لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات
ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرا حمزة والكسائي بالياء ولو جئنا
بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه
بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على
تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ
ومدادا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود
قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم
الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم
اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يامل حسن لقائه
فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه
او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلعم اني لاعمل العمل لله
فاذا اطلع عليه احد سرني فقال عليه السلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت
تصديقا له وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال
الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن
النبي عليه السلام من قراها عند مضجعه كان له نورا في مضجعه يتلالا الى مكة حشو
ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا
من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون له عليه حتى يستيقظ وعنه عليه السلام

